الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام

جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

ومعه

دفع بعض الاعتراضات

على كتاب "حول الاحتفال بذكرى المولد"

بقلم صاحب السماحة والمعالي السيد يوسف هاشم الرفاعي

و

الهدي التام في موارد المولد النبوي

وما اعتيد فيه من القيام

للعلامة الفقيه الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المدرس بالمسجد الحرام

و

هل نحتفل؟

فتوى مركز الدعوة والإرشاد

التابع سابقاً لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي المملكة العربية السعودية المتوفى سنة ١٤٢٠هـ

و

فصول عن المولد الشريف

من السيرة النبوية المسماة: «سبل الهدى والرشاد»

للحافظ محمد بن يوسف الشامي



الإعلام
بفتاوى أئمة الإسلام
حول مولده عليه الصلاة والسلام

الكتاب: الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام

جمع وترتيب: السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 328

سنة الطباعة: 2005 م - 1426 هـ

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

Title: The Fatwas of the Moslim Imams about The Prophet's Birthday ﷺ

Collected and Prepared by: Muḥammad Ben ʿAlawi Al-Mâlki Al-Hasani

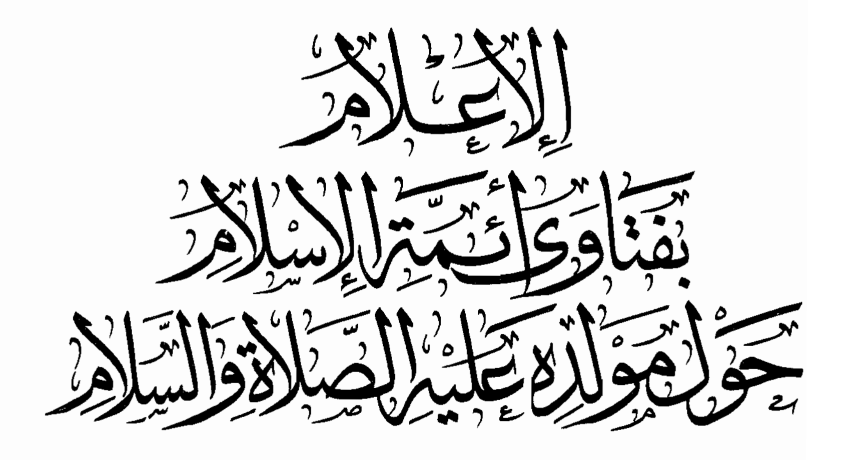
Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 328

Year: 2005 A.C - 1426 H

Printed in: Lebanon

Eidition: 1st



جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

ومعه

دفع بعض الاعتراضات

على كتاب "حول الاحتفال بذكرى المولد"

بقلم صاحب السماحة والمعالي السيد يوسف هاشم الرفاعي

و

الهدي التام في موارد المولد النبوي

وما اعتيد فيه من القيام

للعلامة الفقيه الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المدرس بالمسجد الحرام

و

هل نحتفل ؟

فتوى مركز الدعوة والإرشاد

التابع سابقاً لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي المملكة العربية السعودية المتوفى سنة ١٤٢٠هـ

و

فصول عن المولد الشريف

من السيرة النبوية المسماة: "سبل الهدى والرشاد"

للحافظ محمد بن يوسف الشامي




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فقد كَثُر الكلام عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وما كنت أودّ أن أكتب شيئاً في هذا الموضوع، وذلك لأنَّ ما شغل ذهني وذهن العقلاء من المسلمين اليوم، هو أكبر من هذه القضية الجانبية التي صار الكلام عنها أشبه ما يكون بالحَوْلية التي تُقْرَأُ في كل موسم وتُنشر في كل عام، حتى مَلَّ الناس سماع مثل هذا الكلام، لكن لمّا أحب كثير من الإخوان أن يعرفوا رأيي بالخصوص في هذا المجال، وخوفاً من أن يكون ذلك من كتم العلم، أقدمت على المشاركة في الكتابة عن هذا الموضوع.

والحق هو: أننا ما نُحِب إثارة المسائل الخلافية، وخصوصاً في الميادين العامة وبين من لا شأن لهم بها، بل ننهىٰ عن ذلك، إلّا إذا اقتضىٰ الحال الخَوْض فيها لإجابة سُؤَالٍ، أو دفع شُبْهَةٍ، أو حَلِّ إشكال، أو الردّ على من يثير ذلك وَيُلَبِّسُ على العامة، فتراه ينكر علينا الكلام في هذه المواضع ويقول: أنتم تثيرون الفتن وتشعلون نارها، وليس لكم كلام إلّا في هذه المسائل. وينسى أو يتناسى، أنه هو المُحَرك لهذه الفتن، وهو المُوقِد لنارها والفاتح لأبوابها، والمُشْتَغِلُ بها والمُشْغِلُ للناس بالكلام فيها، إذ لا تراه إلّا مُتَحدِّثاً في باب البدعة والشرك والضلال، مُدْرِجاً بحث المولد والتوسل والزيارة والتبرّك والتصوّف، في قائمة المنكرات والضلال والبدع، دون تفصيل بين الحسن والقبيح، والخير والشر، والطيّب والخبيث، فهل يصح أن يُتركَ مثل هذا يَنْفُثُ سُمومَهُ ويفيض بباطله وشرّه على عامة الأمة ممن يغترّ به في كُلِّ وقت؟!.

فهذا هو الذي يدعونا إلى الحديث والبحث والكتابة حول هذه المسألة، وإلّا فإنَّ منهجنا والحمد لله هو توجيه الأمة إلى الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهذه دروسنا ومحاضراتنا وندواتنا في مجالسنا العامة والخاصة، داخل البلاد وخارجها شاهدة بذلك، وهي بفضل الله ـ وأقول ذلك متحدّثاً بنعمة الله متبرّئاً من حولي وقوتي مستعيذاً بالله من العُجْبِ والفخْرِ المذموم ـ.

أقول: هي دروس منهجية ومحاضرات اجتماعية، وندوات علمية في الحديث والتفسير والفقه والمصطلح، والأصول والعقيدة واللغة العربية، ليس فيها علوم خاصة، أو معارف معيّنة، أو أسرار ممنوعة، أو لقاءات غامضة.

بل كلها مفتوحة للعام والخاص، وَمُشاعةٌ للقريب والبعيد، وبيتنا والحمد لله كما جاء في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: (طويل العِمَاد، عظيم الرَّماد، قريب البيت من الناد)[١].

كما أننا في ثنايا دروسنا، نَذْكُر أحوال المسلمين وواقعهم الأليم، وما وصلوا إليه اليوم من تَفَرُّقٍ وتَشتُّتٍ وضَعْفٍ، وذِلّة وتبعيةٍ ومُخَالفةٍ، وبُعْدٍ عن المنهج الرباني والطريق الصحيح، وَنُذَكّرهم بما كان عليه سلفهم الصالح من عزّة ومَنَعَة وقوة وسلطان، وبما مكّن الله لهم في الأرض، وبتاريخهم المجيد. وإننا نأمل أن نعود إلى الإسلام، فتعود لنا أيامنا الأُوَل والله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلّى الله وسلم على خير خلقه، وإمام رسله سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

السيد محمد ابن السيد علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

---

(١) كذا في خبر أم زرع الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥١٨٩) (كتاب النكاح) «باب حسن المعاشرة مع الأهل».
وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٤٨) (كتاب فضائل الصحابة) «باب ذكر حديث أم زرع».

هل الاحتفال بالمولد النبوي واجب؟

لا تزال مَسألةُ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تعتبر مُشْكِلةً كبيرةً عند بعض المتشدّدين ـ هداهم الله إلى الصراط المستقيم ـ.

ولقد انحلَّ ـ والحمد لله ـ كثيرٌ من العُقدِ التي كانت في ذهن بعضهم وتفهّموا الحقائق على أصولها بمرور الأيام، وتغيُّر الأحوال وتطوّر الحياة واختلاف مطالب العصر ومصطلحاته، وظروف المجتمع وحياته، فأعاد كَثيرٌ من الناس حُكمهم على كثير من المسائل الاجتهادية التي كانوا يَرَوْنَ فيها حُكْماً غير ما يرونه اليوم، ويقولون فيها قولاً غير الذي يقولونه اليوم، والشواهد الحضارية شَاهِدةٌ على ذلك.

ومن أطال الله في عُمره فأدرك ذلك الزمن وهذا الزمن، وسمع تلك الأقوال سابقاً ولاحقاً، لاحظ الفرق بوضوح ظاهر لا إشكال فيه، وكل هذا التغيّر والتطوّر لم تحظ به قضية المولد النبوي الشريف، ولم تفز بما فاز به غيرها من القضايا.

فلا نَزَالُ نسمع في كُلّ عام تلك الحوليّات التي تظهر في شهر «ربيع الأنوار» عن المولد النبوي الشريف والاحتفال به، ولا نزال نسمع تلك الأقوال السخيفة عن اجتماعات المولد من أنه: تحصل فيها المنكرات واختلاط الرجال بالنساء، وتضييع الصلوات، وتُضْرَب الآلات وتُشْرَب الخمور، ويَحْضُرها الفُسّاق وأهل الفُجور، وأكلة الربا، وأهل البدع والخرافات، وأنَّ المُحْتَفلين بالمولد النبوي يتّخذونه عيداً شرعياً معتبراً مثل عيد الفطر والأضحىٰ، ولقد بينّا كذب هذه الأقوال الساقطة، أو كذب من نقلها إلى من صرح بها، وإن كان لا يُعْذَرُ بجهله، حيث لم يتبيّن ما أخبره به الفاسق، فخالف القرآن صراحة؛ إذ يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

كم بيّنا ذلك وقلنا: إنَّ يوم مولد سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ليس بعيدٍ ولا نعتبره عِيداً، لأنه أكبر من العيد، وأعظم وأشرف منه.

إنَّ العيد لا يعود إلّا مرةً واحدةً في السَّنة، وأمّا الاحتفال بمولده صلّى الله عليه وسلّم والاعتناء بذكره وسيرته، فيجب أن يكون دائماً، لا يتقيّد بزمان ولا مكان.

فمن أطلق عليه اسم: العيد، فهو جاهل، وهو لا يقع إلّا من العوامّ وهم لا يقصدون به العيد الشرعي المعروف عند الإطلاق، وإنما هذا جرياً على عادة الناس في تعبيرهم عن الفرح والسرور بكل عزيز بقولهم: هذا يوم عيد... وقدومكم عيد... ولقاؤكم عيد...، والشعر العربي مملوءٌ بهذا التعبير؛ كقولهم:

إنَّ عيدي يوم آتي حيّهم وأمرغ في ثَراهم مقلتي

وقول بعضهم:

عِيدٌ وعِيدٌ وعِيدٌ صِرْنَ مجتمعهْ وجهُ الحبيب وعيدُ الفطرِ، والجمعة

ومن هنا يقول عامّة الناس: عيد المولد والعيد النبويّ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة في هذا الباب.

ومعلوم أنه ليس عندنا في الإسلام إلّا عيدان: الفطر، والأضحى، لكن يوم المولد أكبر وأعظم من العيد، وإن كنّا لا نسمّيه عيداً، فهو الذي جاء بالأعياد والأفراح، ومن حسناته كل الأيام العظيمة في الإسلام، فلولا مولده صلّى الله عليه وسلّم ما كانت البعثة، ولا نزول القرآن، ولا الإسراء ولا المعراج، ولا الهجرة، ولا النصر في بدر، ولا الفتح الأعظم، لأنَّ كل ذلك مُتَعَلِّقٌ به صلّى الله عليه وسلّم، وبمولده الذي هو منبع تلك الخيرات العظيمة.

قال السيد محمد أمين كتبي رحمه الله:

يا ليلة الاثنين ماذا صافحت ... يُمْنَاكِ من شرف أشمّ ومن غنَى
كلّ الليالي البيض في الدنيا لها ... نسب إليك فأنت مفتاح السنَا
فالقَدْرُ والأعيادُ والمعراج من ... حسناتكِ اللّاتي بَهرْنَ الأعيُنا

وقبل أن أسرد الأدلّة على جواز الاحتفال بالمولد الشريف والاجتماع عليه، أُحِبُّ أن أبيّن المسائل الآتية:

الأولى: أننا نحتفل بمولد سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم دائماً وأبداً في كُلِّ وقت وفي كُلِّ مناسبة، وعند كُلِّ فرصة يقع فيها فَرحٌ أو سُرورٌ أو نَشاطٌ، ويزداد ذلك في شهر مولده وهو ربيع، وفي يوم مولده وهو الاثنين، ولا يصح لعاقل أن يسأل لماذا تحتفلون؟...

لأنه كأنه يقول: لماذا تفرحون بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟

وكأنه يقول: لماذا يحصل عندكم هذا السرور وهذا الابتهاج بصاحب الإسراء والمعراج؟

فهل يصح أن يصدر هذا السؤال من مُسْلِم يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمّداً رسول الله؟ لأنه سؤال بَاردٌ لا يحتاج إلى جواب، ويكفي أن يقول المَسؤُولُ في الجواب:

أنا أحتفل لأني مَسْرُورٌ وفَرِحٌ به صلّى الله عليه وسلّم، وأنا مَسرورٌ وفَرِحٌ به صلّى الله عليه وسلّم لأني مُحِبٌّ له صلّى الله عليه وسلّم، وأنا مُحِبٌّ له صلّى الله عليه وسلّم لأني مؤمن.

الثانية: أننا نعني بالاحتفال: الاجتماع لسماع سيرته والصلاة والسلام عليه، وسماع المدائح التي تُقَالُ في حقّه، وإطعام الطعام وإكرام الفقراء والمحتاجين، وإدخال السرور على قلوب المحبّين.

الثالثة: أننا لا نقول بأنَّ الاحتفال بالمولد المذكور في ليلة مخصوصة

وعلى الكيفية المعهودة لدينا؛ مما نصّت عليه الشريعة صراحة، كما هو الشأن في الصلاة والصوم وغيرهما، إلّا أنه ليس فيها ما يمنع من ذلك؛ لأنَّ الاجتماع على ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحو ذلك من وجوه الخير، مما ينبغي الاعتناء به كلّما أمكن؛ لا سيما في شهر مولده، لأنَّ الداعي فيه أقوىٰ لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفيّاض بارتباط الزمان بعضه ببعض، فيتذكّرون الماضي بالحاضر، وينتقلون من الشاهد إلى الغائب.

الرابعة: أنَّ هذه الاجتماعات هي وَسِيلةٌ كُبرىٰ للدعوة إلى الله تعالىٰ، وهي فرصَةٌ ذَهَبِيّةٌ ينبغي أن لا تفوت، بل يجب على الدعاة والعلماء أن يُذكِّرُوا الأمة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأخلاقه وآدابه وأحواله وسيرته ومعاملته وعبادته، وأن ينصحوهم ويرشدوهم إلى الخير والفلاح، ويحذّروهم من البلاء والبدع والشرّ والفتن، وإننا دائماً بفضل الله ندعو إلى ذلك ونشارك في ذلك.

ونقول للناس:

ليس المقصود من هذه الاجتماعات مجرّد الاجتماعات والمظاهر، بل إن هذه وَسِيلَةٌ شَريفةٌ إلى غاية شَرِيفَةٍ، وهي كذا وكذا، ومن لم يستفد شيئاً لدينه، فهو محروم من خيرات المولد الشريف.

أول المُحتَفِلينَ بالمولد النبوي

إنَّ أَوّلَ المُحْتَفِلينَ بالمولد هو صاحب المولد، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه «مسلم»: لمّا سئل عن صيام يوم الاثنين، قال صلّى الله عليه وسلّم: «ذاك يوم ولدت فيه»، فهذا أصح وأصرح نصٍّ في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

ولا يُلْتَفَتُ لقول من قال: إنَّ أوّل من احتفل به الفاطميّون، لأنَّ هذا إما جهل، أو تعامٍ عن الحقّ.

قول الحافِظِ ابن حجر العسقلاني:

قال الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني: وقد ظهر لي تخريجه على أصلٍ ثابت، وهو ما ثبت في «الصحيحين» من أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون وَنجّىٰ موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالىٰ.

فقال صلّى الله عليه وسلّم: «نحن أولى بموسى منكم».

فيستفاد منه: فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كُلِّ سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة وتلاوة القرآن، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، نبيّ الرحمة في ذلك اليوم، قال تعالىٰ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قول الحافظ جلال الدين السيوطي:

وقال الحافظ السيوطي: وقد ظهر لي تخريجه على أصلٍ آخر، وهو ما أخرجه «البيهقي» عن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنه قد ورد أنَّ جدّه عبد المطلب عقّ عنه في سابع ولادته، والعَقِيقةُ لا تُعَادُ مرةً ثانية، فَيُحْمَلُ ذلك على أن الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمةً للعالمين وتَشريعٌ لأمّته، فيستحبّ لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده صلّى الله عليه وسلّم باجتماع الإخوان وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القُرُبات وإظهار المسرّات.

قول الحافظ شمس الدين ابن الجزري:

وقال الحافظ السيوطي: ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه المُسمّىٰ: «عَرْفَ التعريف بالمولد الشريف» ما نصّه:

قد رُئِي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟

فقال: في النار، إلّا أنه يُخَفَّفُ عني كل ليلة اثنين، وأمصُّ من بين أصبعيّ هاتين ماءً بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وبإرضاعها له.

فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمّه جُوزِيَ (في النار) بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم به، فما حَالُ المُسلم الموحّد من أمّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُسَرُّ بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته صلّى الله عليه وسلّم؟!.

لعمري إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم، أن يدخله بفضله جنّات النعيم.

قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي:

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المُسمّىٰ: «مورد الصادي في مولد الهادي»:

قد صحّ أن أبا لهب يُخَفّفُ عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة سروراً بميلاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم أنشد:

إذا كَانَ هذا كافراً جَاءَ ذَمُّهُ ... بِتَبَّتْ يَدَاه في الجحيم مُخَلَّدَا
أَتىٰ أنّه في يوم الاثنين دائماً ... يُخَفَّفُ عنه للسرور بأحمدَا
فما الظنّ بالعَبْدِ الذي طولَ عُمرِه ... بأحمدَ مسروراً ومَاتَ مُوَحِّدَا[٢]

(٢) كذا في «حسن المقصد في عمل المولد» للحافظ السيوطي.

هل يشترط أن يكون احتفالنا بالصيام؟

فإن قيل: إنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اعتنىٰ بيوم مولده بالصيام، وأنتم تحتفلون بالاجتماع وغيره من أنواع القربات والأعمال التي لم يفعلها صلّى الله عليه وسلّم في هذا اليوم، وهذا من البدعة؟

فالجواب: أنَّ هذا يرجع إلى كيفية الاحتفال وهيئته، والكيفيات المطلقة مسائل اجتهادية، وهو ليس محل بحثنا؛ لأنَّ محل البحث هو مسألة الاعتناء بمولده صلّى الله عليه وسلّم، هل ثبتَ أم لا؟ أمّا كيف اعتنىٰ؟ وكيف اهتمّ؟

فهذا مفتوح للأمّة بحسب اجتهادهم، ونظرهم، وأحوالهم.

ومثل هذا كثير من الأمور الاجتهادية التي ثبت أصلها وَتُركت كيفيّتها وهيئتها للأمة، وهي عشرات بل مئات المسائل، يأتي في الدرجة الأولى القرآن الكريم الذي لا يُخَالف أَحدٌ في فضله وفضل حفظه، وشرف تعلّمه وشرف حَمَلتهِ ومعلّميه.

لكن هل هناك كيفيّةٌ أو طريقةٌ لا بُدّ من اتّباعها في سبيل نشره وتعليمه وحفظه؟

الجواب: مَتروكٌ للقارئ.

والواقع بين يديه ظَاهِرٌ وَاضِحٌ كالشمس، يُرىٰ فيه المدارس القرآنية والجمعيات، والجوائز والشهادات، والندوات والمسابقات. ويُرَىٰ التسجيلات القرآنية على الأشرطة (الكاسيت) والأجهزة والآلات الحديثة، والمطابع والمجامع القرآنية، والتفنّن في إخراج المصاحف طبعاً وورقاً وشكلاً ورسماً وحرفاً، ولوناً وتجليداً على أشكال، ونماذج ومقاسات

متعدّدة متنوّعة فاخرة ماهرة، تسرّ الناظرين وتقرّ عيون المؤمنين.

فهل هذا كلّه كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟...

أدلّة جواز الاحتفال بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

الأوّل: أنَّ الاحتفال بالمولد النبويّ الشريف تَعبِيرٌ عن الفرح والسرور بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وقد انتفع به الكافر.

وسيأتي في «الدليل التاسع» مزيد بيان لهذه المسألة، لأنَّ أصل البرهان واحد، وإنَّ اختلفت كيفية الاستدلال، وقد جرينا على هذا المنهج في هذا البحث، وعليه فلا تكرار.

فقد جاء في «البخاري» أنه يُخفّفُ عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته، لَمّا بشّرته بولادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.

ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقيّ:

إذا كَانَ هذا كافراً جَاء ذَمُّهُ ... بِتَبَّتْ يَدَاه في الجحيم مُخَلَّدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائماً ... يُخَفَّفُ عنه للسرور بأحمدَا

فما الظنّ بالعَبْد الذي طولَ عُمرِهِ ... بأحمدَ مسروراً ومَاتَ مُوَحِّدا

وهذا الخبر رواه البخاري في «الصحيح» في (كتاب النكاح) مُرْسلاً، ونقله الحافظ ابن حجر في «الفتح»، ورواه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» [ج٧ ص٤٧٨] والحافظ البيهقي في «الدلائل»، وابن كثير في السيرة النبوية من «البداية» [ج٢ ص٢٧٣]، والحافظ البغوي في «شرح السنة» [ج٥ ص٦٠] وابن هشام، والسهيلي في «الروض الأنف» [ج٥ ص١٩٢]، والعامري في «بهجة المحافل» [ج١ ص٤١].

وهذه الرواية وإن كانت مرسلة؛ إلّا أنها مقبولة لأجل نقل البخاري لها، واعتماد العلماء من الحفّاظ لذلك، ولكونها في المناقب والخصائص، لا في الحلال والحرام، وطلّاب العلم يعرفون الفرق في الاستدلال

بالحديث بين المناقب والأحكام. وأمّا انتفاع الكفار بأعمالهم ففيه كَلامٌ بين العلماء ليس هذا محل بسطه، والأصل فيه ما جاء في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب بطلب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

الثاني: أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يُعَظّمُ يوم مولده، ويشكر الله تعالىٰ فيه على نعمته الكبرىٰ عليه، وتَفَضُّلِهِ عليه بالجود لهذا الوجود، إذ سَعِدَ به كل موجود، وكان يعبّر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «فيه ولدت، وفيه أنزل عَليَّ» رواه الإمام «مسلم» في الصحيح في (كتاب الصيام).

وهذا في معنى الاحتفال به، إلّا أنَّ الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود، سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر، أو صلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو سَمَاع شمائله الشريفة.

الثالث: أنَّ الفرح به صلّى الله عليه وسلّم مَطلوبٌ بأمر القرآن من قوله تعالىٰ:

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨].

فالله تعالىٰ أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعظم رحمة، قال الله تعالىٰ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويؤيّد هذا: تفسير حَبر الأمة وترجمان القرآن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما، فقد رَوىٰ أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما، في الآية قال: فضل الله: العلمُ، ورحمتُه: محمد صلّى الله عليه وسلّم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٣] [الأنبياء: ١٠٧].

(٣) «الدر المنثور» للسيوطي ٣/٣٠٨.

فالفرح به صلّى الله عليه وسلّم مطلوب في كُلِّ وقت، وفي كُلِّ نعمة، وعند كُلِّ فضل، ولكنه يتأكّد في كُلِّ يوم اثنين، وفي كُلِّ شهر ربيع، لقوّة المناسبة وملاحظة الوقت، ومعلوم أنه لا يَغفلُ عن المناسبة ويُعرضُ عنها في وقتها؛ إلَّا مُغَفلٌ أحْمق.

الرابع: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يُلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العُظمىٰ التي مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه، كان فُرصةً لتذكّرها، وتعظيم يومها لأجلها، ولأنه ظَرفٌ لها.

وقد أصَّل صلّى الله عليه وسلّم هذه القاعدة بنفسه صلّى الله عليه وسلّم، كما صرّح في الحديث الصحيح أنه صلّى الله عليه وسلّم لما وصل إلى المدينة وَرأىٰ اليهود يصومون يوم عاشوراء، سأل عن ذلك فقيل له: إنهم يصومون لأنَّ الله نَجّى نبيّهم وأغرق عدوّهم، فهم يصومون شكراً لله على هذه النّعمة، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «نحن أَولىٰ بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه.

الخامس: أنَّ المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وما كان يَبْعَثُ على المطلوب شرعاً، فهو مَطْلوبٌ شرعاً، فكم للصلاة عليه من فوائد نبويّة، وإمدادات محمدية، يسجد القلم في محراب البيان عاجزاً عن تعداد آثارها ومظاهر أنوارها.

السادس: أنَّ المولد الشريف، يشتمل على ذكر مولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به، أوَلسنا مأمورين بمعرفته ومطالبين بالاقتداء به، والتأسّي بأعماله، والإيمان بمعجزاته والتصديق بآياته؟! وكُتُبُ المولد تؤدّي هذا المعنى تماماً.

السابع: التعرّض لمكافأته بأداء بعض ما يجب له علينا ببيان أوصافه

الكاملة، وأخلاقه الفاضلة، وقد كان الشعراء يفدون إليه صلّى الله عليه وسلّم بالقصائد وَيرضىٰ عملهم ويجزيهم على ذلك بالطيّبات والصِلَاتِ، فإذا كان يرضىٰ عمّن مدحه، فكيف لا يرضىٰ عمّن جمع شمائله الشريفة، ففي ذلك التقرّب له عليه الصّلاة والسّلام باستجلاب محبّته ورضاه.

الثامن: أنَّ معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاصاته، تستدعي كمال الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام، وزيادة المحبة؛ إذ الإنسان مَطبوعٌ على حُبِّ الجميل، خَلقاً وخُلقاً، علماً وعملاً، حالاً واعتقاداً، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله صلّى الله عليه وسلّم، وزيادة المحبّة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً، فما كان يستدعيهما، فهو مطلوب كذلك.

التاسع: أنَّ تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم مشروع، والفرح بيوم ميلاده الشريف بإظهار السرور وصنع الولائم والاجتماع للذكر وإكرام الفقراء، من أظهر مظاهر التعظيم والابتهاج والفرح والشكر لله، بما هدانا لدينه القويم، وما منَّ به علينا من بعثه عليه أفضل الصّلاة والتسليم.

العاشر: يُؤْخَذ من قوله صلّى الله عليه وسلّم في فضل يوم الجمعة، وعدِّ مزاياه: «وفيه خُلِقَ آدم» تَشرِيفُ الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأيّ نبي كان من الأنبياء عليهم السّلام، فكيف باليوم الذي وُلِدَ فيه أفضل النبيّين وأشرف المرسلين؟

ولا يختصّ هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرّر، كما هو الحال في يوم الجمعة، شكراً للنّعمة، وإظهاراً لمزية النبوّة، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهمّ في تاريخ الإنسانية، وجبهة الدهر وصحيفة الخلود، كما يؤخذ تعظيم المكان الذي وُلِدَ فيه نبيّ من أمر جبريل عليه السلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاة ركعتين ببيت لحم، ثم قال له: «أتدري أين صلّيتَ؟ قال: الله أعلم، قال: صلّيتَ ببيت لحم، حيث ولد عيسى»، كما جاء ذلك في حديث شداد بن أوس الذي رواه: البزار، والطبراني.

قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ورجاله رجال الصحيح [ج١ ص٧٣]، وقد نقل هذه الرواية الحافظ ابن حجر في «الفتح» [ج٧ ص١٩٩] وسكت عنها.

الحادي عشر: أنَّ المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد، وَجرىٰ به العمل في كل صقع، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الموقوف: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) أخرجه أحمد.

الثاني عشر: أنَّ المولد اشتمل على اجتماع وذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي، فهو سُنّة، وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وقد جاءت الآثار الصحيحة بها وبالحثّ عليها.

الثالث عشر: أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فهذا يظهر منه أنَّ الحكمة في قَصِّ أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك، ولا شكّ أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره، أشدّ من احتياجه هو صلّى الله عليه وسلّم.

الرابع عشر: ليس كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بِدعةٌ مُنكَرةٌ سَيّئةٌ يَحْرُمُ فعلها، ويجب الإنكار عليها، بل يجب أن يُعْرضَ ما أُحدِثَ على أدلّة الشرع، فما اشتمل على مصلحة فهو واجب، أو على محرّم فهو محرّم، أو على مكروه فهو مكروه، أو على مباح فهو مباح، أو على مندوب فهو مندوب، وللوسائل حُكْمُ المقاصد، ثم قسّم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام:

واجبة: كالردّ على أهل الزيغ، وتعلم النحْو.

ومندوبة: كإحداث الرُّبطِ والمدارس، والأذان على المنائر، وصنع إحسان لم يُعْهَد في الصدر الأول.

ومكروهة: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف.

ومباحة: كاستعمال المنخل، والتوسّع في المأكل والمشرب.

ومحرمة: وهي ما أُحْدِثَ مخالفاً للسُّنَّة، ولم تشمله أدلّة الشرع العامّة، ولم يحتوِ على مصلحة شرعية.

الخامس عشر: ليست كل بدعة محرمة، ولو كان الأمر كذلك لَحرُمَ جمع أبي بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكَتْبه في المصاحف، خوفاً على ضياعه بموت الصحابة القُرّاء رضي الله عنهم، ولَحرُمَ جمع عمر رضي الله عنه على إمَامٍ واحِدٍ في صلاة القيام مع قوله: نِعْمَتِ البدعة هذه، ولَحرُم التصنيف في جميع العلوم النافعة، ولوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس، مع حربهم لنا بالرّصاص والمدافع والدبّابات والطيارات والغواصات والأساطيل، ولَحرُمَ الأذان على المنائر واتّخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والإسعاف، ودور اليتامىٰ والسجون.

فمن ثَمَّ قيّد العلماء رضي الله عنهم حديث: «كل بدعة ضلالة» بالبدعة السيّئة، ويصرّح بهذا القيد؛ ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين من المُحْدَثات التي لم تكن في زمنه صلّى الله عليه وسلّم، ونحن اليوم قد أحدثنا مسائل كثيرة لم يفعلها السّلف، وذلك كجمع الناس على إمام واحد في آخر الليل لأداء صلاة التهجّد بعد صلاة التراويح، وكختم المصحف فيها، وكقراءة دعاء ختم القرآن فيها، وكخطبة الإمام ليلة سبع وعشرين في صلاة التهجّد(٤)، وكنداء المنادي بقوله: صلاة القيام أثابكم الله.

فكُلّ هذا لم يفعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا أحدٌ من السلف، فهل يكون فعلنا له بدعة؟

---

(٤) هذا كان سارياً في الحرمين الشريفين عدة سنوات ثم تركوه، ولكن حتى لو تركوه فإنه لا يتصور أن يكون حسناً حين فعله، ثم ينقلب إلى ضلالة حين تركه، أو أنه كان معروفاً ثم صار منكراً، هذا لا يمكن ولا يتصور أبداً عند العقلاء.

السادس عشر: الاحتفال بالمولد وإن لم يكن في عهده صلّى الله عليه وسلّم، فهو بدعة، ولكنها حسنة، لاندراجها تحت الأدلّة الشرعية والقواعد الكليّة، فهي بِدعةٌ باعتبار هيئتها الاجتماعية، لا باعتبار أفرادها، لوجود أفرادها في العهد النبوي، عُلم ذلك في الدليل الثاني عشر.

السابع عشر: كل ما لم يكن في الصدر الأول بهيئته الاجتماعية لكن أفراده موجودة، يكون مطلوباً شرعاً، لأنَّ ما تركّب من المشروع فهو مشروع، كما لا يخفىٰ.

الثامن عشر: قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: مَا أُحْدِثَ وخالف كتاباً أو سنةً أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعة الضالّة، وما أُحْدِثَ من الخير ولم يُخَالف شيئاً من ذلك، فهو المحمود، اهـ.

وَجرىٰ الإمام العز بن عبد السلام، والنووي، وابن الأثير على تقسيم البدعة إلى ما أشرنا إليه سابقاً.

التاسع عشر: كُلّ خَيرٍ تشمله الأدلّة الشرعية ولم يُقْصَد بإحداثه مخالفة الشريعة، ولم يشتمل على منكر، فهو من الدّين.

وقول المتعصّب: إنَّ هذا لم يفعله السلف، ليس هو دليلاً له، بل هو عدم دليل كما لا يَخفىٰ على من مارس علم الأصول، فقد سَمّىٰ الشارع بدعة الهُدىٰ سُنّة، ووعد فاعلها أجراً، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فعُمِل بها بعده، كتب له مثل أجر من عَمِل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء».

العشرون: أنَّ الاحتفال بالمولد إحياء لذكرىٰ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وذلك مَشروعٌ عندنا في الإسلام، فأنت تَرىٰ أنَّ أكثر أعمال الحج إنما هي إحياءٌ لذكريات مشهودة ومواقف محمودة؛ فالسعي بين الصّفا والمروة، ورمي الجمار، والذبح بمنى، كلها حوادث ماضية سابقة، يُحْيِي المسلمون ذكراها بتجديد صُوَرها في الواقع.

والدليل على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، وقوله تعالىٰ حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

الحادي والعشرون: كُلُّ ما ذكرنا سابقاً من الوجوه في مشروعيّة احتفالات المولد الشريف، إنما هو احتفالاته التي خلت من المنكرات المذمومة التي يجب الإنكار عليها، أمّا إذا اشتمل المولد على شيء ممّا يجب الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء، وارتكاب المحرمات، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف صلّى الله عليه وسلّم، فهذا لا شكّ في تحريمه ومنعه، لما اشتمل عليه من المحرمات، لكن تحريمه حينئذ يكون عارضيّاً لا ذاتياً، كما لا يخفى على من تأمّل ذلك.

رأي الشيخ ابن تيمية في المولد

يقول: قد يُثابُ بعض الناس على فعل المولد، وكذلك ما يُحْدِثهُ بعض الناس، إمّا مُضَاهاةً للنصارىٰ في ميلاد عيسى عليه السّلام، وإما محبّة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيماً له، والله قد يُثِيبُهم على هذه المحبّة والاجتهاد، لا على البدع.

ثم قال:

واعلم أنّ من الأعمال ما يكون فيه خير، لاشتماله على أنواع من المشروع، وفيه أيضاً شرّ من بدعة وغيرها، فيكون ذلك العمل خيراً بالنسبة إلى ما اشتمل عليه من أنواع المشروع وشرا بالنسبة إلى ما اشتمل عليه من الإعراض عن الدين بالكلّية، كحال المنافقين والفاسقين.

وهذا قد ابتلي به أكثر الأمّة في الأزمان المتأخّرة، فعليك هنا بأدبين:

أحدهما: أن يكون حرصك على التمسّك بالسُّنّة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، وٱعرف المعروف وأنكِر المنكر.

الثاني: أن تدعو الناس إلى السُّنّة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلّا إلى شرّ منه، فلا تَدْعُ إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب، تَركهُ أضَرُّ من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة نَوْعٌ من الخير، فعوّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان؛ إذ النفوس لا تترك شيئاً إلّا بشيء، ولا ينبغي لأَحدٍ أن يترك خيراً، إلّا إلىٰ مثله، أو إلىٰ خيرٍ منه.

ثم قال:

فتعظيم المولد واتّخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كما قدّمته لك أنه يَحْسُن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك. فقال: دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال، مع أن مذهبه؛ أنَّ زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأوّل بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخطّ، وليس مقصود أحمد هذا، وإنما قصده أنَّ هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضاً مَفسدةٌ كُرِهَ لأجلها.

مفهوم المولد في نظري

إننا نَرىٰ أنَّ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ليست له كيفيّة مخصوصة لا بُدّ من الالتزام أو إلزام الناس بها، بل إنّ كل ما يدعو إلى الخير ويجمع الناس على الهُدىٰ ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم في دينهم ودنياهم، يحصل به تحقيق المقصود من المولد النبويّ.

ولذلك؛ فلو اجتمعنا على شيء من المدائح التي فيها ذكر الحبيب صلّى الله عليه وسلّم وفضله وجهاده وخصائصه، ولم نقرأ قصة المولد النبويّ التي تعارف الناس على قراءتها واصطلحوا عليها، حتى ظنّ بعضهم أنَّ المولد النبويّ لا يتمّ إلّا بها، ثم استمعنا إلى ما يلقيه المتحدّثون من مواعظ وإرشادات، وإلى ما يتلوه القارئ من آيات.

أقول: لو فعلنا ذلك فإنه داخل تحت المولد النبويّ الشريف، ويتحقّق به مَعنىٰ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وأَظنُّ أنَّ هذا المَعنىٰ لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان.

القِيامُ في المولد

أمّا القيام في المولد النبوي عند ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم وخروجه إلى الدنيا، فإنَّ بعض الناس يظنّ ظناً باطلاً لا أصل له عند أهل العلم فيما أعلم، بل عند أجهل الناس ممّن يحضر المولد ويقوم مع القائمين.

وذلك الظنّ السيِّئ هو: أنَّ الناس يقومون معتقدين أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف، ويزيد سوء

الظن ببعضهم، فيَرىٰ أنَّ البخور والطيب له، وأنّ الماء الذي يُوضَعُ في وسط المجلس ليشرب منه.

وَكُلُّ هذه الظنون لا تخطر ببال عاقل من المسلمين، وإننا نَبرأُ إلى الله من كل ذلك، لما في ذلك من الجراءة على مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والحُكْم على جسده الشريف بما لا يعتقده إلّا مُلْحِدٌ مُفتر، وأمور البرزخ لا يعلمها إلّا الله سبحانه وتعالىٰ.

والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم أَعلىٰ من ذلك وأكمل، وأجلّ من أن يقال في حقّه: إنه يخرج من قبره، ويحضر بجسده في مجلس كذا. . . في ساعة كذا.

أقول: هذا افتراءٌ مَحْضٌ، وفيه من الجراءة والوقاحة والقباحة، ما لا يصدر إلّا من مُبغِضٍ حَاقدٍ، أو جَاهلٍ مُعاندٍ.

نعم؛ إننا نعتقدُ أنه صلّى الله عليه وسلّم حيٌّ حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، وبمقتضىٰ تلك الحياة الكاملة العليا، تكون روحه صلّى الله عليه وسلّم جوّالة سيّاحة في ملكوت الله سبحانه وتعالىٰ، ويمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم، وكذا أرواح خُلَّص المؤمنين من أتباعه.

وقد قال مالك رحمه الله: بلغني أنَّ الروح مُرسَلةٌ، تَذهبُ حيث شاءت.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض، تذهب حيث شاءت. (كذا في الروح لابن القيم ص١٤٤).

إذا علمت هذا؛ فاعلم أنَّ القيام في المولد النبويّ ليس هو بواجب ولا سُنّة، ولا يصحّ اعتقاد ذلك أبداً، وإنما هو حَركةٌ يُعبّر بها الناس عن فرحهم وسرورهم، فإذا ذكر أنه صلّى الله عليه وسلّم وُلِدَ وخرج إلى الدنيا، يتصوّر السامع في تلك اللحظة أنَّ الكون كلّه يهتزّ فرحاً وسروراً بهذه النّعمة، فيقوم مُظْهراً لذلك الفرح والسرور، مُعبّراً عنه، فهي مسألة عادية محضة لا دينية، إنها ليست عبادة ولا شريعة ولا سُنّة، وما هي إلّا أن جرت عادة الناس بها.

استحسان العلماء لقيام المولد وبيان وجوهه

واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم، وقد أشار إلى ذلك البرزنجي مؤلّف أحد الموالد النبوية بنفسه؛ إذ قال بالنصّ: (وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمّة ذوو رِوايةٍ ورَوية، فَطُوبىٰ لمن كان تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم غاية مَرامهِ ومرماه).

ونعني بالاستحسان للشيء هنا: كونه جائزاً من حيث ذاته وأصله ومحموداً مطلوباً من حيث بواعثه وعواقبه، لا بالمعنى المصطلح عليه في أصول الفقه، وأقلّ الطلاب علماً يعرف أنَّ كلمة (استحسن) يجري استعمالها في الأمور العادية المتعارف عليها بين الناس، فيقولون: استحسنتُ هذا الكتاب، وهذا الأمر مستحسن، واستحسن الناس هذه الطريقة، ومرادهم بذلك كلّه هو: الاستحسان العادي اللغوي. وإلّا كانت أمور الناس أصولاً شرعيّة، ولا يقول بهذا عَاقِلٌ، أو من عنده أَدنىٰ إلمام بالأصول.

وجوه استحسان القيام:

الوجه الأول: أنه جَرىٰ عليه العمل في سائر الأقطار والأمصار واستحسنه العلماء شرقاً وغرباً، والقصد به تعظيم صاحب المولد الشريف صلّى الله عليه وسلّم، وما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن، وما استقبحوه فهو عند الله قبيح، كما تقدم في الحديث عن ابن مسعود.

الوجه الثاني: أنّ القيام لأهل الفضل مشروع ثابت بالأدلّة الكثيرة من السُّنّة، وقد ألّف الإمام النووي في ذلك جزءاً مستقلّاً، وأيّده ابن حجر وردّ

على من اعترض على النووي بجزء سمّاه: «رفع الملام عن القائل باستحباب القيام».

الوجه الثالث: ورد في الحديث المتفق عليه قوله صلّى الله عليه وسلّم خطاباً للأنصار: «قوموا إلى سيّدكم»، وهذا القيام كان تعظيماً لسيّدنا سعد رضي الله عنه، ولم يكن من أجل كونه مريضاً، وإلّا لقال: قوموا إلى مريضكم، ولم يقل: «إلى سيّدكم»، ولم يأمر الجميع بالقيام، بل كان قد أمر البعض.

الوجه الرابع: كان من هدي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يقوم تعظيماً للدّاخل عليه وتأليفاً، كما قام لابنته فاطمة وأقرّها على تعظيمها له بذلك، وأمر الأنصار بقيامهم لسيّدهم، فدلّ ذلك على مشروعية القيام، وهو صلّى الله عليه وسلّم أحقّ من عظم بذلك.

الوجه الخامس: قد يقال: إنَّ ذلك في حياته وحضوره صلّى الله عليه وسلّم، وهو في حالة المولد غير حاضر.

فالجواب عن ذلك: أنَّ قارئ المولد الشريف مستحضر له صلّى الله عليه وسلّم بتشخيص ذاته الشريفة، وهذا التصوّر شيء محمود ومطلوب، بل لا بدّ أن يتوفّر في ذهن المسلم الصادق في كل حين، ليكمل اتّباعه له صلّى الله عليه وسلّم وتزيد محبّته فيه صلّى الله عليه وسلّم، ويكون هَوَاهُ تبعاً لما جاء به.

فالناس يقومون احتراماً وتقديراً لهذا التَّصوُّرِ الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرّسول العظيم، مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام، وهو أمرٌ عادي كما تقدم، ويكون استحضار الذاكر ذلك، موجباً لزيادة تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم.

بِدَعُ المولد النبويّ

لا شكّ أنَّ هناك بِدَعاً ومخالفات تقع في حفلات المولد النبوي التي تعقد في بعض البلاد العربية والإسلامية، وقد حذّرنا منها ونبَّهنا إلى ضررها وشرها كثيراً، ولكن شيئاً من ذلك لا يقع بفضل الله في المجالس والمحافل والاجتماعات التي تنعقد في الحرمين الشريفين خاصّة، والمملكة العربية السعودية عامّة، كيف لا . . . وهي مهبط الوحي، ومولد الإسلام ورسول الإسلام صلّى الله عليه وسلّم، وفيها الحكم بالشريعة الإسلامية، وفيها الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهي معقل التوحيد وحصنه الحصين ودرعه المتين، وعنها يؤخذ الخير، ومنها يُروىٰ الفضل، وإليها يلجأ أهل الحق، وإنما نذكر ما يقع في بعض البلدان الإسلامية، فمن ذلك اختلاط الرّجال بالنساء، وهو من أعظم أبواب الشر وأكبر أسباب الفتنة، كما جاء في الحديث.

ومن بدع الموالد: ما يفعله بعض الجهّال في بعض البلاد من اللهو واللعب والغناء المحرم، وما يتبع ذلك من السهر في معصية الله، والاستهانة بمحارم الله، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

ومن بدع الموالد: ما يحصل من بعض من يحتفل بالموالد من فعل المنكرات والتهاون بالصلوات، والتعامل بالرّبا، وتضييع السنن الظاهرة والباطنة، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

ومن أقبح أنواع الغفلة والإعراض عن الخير وعن الذي جاء به صلّى الله عليه وسلّم: أن يحتفل بعض الناس بالمولد في ليلةٍ ما، ثم يَهْجُرونَهُ بقية أيام السنة، فلا يجتمعون على سيرته، ولا يتذاكرون أخباره.

ومن بدع الموالد التي تقع في بعض البلاد: الاعتناء بذكره صلّى الله عليه وسلّم والاهتمام بسيرته وقراءة أخباره، وتعطير المجالس بشمائله وفضائله ومدحه والثّناء عليه، وإطعام الطعام وفعل الخير وأنواع الإكرام في شهر ربيع فقط بمناسبة المولد النبوي الشريف.

وهي أَعْمَالٌ لا يَشُكُّ عاقل مسلم في صلاحها وحسنها وفضلها، ولكن الواجب أن لا يقتصر فعلها على شهر ربيع فقط، بل الواجب على المسلمين أن يقوموا بذلك دائماً وأبداً في كل أيّام السنة، لأنّ ذِكرىٰ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا تُحَدَّدُ بأوقات، ولا تكفي فيها أيام مخصوصة.

إنها حياة المسلم التي ينبغي أن يعيشها يومياً، وأن يتذكّرها في جميع شؤون حياته، وينبغي أن تكون هذه الاجتماعات مفتاحاً للتنبيه على هذه الحقائق، والإرشاد إلى هذه المعاني الجليلة. فلو سَلِمَ المولد النبوي من البدع التي ذكرناها وغيرها، لكان أعظم وسيلة للخير، وأجلّ باب للدعوة إلى الله تعالىٰ، وأشرف سبيل للوعظ والإرشاد، وتذكير الناس بأمجادهم وأجدادهم، وسلفهم الصالح رضي الله عنهم أجمعين، وهذا هو المقصود الأسمىٰ والغاية العُظمىٰ التي ينبغي التركيز عليها، واعتبار الاجتماعات وسائل مقبولة للوصول إلى مقاصد جليلة حميدة، وغايات نبيلة، نسأل الله سبحانه وتعالىٰ تمام التوفيق، آمين.

المَولد والمُنكرات:

كم بَيَّنَّا في كثير من كُتُبِنَا ومحاضراتنا؛ أنَّ الاجتماعات التي ندعو إليها وننادي بها ونقصدها، والتي تنعقد للاحتفال بسيرة النبيّ الكريم والرسول العظيم سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم في الحرمين ونحضرها، أو في غيرها من البلاد العربية والإسلامية كمصر، والمغرب، والشام، وبلاد الخليج، واليمن، هي مجامع شريفة ونظيفة... مجامع أدب وذوق وتقدير واحترام... مجامع فَضْلٍ وعلم، وفَرح وبَهجةٍ وسُرورٍ...

والمكان الذي تنعقد فيه هو المساجد غالباً، أشرف الأماكن وأعلاها وأكرمها (بيوت الله تعالىٰ)، أو المراكز الإسلامية والقاعات الكبرى، أو الزوايا العلمية والمدارس الدينيّة وبيوت العلماء، ويحضرها كبار العلماء من المرشدين والوعّاظ الكرام والدعاة إلى الله، ليعطّروا المجالس بنصائحهم، وإرشاداتهم، وتنقل على جميع الأجهزة الإعلامية، فهذه المجامع والمحافل

مُشرَّفة مكرَّمة مطهَّرة بحمد الله وفضله، ولعلّ المعترض رَأىٰ ما يقع من الغوغاء والسفهاء الذين يتّخذون المولد موسماً للَّهو واللعب، وفعل المنكرات. . .

فنقول له: هذا ليس خاصاً باجتماعات المولد النبويّ الشريف، بل إنّه يقع من هؤلاء في كَثيرٍ من الأماكن التي يحصل فيها اجتماع الناس مغتنمين تلك الفرصة ليستتروا تحتها، ويستظلّوا بمظلّة أشرف العناوين وأفضل المناسبات، وهذا لا يخلو منه أي اجتماع مشروع، كما يُشاهَد ذلك في المساجد، أو في أماكن الحجّ والعمرة عندما يقع الازدحام، أو في الاجتماعات السنويّة التي لا يختلف أحَدٌ في مشروعيّتها، كالاجتماع لصلاة عيد الفطر، أو صلاة عيد الأضحى، أو الوقوف بعرفات، أو رمي الجمرات وغير ذلك من المشاهد والاجتماعات، وكل هذا لا يقدح في أصل الاجتماع، لأن الماء الطَّهُورَ لا يُنَجِّسهُ شيء.

فهل يصح أن يقول عاقل: ينبغي منع هذه الاجتماعات المشروعة لما يقع فيها من بعض المخالفات والمنكرات التي تحصل من الجَهَلة؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم، ولو أنصف الناظر وتدبّر الناهي الآمر وفكّر لقال: يجب أن نمنع جميع المنكرات، وأن نُحارب كُلّ البدع التي تقع في أي اجتماع أو احتفال، سواء كان للمولد أو للمعراج، أو للحجّ، أو للعمرة، أو للعيدين، أو للتراويح، وسواء أكان ذلك في المساجد، أو في البيوت، أو في الزوايا، دون التركيز على أصل الاجتماع للمولد ومحاربة القضية من أصلها، وتجييش الجيوش الفكرية في بعض الأجهزة الإعلاميّة، أو على المنبر في الخطب الجُمَعِية لمحاربة الاجتماع على المولد من حيث هو اجتماع، والاحتفال به لإحياء المناسبة في وقتها المناسب بها.

أقول: لو دعا المرشدون النّاصحون الناس إلى محاربة البدع والمنكرات من حيث هي بِدَعٌ ومنكرات، سواء كانت في اجتماع المولد أو غيره، لكان ذلك عين الصواب، ولقام معهم في هذا الباب كل عاقل فَاهمٍ وغَيُورٍ نَاصحٍ حَريصٍ على الخير، دَاعٍ إلى الهُدىٰ.

شُبهٌ سَاقطةٌ

اعلم أنَّ المولد في حقيقته ـ عندنا ـ ما هو إلّا اجتماعٌ يُقْصَدُ منه سَماعُ سيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتَذَكُّرُ مِنّة الله وفضله على الأمّة بهذا النبيّ الكريم الرّؤوف الرحيم صلّى الله عليه وسلّم.

وهناك عِلَلٌ وَاهِيَةٌ، وشُبَهٌ سَاقِطَةٌ يتمسّك بها المنكِرون للمولد وينادون بها في كل عام.

منها: أنَّ المحتفِلين بالمولد يعتقدون أنه عِيدٌ ثالثٌ، وهذه دَعوىٰ مَردودَةٌ كما سبق بيانه.

ومنها: أنَّ الاحتفال بالمولد زِيَادةٌ في الشريعة وتَكميلٌ للدين، لأنه لو كان خيراً لفعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذه العلّة معلولة، لأنه لا أحد من عوامّ المسلمين يعتقد أو يظن ذلك ـ فضلاً عن علمائهم ـ، وليس كل ما لم يفعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والسلف، وفعله من بعدهم، يعتبر تكميلاً للدّين واستدراكاً على الشريعة... حاشا وكلّا، ثم حاشا وكلّا... وإلّا فأين باب الاجتهاد؟

وماذا يقولون في ألوف المسائل الاجتهادية التي ظهرت فيما بعد القرون الفاضلة؟ هل هي تَكْمِيلٌ للدين أيضاً؟!

وهل يصح أن يقال: إنها فاتت على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والسلف؟ وأنّهم نسوا ذلك، أو قصروا فيه، أو جهلوه؟

سبحانك هذا بهتان عظيم!!

ثم نقول: ومن الذي ادّعى أنَّ عمل المولد من الكيفيّات التعبّدية المنصوص عليها بعينها؟!!

فهذا الادّعاء أكذَبُ من الكذب، وأبطَلُ من البَاطل، وقد تقدم الردّ على هذه الفِريَةِ بما فيه الكفاية.

ومنها: أنَّ الاحتفال بالمولد بِدعَةٌ رافِضِيَّة، لأنَّ أوّل من اخترعها هم الفاطميّون، وهم زنادقة روافض أحفاد عبد الله بن سبأ!! هكذا يقولون؛

والجواب عن هذه العِلّة: هو ما قرّرناه سابقاً؛ من أنَّ أوّل المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد نفسه، وهو سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وذكرنا الدليل على ذلك، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في الكيفيّة والطريقة التي تطوّرت وتغيّرت، وهي ليست أمراً نصّيّاً على أنه قد اعتنىٰ به الناس قبل الفاطميّين، وَأَلَّفُوا فيه وفي قراءته الكتب المخصّصة لذلك.

الافتراء على ابن كثير وتحريف كلامه:

وقد مهد المغرضون لنشر باطلهم ولو بالتدليس كعادتهم على عامّة المسلمين وقليلي الفهم منهم، حيث قالوا بالحرف الواحد:

إنَّ الحافظ ابن كثير ذكر في «البداية والنهاية» [١١/ ١٧٢] أنَّ الدولة الفاطمية العبيدية ـ المنتسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي ـ والتي حكمت مصر ما بين سنتي (٣٥٧هـ ـ ٥٦٧هـ) أحدثت احتفالات بأيام كثيرة، ومنها الاحتفال بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، اهـ.

هذا ما نقلوه عن الحافظ ابن كثير.

وحسب المرجع الذي أشاروا إليه نقول لهم: كذبتم والله!! فإننا وجدنا ما ادّعيتموه على الحافظ وما نقلتموه عنه، هو عين الكذب والافتراء، والتدليس والخيانة في النُّقُول عن علماء الأمّة، وإن كنتم مُصِرّين على ذلك... فنقول لكم: أخرجوه لنا إن كنتم صادقين.

وأين أنتم من ادّعائكم بأنكم ستناقشون هذه القضية بِعَدْلٍ وإنصاف، وتَجرُّدٍ عن كُلّ هَوىٰ... بل إنه عين التعصّب المخزي والهوىٰ المَمْقوت، فكيف نأمن بعد ذلك ـ يا أخي المسلم ـ لمثل هؤلاء في نُقُولِهِم عن علماء الأمّة.

وإليك أخي المسلم الرأي الحقيقي للحافظ ابن كثير في عمل المولد ونشأته، والذي أخفاه من يَدّعي مناقشة الموضوع بعدل وإنصاف.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» [١٣/١٣٦] طبعة مكتبة المعارف، ما نصّه:

«... الملك المظفر أبو سعيد الكُوكبري، أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة (انظر إلى قوله: آثار حسنة) وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً، فاتكاً عاقلاً عالماً عادلاً، رحمه الله وأحسن مثواه».

إلى أن قال: «وكان يصرف في المولد ثلاثمائة ألف دينار» اهـ.

فانظر رحمك الله إلى هذا المدح والثناء عليه من ابن كثير، إذ إنه وصفه بأنه عَالِمٌ، عَادِلٌ، شَهمٌ، شُجاعٌ، إلى قوله: رحمه الله وأحسن مثواه، ولم يقل: زِنديقٌ، فَاجِرٌ، فَاسِقٌ، مُرْتَكِبٌ للفواحش والموبقات، كما هي دَعوىٰ المعارض فيمن يقول بعمل المولد الشريف!!

وَأُحِيلُ القارئ إلى نفس المرجع، فهناك كلام أعظم مما ذكرت في حق الإمام الجليل لم أنقله خوف الإطالة.

وانظر إلى قول الإمام الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» [٢٢/ ٣٣٦] عند ترجمة الملك المظفر ما نصّه: «كان متواضعاً، خيّراً، سُنِّياً يُحِب الفقهاء والمُحَدِّثين».

أقوال أئمة الهُدَى في الاحتفال بالمولد

(١) **الإمام الحجة الحافظ السيوطي**: عقد الإمام الحافظ السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوي» باباً أَسماهُ: (حُسن المَقصد في عمل المولد) [ص١٨٩]، قال في أوّله: «وقع السؤال عن عمل المولد النبويّ في شهر ربيع الأوّل، ما حكمه من حيث الشّرع؟ وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل يُثَابُ فاعله، أو لا؟».

والجواب عندي: «أنَّ أصل عمل المولد ـ الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في بداية أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما وقع في مولده من الآيات، ثم يُمَدُّ لهم سِمَاطٌ يأكلونه، وينصرفون من غير زيادة على ذلك ـ هو من البِدَع الحسنة التي يُثَابُ عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف».

(٢) **شيخ الإسلام ابن تيمية**: قال في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» طبعة دار الحديث [ص٢٦٦] ما نصه: «وكذلك ما يُحدِثُه بعض الناس إما مُضاهَاةً للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيماً له، والله قد يُثِيبهم على هذه المحبّة والاجتهاد...».

وقال: «فإنَّ هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه» اهـ.

فهذا قول من ترك التعصّب جانباً وتكلّم بما يرضي الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

أمّا نحن؛ فلا نفعل المولد إلّا كما قال شيخ الإسلام: «محبةً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيماً له»، والله قد يُثِيبُنَا على هذه المحبّة والاجتهاد، ولله درّ القائل:

دع ما ادّعته النّصارىٰ في نبيّهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شَرفٍ ... وانسبْ إلى قدره ما شئت من عظم
فإنَّ فضل رسول اللّه ليس له ... حَدٌّ فيعرب عنه ناطق بفم

(٣) شيخ الإسلام وإمام الشُّرَّاحِ الحافظ ابن حجر العسقلاني:

قال الحافظ السيوطي في نفس المرجع السابق ما نصّه: «وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما نصه: «أصل عمل المولد بِدْعَةٌ لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدّها، فمن تحرَّى في عملها المحاسن وتجنّب ضدّها، كانت بدعة حسنة وإلّا فلا.

وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في «الصحيحين» من أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، وَنَجّىٰ موسى، فنحن نصومه شكراً لله، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء النعمة، أو دفع النقمة...

إلى أن قال: وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نبيّ الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأمّا ما يُعمل فيه، فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالىٰ، من نحو ما تقدّم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيءٍ من المدائح النبويّة والزهدية المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة»، انتهى كلامه رحمه الله.

فهذه الاستنباطات هي التي قال عنها المعارض: إنها استدلال بَاطِلٌ وقياس فَاسِدٌ، وأنكرها، فليت شعري من المنكر ومن المَنْكور عليه؟!

وأمّا قول المنكر: إنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين... إلخ.

فإنّنا نقول: التّرك وحده إن لم يَصْحَبْهُ نَصٌّ على أنَّ المتروك محظور،

لا يكون نصّاً في ذلك، بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع، وأمّا أنّ ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً، فهذا لا يستفاد من التّرك وحده، وإنما يستفاد من دليل يَدُلُّ عليه، ومع ذلك فهذا الاعتراض ساقط، لأنَّ الخلاف كما قُلنا في الكيفيّة والطريقة، لا في أصل الحقيقة(٥).

وأمّا الادّعاء بأنَّ أكثر من يحتفل، هم من الفَسقَةِ والفُجّارِ ممن تعاملوا بالربّا، وتهاونوا في الصلوات، وضيّعوا السنن الظاهرة والباطنة، وعُرِفُوا بكثرة المعاصي والآثام، وارتكاب الفواحش والموبقات، فهذا قَذفٌ صريحٌ، وافتراءٌ واضِحٌ على رؤوس الأشهاد، وسيُسأل عنه قائله غداً؛ إن لم يُسأل عنه اليوم، وعليه أن يُثْبِتَ بما عنده من أدلّة أنهم كما قال، وإلّا فسينتقم الله منه.

وأمّا نحن فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!!

ونقول: وهل كُلُّ الذين يحضرون الصلاة في جماعة، ويصومون، ويحجّون ويعتمرون، ويقرؤون القرآن، وَيَعْمُرونَ المساجد بالاعتكاف، مُنزّهُونَ عن هذه النقائص؟

أقول: أليس فيهم من يأخذ الرّبا، وَيأكلُ أموال الناس بالباطل؟

أليس فيهم من يَشربُ الخمر، ويَفعلُ الفواحش؟

أليس فيهم من يُخطئ، وَيتوبُ ويرجع؟

وَكُلّ ابن آدم خطّاء، والإنسان مَحلُّ النسيان والتقصير.

نعوذ بك اللّهمّ من الكِبْر والعُجْبِ ورؤية النفس، وطريقة إبليس القائل: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [صَ: ٧٦].

وقد قال العلماء: إنَّ العالم إذا قال: هَلكَ الناس، مُحتقراً لهم مُعجَباً بنفسه؛ فهو أهلكهم وأخسرهم.

(٥) وقد بسطنا القول في هذه المسألة في رسالة خاصة عن البدعة.

ومن العِلَل التي يَتَعلَّلُ بها المنكرون قولهم: إنَّ الاحتفال ليس دليلاً على محبّته صلّى الله عليه وسلّم.

والجواب: أننا لم نَقُل أبداً: إنّ الاحتفال بالمولد، هو الدّليل الوحيد على محبّته صلّى الله عليه وسلّم، وإن من لم يحتفل؛ فليس بمُحِبٍّ، بل إننا نقول: إنَّ الاحتفال بالمولد مَظهرٌ من مظاهر محبّته، وهو دليل من دلائل التعلّق به واتّباعه، ولا يلزم أن من لم يحتفل؛ لا يكون مُحِباً، ولا مُتَّبِعاً.

وإثبات المحبّة بالاتّباع، لا ينفي إثباتها به مع مزيد العناية والاهتمام المشروعين المُتَمثِلين في الاحتفال، الذي لا يَخْرج عن القواعد والأصول عند ذوي العقول، ولو بحث العاقل وأنصف المُنكر، لوجد أنَّ الكثرة الكاثرة ممن يحتفل؛ هم على النقيض تماماً ممّا افتراه المفترون، وتشدّق به المتشدّقون القاذفون، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً.

ومن الشُّبَه والمغالطات التي يَصْرُخُ بها المنكرون والمعترضون قولهم: إنه يَحصُل في المولد اختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات، والنظر إلى المردان... إلخ تلك السفاهات.

وقد كَذَب والله هذا القائل، فقد حضرنا مئات من حفلات المولد، فلم يقع اختلاط، ولم نسمع معازف، ولم نَرَ شيئاً من هذا الافتراء وخصوصاً في بلادنا في الحرمين الشريفين، ولا ندري كيف يثبتون أنَّ ذلك يحصل في هذا البلد، وهذه مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر منتشرة بفضل الله في طول البلاد وعرضها، ومع ذلك لم يضبطوا ـ وعلى مرّ السنين ـ حالة واحدة من هذه الاحتفالات فيها ما ذُكِرَ، من اختلاط وشرب وعزف وغناء وفساد عظيم، هذا أَمرٌ وَاضِحٌ كوضوح الشمس في رابعة النهار، ولا ينكره إلّا أعمى أو مُتَعامٍ.

وليس يَصِحُّ في الأذهان شَيْءٌ … إذا احتاج النَّهارُ إلى دَليل

فإذا قال: لكن ذلك إنما يَحصُل في بعض البلدان الخارجية.

قلنا: إذن لماذا عمّمت؟ وكان الواجب أن تقول: إنه يَقعُ في بعض

البلدان كذا وكذا، إن كنت قد تبيّنت أنَّ الذي نَقَل ذلك الخبر ليس بفاسق، أو كنت قد شاهدت ذلك بعيني رأسك.

ومع ذلك لو أنصفت لقلت: إنه يقع في بعض البلدان من الجهلة الغوغاء، وعامّة السفهاء الذين لا وزن لهم ولا قيمة في ميزان الحق، ولا اعتبار بهم في دليل ولا تعليل.

وقد بُلِينَا بأقوام ابتلاهم الله تعالىٰ بقصر النظر وضيق الأفق، فلا يرون إلّا أنفسهم، ولا يفهمون من النصوص إلّا مدلولاتها الحرفيّة، وظواهرها اللفظيّة، وليس عندهم استعداد لفهم غير ذلك، أو تصوّر خلافه، ولذلك فإنّهم يسلكون مسلك التعميم في أحكامهم وردودهم وإنكارهم، كالاستشهاد بحديث: «من أَحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردّ»، وحديث: «كُلُّ مُحدثَةٍ بدعة، وكُلُّ بدعةٍ ضلالة» إلى إطلاق القول في أنَّ احتفالات الموالد فيها اختلاطٌ وشربٌ ولَهْوٌ وغِناءٌ... إلخ، دون التفات إلى أقوال أهل العلم في تقييد أحاديث البدعة، ودون تفهم لكلمة: (ما ليس منه) التي في حديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردّ»، مع أنَّ كُلَّ من أمعن النظر أو لم يمعن، لكن فكّر قليلاً، سيعرف أنَّ المردود من الأعمال، هو ما لم تشمله قواعد الشريعة وأصولها، وهذه مسألة قد غدت من المسائل المعلومة المشهورة عند أهل العلم وطلّابه.

ومن الشُّبَه الساقطة قول بعضهم: إنَّ آية ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] لا تدلّ على الفرح بالرسول صلّى الله عليه وسلّم، كما استظهرنا ذلك في أدلّة المولد، قالوا: لأنَّ المراد بالرحمة هنا: الإسلام والقرآن، ونقلوا أقوال بعض المفسّرين في ذلك، وَجُملةً من الآثار في هذا الباب، مع أنه لم يرد حديث مرفوع في ذلك، ولا يصح لأحدٍ حينئذ أن يقول: هذا القول هو قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

نقول: سبحان الله... أيّ شيء أعجب وأغرب من هذا، ولولا أن هذا المُنْكِرَ يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله، لقلنا: إنه عدوٌّ

مُضِلٌّ مُبِينٌ، ومُبْغِضٌ حَاقِدٌ مهِينٌ، لكن تَشفَعُ له كلمة التوحيد، فتكفّ عنه أَلسِنةُ المؤمنين الموحّدين المحبّين، ويحملونه على الجهل وسوء الفهم تحسيناً للظنّ به، كما هو شأن أهل الإيمان.

وفي الجواب أقول: لقد جاء وصف الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالرّحمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ووصفه بالرحيم في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفي الحديث الشريف نصوص كثيرة في هذا الموضوع.

فما المانع من أنَّ الرحمة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨] تشمل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيكون: الإسلام، والقرآن، والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كُلُّ ذلك رحمة.

ومن الذي جاء بالإسلام الذي هو الرّحمة؟

ومن الذي أُنزل عليه القرآن الذي هو الرحمة؟!

أليس هو النبيّ محمداً صلّى الله عليه وسلّم الذي جاء بهذه الرحمة؟!

فلو لم يأتِ في القرآن نصّ صَريحٌ بإطلاق لفظ: «الرحمة» على شخصه الكريم وذاته الشريفة، لكفىٰ ذلك دلالة وإشارة إلى أنه جاء بالرحمة؛ فهو رحمة.

رَحــمــةٌ كُــلّــهُ وحَــزمٌ وعَــزمٌ ... وَوُقــارٌ وعِــصــمَــةٌ وحَــيــاءُ

فكيف وقد جاء التصريح بذلك في القرآن، فعلى مذهب صاحب (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) لا شكّ في أنَّ الآية الكريمة تشمل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فهو رحمة الله التي أمرنا الله بالفرح بها: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] وهو فضل الله ونعمته العظمى، وحبله المتين كما جاء في الآية الأخرى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية.

فهو حَبلُ الله وَنِعمةُ الله، لأنّه هو الذي ألَّف بين قلوبهم بما جاء به من القرآن والإسلام، والهدي القويم والصّراط المستقيم.

قال ابن إسحاق فيما رواه الطبري في «تفسيره»: ثم إن الله عزّ وجلّ أطفأ ذلك بالإسلام، وألّف بينهم برسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم، فذكرهم جلّ ثناؤه، اهـ.

ومن الشُّبهِ الساقطة قول بعضهم: إنَّ يوم ولادته هو نفس يوم وفاته، فليس الفرح بأولىٰ من الحزن، وكان الأولىٰ بالمُحِبِّ أن يَتّخِذَ هذا اليوم مأتماً ويوم حُزنٍ.

ونقول: إنَّ الإمام العلامة جلال الدين السيوطي قد كفانا الرَّدَّ على هذه المغالطة، فقال في كتابه «الحاوي» ما نصه:

«إنَّ ولادته صلّى الله عليه وسلّم أَعظمُ النِّعم، ووفاته أَعظمُ المصائب لنا، والشريعة حثّت على إظهار شُكرِ النِّعم، والصبر والسكون عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شُكرٍ وفَرحٍ بالمولود، ولم يَأمُر عند الموت بذبح (عقيقة) ولا بغيره، بل نَهىٰ عن النياحة وإظهار الجزع، فدلّت قواعد الشريعة على أنه يَحْسُنُ في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلّى الله عليه وسلّم، دون إظهار الحزن فيه بوفاته، وقد قال ابن رجب في كتابه «اللطائف» في ذم الرافضة... حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل مقتل الحسين، ولم يأمر الله ولا رسوله صلّى الله عليه وسلّم باتّخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف ممن هو دونهم».

والحاصل: أنَّ كثيراً من (أصحاب) هذه الاعتراضات يَنطبقُ عليهم حديث المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الذي أَخرجهُ أبو يعلىٰ عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مما أخاف عليكم؛ رَجلٌ قرأ القرآن حتى إذا رُئِيَت بهجته عليه، وكان رِداؤه الإسلام، انسلخ منه ونبذه

وراء ظهره، وسعىٰ على جاره بالسيف ورماه بالشرك، قال: قلت: يا نبيّ الله، أيهما أولىٰ بالشرك، المَرمِيُّ أو الرَّامي؟ قال: بل الرَّامي». قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد.

ومن الشبه الساقطة التي يتمسك بها بعضهم قولهم: إنَّ خَبَر عِتقِ أبي لهب لثويبة مولاته لما بَشّرتهُ بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أَثَرٌ باطِلٌ، لأنه رُؤيَا منام، لا حُجَّة فيه، وأنه مُخَالفٌ للقرآن، ثم يستدلّون بكلام ابن حجر ويقولون: ذكر الحافظ في «الفتح» أنه رؤيا منام، لا حجة فيه.

أقول: هذا ابن حَجرٍ الذي استدلّ بكلامه هنا ووصفه بالحافظ، هو ابن حجر نفسه الذي استنبط تخريج المولد على أصْلٍ صحيح، مُستَدلاً له بحديث صوم عاشوراء كما تَقدّم، ولكن المُنكرَ لم يأخذ بكلامه هناك، بل قال: «إنَّ استدلال ابن حجر بحديث صيام عاشوراء، استدلالٌ باطِلٌ، وقِياسٌ فَاسِدٌ».

فانظر يا أخي إلى اعوجاج مسلك هذا المخالف!!، فإنه يَكْتَرِثُ بابن حجر عندما يظن أن اجتهاده يوافق هواه، فيقول: قال (الحافظ)، هكذا مُحتَرِماً مُقَدِّراً واصفاً له (بالحافظ)، ولم يكترث حتى بذكر اسمه عندما رَأىٰ أنَّ اجتهاده يُخالف هواه، هذا إذا كان يَعلمُ أنَّ ابن حجر هو أول من خَرّجَ المولد على حديث عاشوراء، أمّا إذا كان لا يعلم، فحَسْبُكَ بالجهل قاضٍ على صاحبه.

وَأزِيدُكَ عِلْماً وبياناً عن جهل هذا المنكر المستدلّ بكلام ابن حجر في رَدِّ خبر ثويبة: «بأنه رؤيا منام لا حُجّةَ فيه»، بأنَّ هذا الناقل حرّف كلامه وتصرّف فيه بما يُوَافِق هواه، إذ قطعه عن أصله، ولم يأت به على وجهه الصحيح، ولو جاء به كاملاً لَصَكّهُ بحجّته، وَردّهُ على عقبه مخذولاً.

فإنَّ الحافظ ابن حجر ردّ هذا الاعتراض، وبيَّن في خاتمة بحثه: أنه يَجُوزُ أن يتفضّل الله بما شاء على أبي لهب، كما تفضّل على أبي طالب، والمُتّبعُ في ذلك؛ التوقيف نفياً وإثباتاً، والتفضيل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البِرُّ له، ونحو ذلك، وقد كتبنا بحثاً خاصاً عن هذا الخبر في كتابنا «المفاهيم» **وإليك نصه:**

قصةُ عِتق ثُويبة

يذكر العلماء في كتب الحديث والسيرة، قصة عتق أبي لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنَّ العباس بن عبد المطلب رَأىٰ أبا لهب في النوم بعد وفاته، فسأله عن حاله، فقال: لم ألق خيراً بعدكم، غير أنّي سُقِيت في هذه بعتاقتي ثويبة، وإنه لَيُخفَّفُ عَليَّ في كل يوم الاثنين.

قلت: هذا الخبر رواه ونقله جُملةٌ من أئمّة الحديث والسير، مثل: الإمام عبد الرزاق الصنعاني، والإمام البخاري، والحافظ ابن حجر، والحافظ ابن كثير، والحافظ البيهقي، وابن هشام، والسهيلي، والحافظ البغوي، والإمام محمد بن عمر الشافعي تلميذ الحافظ السخاوي، والأشخر، والعامري، وسأبين ذلك بالتفصيل فيما يأتي:

فأما الإمام عبد الرزاق الصنعاني: فقد رواه في «المصنف» [٧/٤٧٨]، وأما الإمام البخاري: فقد رواه في «صحيحه» بإسناده إلى عروة بن الزبير مُرسَلاً في (كتاب النكاح)، «باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾» [النساء: ٢٣]. وأمّا ابن حجر: فقد ذكره في «الفتح» وقال: إنه رواه الإسماعيلي من طريق الذهلي، عن أبي اليمان، ورواه عبد الرزاق عن مَعمر وقال: وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، لكنه مُخَالفٌ لظاهر القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وأجيب **أولاً**: بأنَّ الخبر مرسل، أَرسلهُ عروة ولم يذكر من حَدّثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً، فالذي في الخبر رؤيا منام، فلا حجّة فيه، ولعلّ الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد، فلا يحتجّ به.

وثانياً: على تقدير القبول؛ فَيحتَمِلُ أن يكون ما يَتعلّقُ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مخصوصاً من ذلك؛ بدليل قصة أبي طالب كما تَقدّمَ أنه خُفِّفَ عنه، فَنُقلَ من الغمرات إلى الضَّحضاح.

وقال البيهقي: ما ورد من بطلان الخير للكفار، فمعناه: أنهم لا يكون لهم التخلص من النار، ولا دخول الجنّة، ويجوز أن يُخفّفَ عنهم من العذاب الذي يَستوجِبُونهُ على ما ارتكبوه من الجرائم، سِوىٰ الكفر بما عَمِلُوه من الخيرات.

وأمّا القاضي عياض فقال: انعقد الإجماع على أنَّ الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يُثابُونَ عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإن كان بعضهم أشدّ عذاباً من بعض.

قلت: وهذا لا يَردُّ الاحتمال الذي ذكره البيهقي، فإنَّ جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر؛ فما المانع من تخفيفه؟

وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا، وبمن ورد النص فيه.

وقال ابن المُنَيّر في «الحاشية»: هنا قضيتان:

إحداهما: مُحَال، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأنَّ شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مَفقودٌ من الكافر.

الثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضّلاً من الله تعالىٰ، وهذا لا يُحِيلُهُ العقل.

فإذا تقرّر ذلك؛ لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قُربةً مُعْتبرةً، ويجوز أن يتفضّل الله عليه بما شاء، كما تَفضّلَ على أبي طالب، وَالمُتّبعُ في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً.

قلت: وتتمّة هذا، أن يقع التفضّل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البرّ له، ونحو ذلك، والله أعلم. «فتح الباري [٩/ ١٤٥]».

وأمّا الحافظ ابن كثير: فقد رواه في «البداية والنهاية» وقال مُعلِّقاً: لأنه لما بَشّرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله؛ أعتقها من ساعته، فجُوزِيَ بذلك لذلك اهـ. «البداية والنهاية» لابن كثير [٢/ ٢٧٣].

وأما الإمام محمد بن عمر بَحْرق الشافعي تلميذ الحافظ السخاوي: فقد رواه في «سيرته»، وقال مُعَلّقاً: «قلت: فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما خفّف عن أبي طالب لا لأجل العتق، لقوله تعالىٰ: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]» اهـ. من «حدائق الأنوار» [ص١٠٧][٦].

وأما الحافظ البغوي: فقد رواه في «شرح السُّنّة» [٥/ ٦٠].

وأما الإمام العامري: فقد رواه في «بهجة المحافل»، وقال شارحه الأشخر: «قيل: هذا خاص به إكراماً له صلّى الله عليه وسلّم، كما خفّف عن أبي طالب بسببه، وقيل: لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيراً» اهـ. من «شرح البهجة» [١/ ٤١].

وأما السهيلي: فقد رواه في «الروض الأنف» في شرح «السيرة» لابن هشام وقال بعد نقل الخبر: «فنفعه ذلك وهو في النار، كما نفع أخاه أبا طالب ذبُّه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهو أَهونُ أهل النار عذاباً، وإلّا فعمل الكافر كله مُحبَطٌ بلا خلاف، أي لا يجده في ميزانه، ولا يدخل به جنة» اهـ. «الروض الأنف» [٥/ ١٩٢].

---

(٦) ذكر في الطبعات السابقة لكتابنا «حول الاحتفال» هذا النص معزواً للحافظ ابن الديبع، وذلك اعتماداً على أن كتاب «حدائق الأنوار» قد طبع منسوباً إليه، وقد ظهرت طبعة جديدة للكتاب المذكور محقق النسبة إلى الإمام الفقيه القاضي محمد بن عمر بحرق الشافعي المتوفىٰ سنة ٩٣٠هـ، وهو تلميذ الحافظ السخاوي، وابن الديبع عَصْريّه، لذا لزم التنبيه عليه.

حاصل البحث

والحاصل: أنَّ هذه القصة مَشهورةٌ في كتب الأحاديث، وفي كتب السير، ونقلها حُفّاظٌ معتبرون معتمدون، ويكفي في توثيقها كون البخاري نقلها في «صحيحه» المتفق على جلالته ومكانته، وَكُل ما فيه من المسند صحيح بلا كلام، وأما المعلقات والمرسلات[٧] التي فيه، فإنها لا تخرج أصولها عن دائرة المقبول، ولا تَصِلُ إلى المردود، كما هي مُفَصلةٌ في مواضعها، وهذا يَعْرفهُ أهل العلم المشتغلون بالحديث والمصطلح، والذين يعرفون معنى المُعلّق والمُرسَل، ويعرفون حكمهما إذا جاءا في الصحيح.

فانظر إن شئت ذلك في كُتُبِ المصطلح، كـ«ألفية» السيوطي، والعراقي وشروحهما، و«تدريب الراوي»، فإنهم تعرّضوا لهذه المسألة، وبيَّنوا قيمة ما في الصحيح من المُعلّقِ والمُرسَل، وأن ذلك مقبول عند المحقّقين.

ثم إنَّ هذه المسألة من المناقب والفضائل والكرامات التي يذكرها العلماء في كتب الخصائص والسِّيَر، ويتساهلون في نقلها، ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه، ولو ذهبنا إلى اشتراط هذا الشرط الشاذ، لما أمكن لنا ذكر شيء من سيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل البعثة وبعد البعثة، مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة، وعلى صنيعهم المعول، والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف، تجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل، وما أُخِذَ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأنَّ

(٧) سيأتي بحث خاص عن الحديث المرسل وموقف السلف منه.

ذلك مما يجوز ذِكْرهُ في هذا المقام، إلّا ما تحقق وضعه، وثبتت نكارته.

أمّا قول من قال: إنَّ هذا الخبر يُعارِضُ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فهذا قول مردود بما قاله العلماء، ونقلناه عنهم سابقاً.

وتحرير الكلام في هذا المقام: هو أنَّ الآية تدلّ على أنَّ أعمال الكفار لا يُنْظَر إليها، وليس فيها أنهم سواء في العذاب، وأنه لا يُخَفّفُ عن بعضهم العذاب، كما هو مقرّر عند العلماء.

وكذلك الإجماع الذي حَكاهُ عياض، فإنه في عموم الكفار، وليس فيه أنَّ الله تعالىٰ لا يُخَفّف العذاب عن بعضهم لأجل عمل عملوه، ولهذا جعل الله تعالىٰ جهنم دركات، والمنافقون في الدَّركِ الأسفل منها.

ثم إنَّ هذا الإجماع يَرُده النَّص الصحيح، ولا يصح إجماعٌ مع مُخَالفةِ النَّص، كما هو معلوم للطلبة، وذلك أنه ثبت في «الصحيح» أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُئل: هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يَحُوطكَ، ويدافع عنك؟ فقال: «وجدته في غَمراتٍ من النار، فأخرجته إلى ضَحْضَاحٍ منها...» الحديث.

فها هو أبو طالب قد نَفعهُ دفاعه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأخرجه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من أجل ذلك من غمرات النار إلى ضحضاح منها.

فالتخفيف عن أبي لهب من هذا الباب أيضاً، لا مُنكَر فيه، والحديث يدلّ على أنَّ الآية المذكورة فيمن لم يكن لهم عَمَلٌ يُوجِبُ التخفيف، وكذلك الإجماع.

وفي حديث أبي طالب المذكور؛ دَلالةٌ وأيُّ دلالةٍ على أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يَتصرّفُ الآن، وقبل يوم القيامة في أمور الآخرة، ويشفع لمن تَعلّق به، ودافع عنه.

وأمّا قول من قال: إنَّ هذا الخبر رؤيا منام؛ لا يَثبتُ بها حكم، فإنَّ هذا القائل ـ هداه الله للصواب ـ لا يُفرّقُ بين الأحكام الشرعية وغيرها.

أما الأحكام الشرعية؛ فإنَّ الخلاف واقع بين الفقهاء: هل يجوز أخذ الأحكام وتصحيح الأخبار برؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام، أم لا؟...

وأما غيرها، فإنَّ الاعتماد على الرؤيا في هذا الباب، لا شيء فيه مُطلقاً.

وقد اعتمد عليها الحُفَّاظ وذكروا ما جاء في رُؤيا أهل الجاهلية قبل بعثة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المُنذرةِ بظهوره، وأنه سيقضي على الشرك وما هم عليه من فساد. وكُتُبُ السُّنة مملوءة بهذا، وفي مقدمتها كتاب «دلائل النبوة» وعدُّوها من الإرهاصات التي لا مانع من الاستدلال في شأنها بالرؤيا، ولولا ذلك لما ذكروها.

فقول القائل في شأن رؤيا العباس: إنها ليست بِحُجَّةٍ، ولا يَثبتُ بها حُكمٌ ولا خبر، خُروجٌ عن عمل الأئمة من الحفاظ وغيرهم، والمراد به التهويل لا غير، وما هكذا يكون شأن الباحث عن الحق، والأمر لله.

وأمّا من قال: إنَّ الرّائي والمُخْبِرَ هو العباس في حال الكفر، والكفار لا تُسمع شهادتهم، ولا تُقبَلُ أخبارهم، فإنَّ هذا قَولٌ مَردودٌ، لا رائحة للعلم فيه، وهو بَاطلٌ، ذلك لأنه لم يقل أَحدٌ إنَّ الرؤيا من باب الشهادة مطلقاً، وإنما هي بِشَارةٌ لا غير، فلا يشترط فيها دِينٌ ولا إيمان.

بل ذكر الله تعالىٰ في القرآن معجزة يوسف عليه السلام عن رؤيا مَلِكِ مصر، وهو وَثنيٌّ لا يعرف ديناً سماوياً مطلقاً، ومع ذلك جعل الله تعالىٰ رؤياه المنامية من دلائل نبوّة يوسف عليه السلام وفضله، وقرنها بقصّته، ولو كان ذلك لا يدل على شيء، لما ذكرها الله تعالىٰ، لأنها رؤيا مشرك وثني، لا فائدة فيها، لا في التأييد ولا في الإنكار.

ولهذا ذكر العلماء أنَّ الكافر يَرىٰ الله تعالىٰ في المنام، ويَرىٰ ذلك ما فيه إنذارٌ وتَوبِيخٌ وتَقْرِيعٌ.

وَالعَجبُ كُلّ العَجبِ من قول القائل: إنَّ العباس رَأىٰ ذلك في حال كفره، والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم، فإنَّ هذا القول يدلّ على عدم المعرفة بعلم الحديث، إذ المقرّر في المصطلح: أنَّ الصحابي أو غيره إذا تَحمّلَ الحديث في حال كفره، ثم رَوىٰ لك بعد إسلامه، أُخذَ ذلك عنه وَعُملَ به، وانظر أمثلة ذلك في كتب المصطلح لتعرف بُعْدَ صاحب هذا القول عن العلم، وإنما الهَوىٰ هُوَ الذي حمل المعترض على الدخول فيما لا يتقنه.

ونختم البحث بأن نقول: إنَّ رؤيا العباس هذه تَختلفُ عن جميع المرائي، إذ هي متميزة بأنها يَحْكِيها العباس بحضرة سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد سمعها وأقرّها وصدّقها، ولو كان فيها مُخَالفةٌ للدين، لأنكرها وردّها، لكنه حيث سمعها وَأَقَرّها، فإنها أصبحت سُنّةً تقريرية، كقصة تميم الداري وَخَبرِهِ عن الجساسة التي رآها، وقد نقلها أصحاب الصحيح.

وكالحديث المشهور بحديث أم زرع، الذي رَوَتهُ السيدة عائشة رضي الله عنها لسيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفيه خبر النسوة اللواتي اجتمعن وتذاكرن أحوال أزواجهن، وهو من أخبار الجاهلية، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تَقُصّ الخبر على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يستمع إليها باهتمام شديد، ويتجاوب معها في الكلام وَيُعلّقُ على القصة بقوله: «كنتُ لكِ كأبي زرع لأم زرع».

فهذا الخبر صار حديثاً مرويّاً له حُكْمُ الرفع، وذكره العلماء في كتب الأحاديث، ومنهم البخاري في «الصحيح»، ومسلم في «الصحيح»، والترمذي في «الشمائل المحمدية» مع أنه قِصَّة عن نسوة اجتمعن في الجاهلية، لكن بسماع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له، أَخَذَ حُكمَ الحديث المرفوع، واستحقّ أن يُروىٰ في كتبه ودواوينه المعتبرة.

تحقيق البحث في العمل بالحديث المرسل:

اختلف العلماء من الأصوليين وأهل الحديث في حُكْم الحديث المُرسل على أقوال متعدّدة مبسوطة في كتب المصطلح والأصول، فارجع إليها إن شئت، لكن هنا مَسألةٌ أُخرىٰ، وهي: مسألة العمل به، والنظر إليه بالاعتبار، والقبول في الدائرة التي تناسبه، انطلاقاً من قاعدتين عظيمتين:

الأولى: قاعدة العمل بالحديث الضعيف، وذلك عند من لا يقول بالاحتجاج بالمرسل.

والثانية: قاعدة تقديم كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على آراء الرجال، لذلك فإنَّ العمل بالحديث المرسل والاحتجاج به في محله اللائق به، من الأمور المطلوبة والمُوصَىٰ بها، وإهماله وإلغاؤه من الاعتبار، لا شكّ أنه إضَاعةٌ لذخيرةٍ كَبيرةٍ من السُّنّة النبوية، فإذا أَدّىٰ ذلك إلى الأخذ بالآراء والأقوال الاجتهادية دونه، فهي خسارة ظاهرة.

قال في «اللباب»: ومن ترك العمل بالمرسل؛ فقد ترك أكثر أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال أبو الوليد الباجي: «ولو تَتَبعتَ أخبار الفقهاء السبعة، وسائر أهل المدينة، والشاميين، والكوفيين، لوجدت أئمتهم كلهم قد أرسلوا الحديث»، ثم هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (مسنده) من أكثر مسانيد الصحابة رضي الله عنهم، وقد ثبت بخبره أنه لم يسمع من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلّا نحواً من سبعة أحاديث[٨].

قال الإمام العلامة الشيخ ملا علي القاري: اعلم أنَّ علماءنا رحمهم الله أكثر اتباعاً للسُّنةِ من غيرهم، وذلك أنهم اتبعوا السلف في قبول المرسل، معتقدين أنه كالمُسنَد في المُعتمد، مع الإجماع على قبول مراسيل الصحابة من غير نزاع. ثم قال: وأشار إلى ذلك الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد».

(٨) «اللباب في الجمع بين السنة والكتاب» للإمام أبي محمد علي بن زكريا المنبجي.

ثم قال: والحاصل: أنَّ المرسل حُجَّةٌ عند الجمهور، ومنهم الإمام مالك، ونقله الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في «التحقيق» عن أحمد، وَروىٰ الخطيب في كتاب «الجامع» أنه قال: ربما كان المُرسَل أقوىٰ من المُسنَد، وجزم بذلك عيسى بن أبان من أصحابنا، وطائفة من أصحاب مالك، أنَّ المرسلات أَوْلَىٰ من المُسنَدات، وَوَجهُهُ: أن من أسند، فقد أحالك البحث عن أحوال من سَمّاهُ لك، ومن أرسل من الأئمة حديثاً مع علمه ودينه وثقته، فقد قطع لك على صحته، وكَفاكَ بالنظر.

ثم قال: وقالت طائفة من أصحابنا وأصحاب مالك: لسنا نقول إنَّ المُرسَل أقوىٰ من المُسند، ولكنهما سواء في وجوب الحُجَّةِ، واستدلّوا بأن السلف أرسلوا ووصلوا وأسندوا، فلم يَعِبْ وَاحدٌ منهم على صاحبه شيئاً من ذلك.

ثم قال: وأما المتقدمون من السلف، فلم يَرُدوا شيئاً من ذلك، كما فعل الإمام مالك في «موطئه» كذلك، وذلك لعدم الفرق عندهم بين المرسل والصحيح والحسن، وَيُطلقُونَ المرسل على المنقطع، وعلى المُعْضَل(٩).

---

(٩) انظر «شرح النقاية» للشيخ ملا علي القاري.

الخاتمة

في بيان بعض الكتب المشهورة
المصنفة في هذا الباب

الكُتبُ المُصَنّفةُ في هذا الباب كَثيرةٌ جِدّاً، منها المنظوم ومنها المختصر، والمطول والوسط، ولا نريد في هذه العجالة الموجزة أن نستوعب ذكر ذلك كله، لكثرته وسعته، وكذلك لا نستطيع أن نقتصر على ذكر شيء من ذلك على وجه الإجمال، لأنه ليس مُصَنّفٌ أولى من مُصَنّفٍ في تقديم ذكره، وإن كان لا بدّ أن يكون بعضها أفضل وأجلّ من بعض، ولذلك فإني سأقتصر هنا على كبار علماء الأُمّةِ من حفاظ الحديث، وأئمة الدِّين الذين صَنَّفُوا في هذا الباب، وظهرت لهم موالد مشهورة معروفة، فمنهم:

(١) الإمام المُحدِّث الحافظ عبد الرحمٰن بن علي الشهير بأبي الفرج ابن الجوزي المتوفَّى سنة ٥٩٧هـ، ومولده مشهور وَيُسمّىٰ «العروس»، وقد طبع بمصر مرات.

(٢) الإمام المُحدِّث المُسنِد الحافظ أبو الخطاب عمر بن علي بن محمد المعروف بابن دحية الكلبي المتوفَّى سنة ٦٣٣هـ، له مولد عظيم اشتمل على تحقيقات مفيدة وفوائد عديدة سَمّاهُ «التنوير في مولد البشير النذير» ومنه نسخة خطية بمكتبة الأسد بدمشق.

(٣) الإمام شيخ القراء وإمام القراءات في عصره الحافظ المُحدِّث المُسنِد أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الله الجزري الشافعي المتوفَّى سنة ٦٦٠هـ، له مولد مشهور مخطوط سماه «عرف التعريف بالمولد الشريف» ومنه نسخة بمكتبة بايزيد باسطنبول.

(٤) الإمام المُفتي المُؤرخ المُحدِّث الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، صاحب «التفسير» الشهير، و«التاريخ» و«السنن» المعروفة المتوفَّى سنة ٧٧٤هـ، وقد صنّف الإمام ابن كثير مولداً نبوياً طبع أخيراً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

ثم قام العلامة الفقيه السيد محمد بن سالم بن حفيظ مفتي تريم بنظمه وشرحه، وقد عَلّقنا عليه وطبعناه في سوريا سنة ١٣٨٧هـ.

(٥) الإمام الكبير والعلم الشهير حافظ الإسلام وعمدة الأنام ومرجع المُحدّثين الأعلام، الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن المصري الشهير بالحافظ العراقي، المولود سنة ٧٢٥هـ، والمتوفَّى سنة ٨٠٨هـ، له مولد شريف عظيم أسماه «المورد الهني في المولد السني» منه نسخة مخطوطة ببرلين.

(٦) الإمام المُحدّث الحافظ محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي الشافعي، المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المولود سنة ٧٧٧هـ، والمتوفَّى سنة ٨٤٢هـ، شيخ دار الحديث بدمشق والمتفاني في الشيخ ابن تيمية محبة وتعظيماً ودفاعاً عنه، وهو صاحب كتاب «الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر».

وقد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة، فمن ذلك:

١ ـ جامع الآثار في مولد النبي المختار في ثلاث مجلدات ومنه نسخ بمكتبة الأسد بدمشق، ومكتبة دار الكتب المصرية.

٢ ـ اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق، وهو مختصر ومنه نسخة بمكتبة الحرم المكي.

٣ ـ مورد الصادي في مولد الهادي ومنه نسخ بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ومكتبة حسن حسني بتونس.

(٧) الإمام المؤرخ الكبير والحافظ الشهير محمد بن عبد الرحمٰن

القاهري المعروف بالحافظ السخاوي، المولود سنة ٨٣١هـ، والمتوفَّى سنة ٩٠٢هـ بالمدينة المنوّرة، وهو صاحب «الضوء اللامع» وغيره من الكتب المفيدة وقد صنف مولداً نبوياً سَمّاهُ «الفخر العلوي في المولد النبوي» ذكره في «الضوء اللامع» [١٨/٨] وطبع في الأردن سنة ١٤٠٧هـ.

(٨) العلامة الفقيه السيد علي زين العابدين السمهودي الحسني مؤرخ المدينة المنورة المتوفَّى سنة ٩١١هـ، له مولد مختصر يقع في (٣٠ صفحة)، سماه «الموارد الهنية في مولد خير البرية»، ومنه نسخ خطية بمكتبات المدينة المنورة ومصر وتركيا.

(٩) الحافظ وجيه الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي المعروف بابن الدَّيبع، والدَّيبع: بمعنى الأبيض بلغة السودان، هو لقب لجدّه الأعلى علي بن يوسف. ولد في محرم سنة ٨٦٦هـ، وتوفي يوم الجمعة ثاني عشر من رجب الفرد سنة ٩٤٤هـ، وكان رحمه الله أحد أئمة الزمان إليه انتهت مشيخة الحديث، حدّث بالبخاري أكثر من مائة مرة وقرأه مرة في ستة أيام، وقد صنف مولداً نبوياً مشهوراً في كثير من البلاد، وقد حققنا وعلقنا عليه، وخَرّجنا أحاديثه بفضل الله.

(١٠) العلامة الفقيه الحجة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المتوفَّى سنة ٩٧٤هـ. مفتي الشافعية بمكة المكرمة، له مولد متوسط يقع في (٧١ ورقة)، منه نسخ في مكاتب تركيا ومصر وسمّاه «إتمام النعمة على العالم بمولد سيد ولد آدم»، وله مولد آخر مختصر طبع بمصر وسماه «النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم».

وقد صنف الشيخ إبراهيم الباجوري حاشية على مولد ابن حجر سماها: «تحفة البشر على مولد ابن حجر» ذكرها في «الأعلام».

(١١) العلامة الفقيه الشيخ محمد بن أحمد الشربيني الخطيب المتوفَّى سنة ٩٧٧هـ، له مولد مخطوط يقع في (٥٠ ورقة).

(١٢) العلامة المحدِّث المسند الفقيه الشيخ نور الدين علي بن سلطان الهروي المعروف بالملا علي القاري المتوفَّى سنة ١٠١٤هـ، صاحب شرح المشكاة المسمى «بمرقاة المفاتيح»، ترجمه الشوكاني في «البدر الطالع»، وقال: قال العصامي في وصفه: هو جامع العلوم العقلية والنقلية والمتضلع من السُّنة النبوية أحد جماهير الأعلام ومشاهير أُولي الحفظ والأفهام، وقد صنف في مولد الرسول صلّى الله عليه وسلّم كتاباً واسمه «المورد الروي في المولد النبوي». وقد حققته بفضل الله تعالىٰ وعلّقْتُ عليه، وطبعته لأول مرة في مصر بمطبعة السعادة سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(١٣) العلامة المحدِّث المسند السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة، قد اختُلف في وفاته، فقد ذكر بعضهم؛ أنه توفي سنة ١١٧٧هـ، والزبيدي في «المعجم المختص» وهو مخطوط أنه توفي سنة ١١٨٤هـ، والزبيدي لقيه وحضر دروسه في المسجد النبوي الشريف، وهو صاحب المولد المشهور المعروف بمولد البرزنجي، واسمه «عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر» ومولده هذا من أشهر الموالد وأكثرها انتشاراً في البلاد العربية والإسلامية شرقاً وغرباً، بل ويحفظه الكثير من العجم والعرب، يقرؤونه في المناسبات الاجتماعية والدينية، وقد اشتمل على خلاصة للسيرة النبوية من المولد، فالمبعث، فالهجرة، فالأخلاق، فالغزوات إلى الوفاة، وهو الذي يقول في أوله: «أبتدئ الإملاء باسم الذات العلية، مستدرّاً فيض البركات على ما أناله وأولاه»، وشرحه العلامة الفقيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بعليش المتوفَّى سنة ١٢٩٩هـ شرحاً كافياً مفيداً سماه «القول المنجي على مولد البرزنجي» طبع بمصر مراراً، ونظمه حفيده العلامة الفقيه المؤرخ السيد زين العابدين بن محمد الهادي بن جعفر بن حسن البرزنجي وذلك في ١٩٨ بيتاً يقول في أوّله:

بَدَأْتُ باسم الذّات عاليةِ الشَّان بها مُسْتَدِرّاً فيض جود وإحسَانِ

ويقول مبيناً أنَ جَدّهُ هو صاحب المولد الأول المنثور:

وأسأله التوفيقَ في نظم مَوْلدٍ   لِجَدِّي الذي من جعفر الفضل أرواني

ويقول في بيان اسمه ونسبه إلى السيد جعفر:

وبالعفوِ والغفرانِ فَٱمْنُنْ تَكَرُّماً   لِناظمِ عِقْدٍ عَزَّ عَنْ قَدْرِ أثمانِ

عُبيدك زينُ العابدين هو الذي   محمّد الهادي أبوه وسبطانِ

إلى آل برزنج شهير انتِمَاؤُه   ونسبتُه للمصطفى ذات بُرْهَانِ

وحقق لبحر الفضل جعفر فوزه   بقربك وارفعه بأرفع كُثْبانِ

وقد ذكروا أن اسم النظم «الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر».

(١٤) العلامة أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد العدوي الشهير بالدَّرْدِير المتوفَّى سنة ١٢٠١هـ، له مولد مختصر مطبوع بمصر وعليه حاشية واسعة مفيدة مطبوعة أيضاً لشيخ الإسلام بمصر العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري، أو الباجوري المتوفَّى سنة ١٢٧٧هـ.

(١٥) العلامة الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري المصري المتوفَّى سنة ١٣٠٥هـ، له مولد مختصر مخطوط.

(١٦) الإمام العارف بالله المحدِّث المسند السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني الحسني المتوفَّى سنة ١٣٤٥هـ، له مولد يسمَّى «اليمن والإسعاد بمولد خير العباد»، ويقع في جزء لطيف طبع بالمغرب سنة ١٣٤٥هـ، في (٦٠ صفحة)، ويشتمل على فوائد علمية وتحقيقات حديثية وتاريخية.

(١٧) العلامة المحقق الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفَّى سنة ١٣٥٠هـ، له مولد منظوم سماه «جواهر النظم البديع في مولد الشفيع» طبع مرات ببيروت.

ومن كتب الموالد المهمة كتاب الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المسمى «بعثة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم».

ومن كتب الموالد المهمة كتاب «ذكر المولد وخلاصة السيرة النبوية وحقيقة الدعوة الإسلامية» للشيخ السيد محمد رشيد رضا.

هذه خلاصة عن أهم كتب الموالد المشهورة اليوم، وكثير منها من تأليف علماء الأمة من الحفاظ والمحدثين والعلماء المشهورين.

وقد كتبنا في هذا الموضوع دراسة وافية، نسأل الله سبحانه وتعالىٰ تمامها وظهورها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام



بقلم

صاحب السماحة والمعالي

السيد يوسف هاشم الرفاعي

دفع بعض الاعتراضات الباطلة

١ ـ وقد استدلّ بعضهم بكلام ابن القيم في «أعلام الموقعين» [٢/ ٣٩٠] وبكلام ابن الحاج في (الجزء الرابع) من «المدخل» [ص٢٧٨] ومفادهما:

أن ما لم يفعله السلف الصالح، فإن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أيضاً تركه، وهم ما تركوه إلَّا لكونه لا خير فيه، فتركه سُنّة، ومن استحب فعل ما تركه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ كان كمن استحب ترك ما فعله، ولا فرق.

الجواب: أنَّ الاحتفال بالمولد النبوي ليس من أمثلة هذه القاعدة التي ذكرها ابن الحاج، وابن القيم، لأنَّ القاعدة التي ذكراها إنما هي في العبادات التوقيفية التي كانت كيفياتها بتحديد من الشارع الحكيم صلّى الله عليه وسلّم، كما يُعْلَمُ من الأمثلة التي ذكرها ابن القيم في كلامه، وكما هو موضوع كلام ابن الحاج، وهي صلاة الرغائب، وإنما قلنا: إنَّ الاحتفال بالمولد النبوي ليس من شواهد القاعدة الداخلة فيها، لأنه من باب كيفيات الاجتماع لذكر الله سبحانه وتعالىٰ، والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي أصلها مَشروعٌ بنصِّ أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وكيفياتها مَوكُولةٌ إلى الأُمّة.

وأيضاً؛ وإن كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله من حيث الكيفية المعروفة الآن، إلّا أنه قد حثّ عليه في أحاديث الترغيب إلى الاجتماع في ذكر الله سبحانه وتعالىٰ، «إن لله تعالىٰ ملائكة يلتمسون مجالس الذكر»، و«إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذكر»، إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة.

وأيضاً؛ أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد أمر الاحتفال بمولده

الشريف لما سئل عن صيام يوم الاثنين، فقال: «ذاك يوم وُلدتُ فيه». فيقاس على ما في هذا الحديث كُلّ ما يدل على الاحتفال والشكر على مولده الشريف، من إطعام الطعام، وقراءة سيرته وشمائله، ونحوها.

ولو سُلِّمَ إطلاق القاعدة التي ذكرها ابن الحاج وابن القيم، لكان هذا طريقاً ورأياً لهما مُخَالِفاً لما عليه كثير من علماء الأصول القائلين: بأن الترك ليس دليلاً على بدعية المتروك أو سُنِّيتهِ، وللشيخ عبد الله الغماري رسالة في هذه المسألة اسمها «حُسْن التَّفهمِ والدرك لمسألة الترك».

٢ ـ قال بعضهم: وأما تقسيم العز بن عبد السلام البدعة إلى الأحكام الخمسة، فقد أجاب عنه الشاطبي في «الاعتصام» [١/ ١٥٥ ـ ١٦٧].

الجواب: أن قاعدة «كل بدعة ضلالة» متفق عليها، وإنما اختلفنا في فهمها وتعيين مرادها، فالشاطبي وجماعته قالوا: بأنها كل ما اخترع في العبادات لا العادات، والعِزُّ، والقرافي وجماعتهما قالوا: إنها كل ما ابتدع واخترع من العقائد والعبادات التي قد حدّد الشارع كيفيّاتها، وهذا معلوم وكيف نقض العِزُّ، والقرافي قاعدة «كل بدعة ضلالة»، وهي قاعدة شرعية معلومة من الدين بالضرورة، فلا تعارض بين هذه المسألة وبين كلامهم في تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام، لأنَّ هذا التقسيم إنما هو زيادة بيان وفائدة في الحكم على جميع ما ابتدع من العبادات والعادات والعقائد، مما ليس في العهد النبوي، فجعلوه يحتوي على أحكام خمسة، فهذا ما يسمى بالبدعة اللغوية، فلعلّ هذا من الاختلاف اللفظي.

وللعزّ ابن عبد السلام أُسوَةٌ في هذه المسألة بسيّدنا عمر رضي الله عنه القائل: نعمت البدعة هذه، نعم؛ الأولى تجنّب إطلاق هذه الكلمة (البدعة) على ما ثبتت شرعيته لإيهام ذلك أنه ضلالة، ولكن من عرف سياقات المقالات، فهم الفرق بين البدعة الدينية الضالّة، وبين البدعة اللغوية التي قد تكون حسنة.

٣ ـ قال بعضهم: فما أوهمه محمد بن علوي المالكي في رسالته في

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف [ص٣٨] من أنَّ مولد الحافظ ابن كثير من جنس الموالد التي تعرضت للاحتفال بالمولد النبوي، غير صحيح.

الجواب: هذا الذي يدّعيه بعضهم، أنَّ مولد الحافظ ابن كثير ليس من جنس الموالد، فهذا افتراءٌ من هذا المُدَّعي، لأنَّا لم نقل: إنَّ كتب الموالد كلها تعرضت للاحتفال بالمولد النبوي، فضلاً عن البدع والمنكرات التي ذكرها هذا المُدَّعي، فالمُدَّعي قد جانب الصواب في إلصاق هذه المنكرات بالاحتفال بالمولد النبوي الذي أجزناه، وهو يدلّ على جهله، فإنا قد بيَّنَّا أنَّا ننكر تحديد وقت معين للاحتفال بالمولد النبوي، واشترطنا جوازه بأن لا يشتمل على المنكرات والمعاصي.

٤ ـ قال بعضهم: وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد بأنه أمر استحسنه العلماء، وجرىٰ به العمل في كل صقع، فالجواب عنه: بما بيَّنه الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» [ص٢٩١] إلخ.

الجواب: أنَّ الاحتجاج باستحسان العلماء أمرٌ مُخْتلفٌ فيه بين أهل العلم، فما دام كذلك، فَالمسلِمُ العاقل يأخذ من أقوالهم ما يريده، ليعمل فيما أراد العمل به، على بصيرة واتباع لقول أحد العلماء.

٥ ـ واستدلّ بعضهم بكلام الشاطبي في «الموافقات» [٣/٧١] الذي ملخصه: منع حمل النص الشرعي على ما لم يفهمه السلف، واستدلّ أيضاً بكلام ابن عبد الهادي في «الصارم»، وابن الموصلي في «مختصر الصواعق» ثم قال: هذه إرشادات من الشاطبي، وابن عبد الهادي، وابن الموصلي، لو مَشىٰ على ضوئها محمد بن علوي المالكي، لم يقع فيما وقع فيه من تحميل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] ما لم يُحَمِّلْه السلف من الاحتفال بالمولد النبوي.

الجواب: أنَّ الشيخ محمد بن علوي المالكي إنما مَشىٰ على القاعدة المشهورة في كتب الأصول وهي: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وبحديث: «فرُبَّ مُبَلَّغ أَوعىٰ من سامع»، فقد يُعطىٰ من تأخر زمانه

في الفهم، ما لم يُعْطَه الأوّلون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهل الاحتفال بالمولد النبوي إلا فَرعٌ من فروع الفرح بفضل الله وبرحمته؟! وهل من شكّ في كونه صلّى الله عليه وسلّم الرحمة المُهداة؟، وهل أَتىٰ فضل الله ـ الذي هو القرآن ـ إلّا بواسطته صلّى الله عليه وسلّم؟

٦ ـ قال بعضهم: وأما حديث «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، فالجواب عن الاستدلال به بأمور، وذكرها.

فالجواب: أنَّ تحديد معنى المسلمين الوارد في هذا الأثر: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، هل هم كلهم أو بعضهم؟، أو هل هم الصحابة فقط؟، إنما هو من اجتهادات العلماء، مثل ادّعاءات كل فريق لتحقيق أنهم هم الطائفة الواردة في حديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».

فكل يَدَّعي وَصْلاً بليلىٰ ... وَليلىٰ لا تُقِرّ لهم بذاكا

٧ ـ قال بعضهم: وأما حديث: «من سَنّ سُنّةً حسنة كان له أجرها» إلخ، فقد أجاب الإمام الشاطبي في «الاعتصام» [١/ ١٤٢ ـ ١٤٣] إلخ.

الجواب: أنَّ الشاطبي مشهور بأنه من أصحاب القول بعدم تقسيم البدعة إلى الحسنة. وإذا علمنا ذلك، فلا عجب أن أجاب عمّن استدل بهذا الحديث على البدعة الحسنة، وأمّا نحن فنقول بقول العلماء الذين قسموا البدعة إلى خمسة أقسام، كالعزّ بن عبد السلام، والنووي، وابن حجر العسقلاني وأمثالهم، ولو سُلِّمَ أن المراد بِسَنِّ سُنّةٍ حسنة هو العمل بما ثبت من السُّنّة النبوية لا الاختراع، لكان عمل الاحتفال بالمولد النبويّ أيضاً من العمل بما ثبت من السُّنّة المشروعة، وهي: ذكر الله، والصلاة على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، والشكر على ميلاده، أي: على وجود ذاته في هذه الدنيا، الذي بسببه ظهور الدِّين ونزول القرآن، ونحو ذلك من البركات.

٨ ـ قال بعضهم: وأما خَبَرُ عروة في شأن أبي لهب مع جاريته ثويبة،

فَيَمْنَعُ من قبول الاستدلال به على الاحتفال بالمولد أمور:

الأول: أنه مُرسلٌ، **والثاني**: أنه لو كان موصولاً، فلا حجّةَ فيه لأنه رؤيا منام، **والثالث**: أن هذا يُخالِفُ ما عند أهل السير من أنَّ إعتاق أبي لهب إياها كان بعد ذلك الإرضاع بدهر طويل، إلخ.

قلنا: أما الجواب عن الأمر «الأول»، والأمر «الثاني»، فقد تولّاه الشيخ محمد علوي المالكي في كتابه «المفاهيم» [ص٣١٢ إلى ص٣١٤] في آخر الكتاب ونصّها:

«يذكر العلماء في كتب الحديث والسيرة قصة عتق أبي لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنَّ العباس بن عبد المطلب رَأىٰ أبا لهب في النوم بعد وفاته، فسأله عن حاله، فقال: لم ألق خيراً بعدكم، غير أني سُقِيتُ في هذه بعتاقتي ثويبة، وإنه ليخفف عَليَّ في كل يوم الاثنين».

قلت: هذا الخبر رَواهُ جُملةٌ من أئمة الحديث والسير، مثل: الإمام عبد الرزاق الصنعاني، والإمام البخاري، والحافظ ابن حجر، والحافظ ابن كثير، والحافظ البيهقي، وابن هشام، والسهيلي، والحافظ البغوي، ومحمد بن عمر بحرق الشافعي، والأشخر، والعامري، وسَأُبَيِّنُ ذلك بالتفصيل.

فأما الإمام عبد الرزاق الصنعاني: فقد رواه في «المصنف» [٧/٤٧٨]، وأما الإمام البخاري: فقد رواه في «صحيحه» بإسناده إلى عروة بن الزبير مرسلاً في كتاب النكاح باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾، وأما ابن حجر: فقد ذكره في «الفتح» وقال: إنه رواه الإسماعيلي من طريق الذهلي، عن أبي اليمان، ورواه عبد الرزاق، عن معمر وقال: وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، لكنه مخالف لظاهر القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

وأجيب أولاً: بأنَّ الخَبر مرسلٌ، أَرسلهُ عروة ولم يذكر من حَدّثهُ به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً، فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجّة فيه، ولعلّ الذي رآها لم يكن إذ ذاك أَسلمَ بَعدُ، فلا يُحتَجّ به.

وثانياً: على تقدير القبول، فَيحتمِلُ: أن يكون ما يتعلق بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مخصوصاً من ذلك، بدليل قصة أبي طالب كما تَقدَّم أنه خُفّفَ عنه، فنُقِلَ من الغمرات إلى الضحضاح، وقال البيهقي: ما ورد من بطلان الخير للكفار، فمعناه: أنهم لا يكون لهم التخلّص من النار ولا دخول الجنّة، ويجوز أن يُخَفّفَ عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر، بما عَمِلُوه من الخيرات.

وأما عياض فقال: انعقد الإجماع على أنَّ الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يُثَابُونَ عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإن كان بعضهم أشدّ عذاباً من بعض.

قلت: وهذا لا يَرُدُّ الاحتمال الذي ذكره البيهقي، فإنَّ جميع ما ورد من ذلك فيما يَتعلّقُ بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر؛ فما المانع من تخفيفه؟

وقال القرطبي: هذا التخفيف خَاصٌّ بهذا، وبمن ورد النص فيه، وقال ابن المُنَيِّر في «الحاشية»: هنا قضيتان:

إحداهما: مُحَالٌ، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأنَّ شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مَفقودٌ من الكافر.

الثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضّلاً من الله تعالىٰ، وهذا لا يُحِيلهُ العقل.

فإذا تقرّر ذلك: لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قُربَةً معتبرة، ويجوز أن يتفضّل الله عليه بما شاء، كما تفضّل على أبي طالب، والمتَّبع في ذلك التوقيفُ نفياً وإثباتاً.

قلت: وتتمة هذا؛ أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البِرُّ له ونحو ذلك، والله أعلم .اهـ (فتح الباري [٩/ ١٤٥]).

وأما الحافظ ابن كثير، فقد رواه في «البداية والنهاية»، وقال مُعَلقاً: لأنه لما بَشَّرتهُ ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله، أعتقها من ساعته، فَجُوزِيَ بذلك لذلك، اهـ «البداية والنهاية» لابن كثير [٢/ ٢٧٣].

وأما الإمام محمد بن عمر بحرق الشافعي تلميذ الحافظ السخاوي: فقد رواه في «سيرته» وقال مُعَلّقاً: «قلت: فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما خفّفَ عن أبي طالب لا لأجل العتق؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]» اهـ من (حدائق الأنوار) [ص١٠٧].

وأما الحافظ البغوي: فقد رواه في «شرح السنة» [٥/ ٦٠].

وأما الإمام العامري: فقد رواه في «بهجة المحافل»، وقال شارحه الأشخر: «قيل: هذا خاص به إكراماً له صلى الله عليه وسلم، كما خُفّفَ عن أبي طالب بسببه، وقيل: لا مانع من تخفيف العذاب عن كُلِّ كَافرٍ عَمِلَ خيراً .اهـ من «شرح البهجة» [١/ ٤١].

وأما السهيلي: فقد رواه في «الروض الأنف» في شرح «السيرة النبوية» لابن هشام، وقال بعد نقل الخبر: «فنفعه ذلك وهو في النار، كما نفع أخاه أبا طالب ذَبُّهُ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهو أهون أهل النار عذاباً، وقد تقدم في باب أبي طالب أنَّ هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب، وإلَّا فعَملُ الكافر كلّه مُحبَطٌ بلا خلاف أي: لا يجده في ميزانه ولا يدخل به جنّة»، اهـ «الروض الأنف» [٥/ ١٩٢].

وأمّا الأمر الثالث، **فجوابه**: أنَّ هذا مما اختلف فيه بين أهل العلم، فما دام الأمر كذلك، فكل مُسلِم متديّن يختار من القولين ما يشاء، وَيتَّبعُ منهما ما يَحلُو له، وكلٌّ له دليله، ولو ثبت قطعاً أنَّ إعتاق أبي لهب ثويبة إنما

هو بعد زمان طويل من ميلاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإنَّ ذكر هذه القصة في «صحيح البخاري» لا شكّ أنه عُذرٌ في أخذ المُسلم، واحتجاجه بها.

٩ ـ قال بعضهم: وأما العبارة التي نقلها الشيخ محمد بن علوي المالكي عن شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» تحت عنوان (رأي الشيخ ابن تيمية يقول: قد يُثَابُ بعض الناس على فعل المولد) فيجاب عنها بأمور خمسة، وذكرها.

الجواب: إنما لم يذكر الشيخ السيد محمد بن علوي المالكي رأي الشيخ ابن تيمية القائل ببدعية الاحتفال بالمولد، لأنَّ هذا رَأيٌ له مشهور شُهرةً طَبّقت العالم، فلا يحتاج إلى ذكره، وإنما أراد السيد محمد علوي المالكي أن يُنبِّهَ الناس إلى سَعة رأي الشيخ ابن تيمية، أي وإن كان هو يقول بالبدعية، إلّا أنه رَأىٰ أيضاً أنه قد يثاب بعض الناس على فعل المولد للعوارض التي ذكرها، ومن الحيثيات التي ذكرها. بخلاف مناصريه اليوم فإنهم يطلقون القول بالبدعية هكذا جُزَافاً، ولا يَتَّبِعُونَهُ في تحسين الظن بالناس في أعمالهم واحتفالاتهم بالمولد.

١٠ ـ قال بعضهم: ومن عدم تأمل الشيخ محمد علوي المالكي ذلك كلّه ـ أي أن الأفضلية إنما هي لكون العبادة فيها أفضل، وأن ولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانت نهاراً، بدليل قوله صلّى الله عليه وسلّم: «ذاك يوم ولدت فيه» ـ استساغ التعليق على كلام ملا علي القاري في «المورد الروي» إلخ، فإنَّ تفضيله ليلة المولد التي مضت على ألف ليلة من ليالي القدر، يحتاج إلى دليل.

الجواب: هذه المسألة من المقارنة والمفاضلة بين ليلة المولد وبين ليلة القدر، مبنية على نقطتين مهمتين:

الأولى: أنَّ هذا بناء على القول بأنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وُلِدَ ليلاً، وهو مذهب بعض العلماء، وإن كان الراجح أنه صلّى الله عليه وسلّم ولد نهاراً، كما قال الشيخ الزركشي.

والثانية: أنَّ المراد بليلة المولد المُفَضّلَة: هي الليلة التي وُلِدَ فيها صلّى الله عليه وسلّم حقيقة، والتي قد مضت، لا الليالي المتكرّرة لليلة الميلاد، وهذه المُفَاضلةُ ليس معناها: تشريعَ قيام، أو عِبادةٍ مَخصُوصةٍ في هذه الليالي، بل إظهار فَضْلِ تلك الليلة التي وُلِدَ فيها صلّى الله عليه وسلّم على ليلة القدر، نظراً إلى كثرة البركات والثمرات في ليلة الميلاد، التي من جملتها نزول القرآن، ثم ظهور فضل ليلة القدر، ولولا ليلة الميلاد، لما حصل وظهر لنا فضل ليلة القدر. فهذا هو المراد، لا ما يتبادر إلى الأذهان القاصرة التي تجعل المقارنة مسألة مبتدعة.

وقد حصل للإمام ابن تيمية أنه تَكَلَّمَ عن مسألة المقارنة بين ليلة الإسراء وبين ليلة القدر، انظر هذه المسألة ونَصَّ فَتوىٰ ابن تيمية في «مفاهيم يجب أن تصحح» [ص٢٠٠]، ونصّها:

«ذكر بعض العلماء في الخصائص النبوية: أنَّ ليلة المولد النبوي أَفضلُ من ليلة القدر، وعقد مقارنة في هذا الموضوع بين الليلتين».

والذي نُحِبُّ أن نذكره هنا هو: أنَّ المقصود بهذه الليلة هي: الليلة التي وقع فيها الميلاد النبوي حَقِيقةً، وهي قد مضت منذ مئات السنين، وهي كانت قبل أن تُعْرفَ أو تَظهر ليلة القدر بلا شك، وليس المقصود بذلك ليلة المولد المتكرّرة كل عام، والتي هي نظائر ليلة الميلاد الحقيقي.

والحق أنَّ البحث في هذه المسألة ليس بكبير فائدة، ولا يترتّب على إنكاره، أو الإقرار به ضَرَرٌ أو خَطَرٌ، ولا يُعارِضُ ذلك شيئاً من أصول العقيدة، وقد بحث العلماء في مسائل حقيرة، وألّفوا فيها رسائل خاصة، وهي لا تساوي شيئاً أمام هذه المسألة.

والحاصل: أننا نعتقد أنَّ هذه المُفَاضلةَ هي بين ليلة المولد الحقيقي، وبين ليلة القدر، وأنَّ الليلة التي وقع فيها المولد النبوي والتي جَرىٰ فيها بَحثُ المُفاضَلة والمقارنة، قد مضت وانتهت ولا وُجُودَ لها اليوم.

أمّا ليلة القدر، فهي مَوجُودةٌ وَمُتكررةٌ في كُلّ عام، ولذلك فهي أفضل الليالي؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١ ـ ٣].

والبحث في هذه المسألة وأمثالها جَرىٰ بين أئمّة العلم، وتكلّم فيها كِبارُ السلف، فهذا الشيخ الإمام ابن تيمية يَتكّلمُ عن مسألة المقارنة بين ليلة القدر وليلة الإسراء، ويبحث فيها بدقّة وإتقان، مع أنه لم يَثْبُتْ أنه بَحث فيها أو تكلّم عنها أَحدٌ قبله من أئمة السلف، وأهل القرون الأولى، فضلاً عن الصحابة، فضلاً عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

فَتوىٰ ابن تيمية في الموضوع:

قال الإمام الشيخ ابن القيم: سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلة القدر أفضل، فأيّهما مُصِيب؟

فأجاب: الحمد لله، أمّا القائل بأن ليلة الإسراء أَفضلُ من ليلة القدر، فإن أراد به أن تكون الليلة التي أُسْرِي فيها بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ونظائرها من كُلِّ عام أَفضلَ لأمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم من ليلة القدر، بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أَفضلَ منه في ليلة القدر، فهذا بَاطلٌ لم يَقُله أَحدٌ من المسلمين، وهو مَعلومُ الفساد بالاطّراد من دين الإسلام.

وإن أراد الليلة المُعَيّنة التي أُسريَ فيها بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يُشرعَ تخصيصها بقيام ولا عبادة، فهذا صحيح. (انظر زاد المعاد لابن القيم).

١١ ـ قال بعضهم: وقد وقع غَلطٌ من الشيخ محمد علوي في جزمه بأنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال في حديث فضل الجمعة: (وفيه ولد آدم)، فإنه لم يقل: وُلدَ، وإنما جاء عنه في رواية (خُلِقَ آدم)، وفي رواية أخرى: (فيه خَلَقَ الله آدم).

الجواب: أنَّ هذا الغلط هو سبق قَلم، وقد صَحَّحهُ الشيخ محمد علوي المالكي في الطبعة الأخيرة لكتابه «حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف».

١٢ ـ قال بعضهم: وفي إجابة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن صيام يوم الاثنين بهذا الجواب كما في «لطائف المعارف» [ص٩٨]، إشارةٌ إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدّد فيها نِعَمُ الله على عباده.

ثم قال في التعليق: هذا هو الصواب، لا قول الشيخ محمد علوي المالكي: «هذا في معنى الاحتفال به، إلّا أنَّ الصورة مختلفة، ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام، أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر، أو صلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو سماع شمائله الشريفة»، اهـ.

الجواب: سَلكَ الشيخ محمد علوي مسلك القياس وتوسيع المفاهيم والأخذ بالعلّة، وهي الاحتفال بمولده الشريف، فهذه العلّة تَدْخل فيما ذكره من إطعام الطعام إلخ، فهل من مَانِع من هذا القياس واطّراد معلولاتها؟ وهل من تحديد في كيفيات الذكر والاجتماع فيه وإطعام الطعام، ونحوه؟

١٣ ـ قال بعضهم: وأمّا دَعوىٰ الشيخ محمد علوي المالكي أنه لو كانت كل بدعة محرمة، لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرّصاص والمدافع والدبّابات والطيارات والأساطيل.

فالجواب عليها: بما بيَّنه الإمام ابن القيم في كتابه «الفروسية» [ص١٠١] حيث قال في القسي الفارسية... إلخ.

الجواب: أنَّ كلام الشيخ محمد بن علوي المالكي إنما هو رَدٌّ على من يطلق القول: بأنَّ كل ما لم يَفعلهُ السلف بدعة محرمة، كما قالوا في الاحتفال بالمولد النبوي: إنه لم يفعله السلف فهو حرام، فكان الشيخ محمد بن علوي المالكي يَرُدُّ على هذه المقالة، وقال: إنها تستلزم حرمة الحرب بالمدافع والدبابات إلخ. ولو قال المردود عليه: إن كُلّ ما لم يفعله

السلف، مما ليس عليه دليل شرعي ثابت هو الحرام، وأمّا ما قام عليه الدليل، فقد يكون غير حرام، فهذا التفصيل هو الذي يرضي الجميع، ولا يلزم منه هذا الرد بالإلزام، فكذلك الاحتفال بالمولد النبوي لما كان ثابتاً بالأدلّة الدالّة على دخوله تحت كُلِّيَّة التعظيم والمحبة للجناب المحمدي، ولم يشتمل على المنكرات، فهو جائز، وإن لم يفعله السلف من الصحابة والتابعين، ولم يَقُل أَحدٌ باستحبابه من حيث هو، بل من يقول بالاستحباب أو المشروعية، إنما نظر إلى اشتماله على الصلوات على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقراءة بعض سيرته، وإطعام الطعام، ونحو ذلك، وعدم اشتماله على مُحَرَّمٍ كما هو الجاري في الموالد التي تقام الآن في الحجاز[١٠].

(١٠) انتهت رسالة السيد يوسف الرفاعي.

الهدي التام

في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام

للعلامة الفقيه المتفنن الشيخ

محمد علي بن حسين المالكي

المدرس بالمسجد الحرام

المتوفى ١٣٦٧هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خصّ نبيّه محمداً صلّى الله عليه وسلّم بالسيادة العامة، فهو سيّد العالمين على الإطلاق بلا نِزَاع، واختاره بعد أن نظر إلى قلوب عباده، فَبعثهُ بأحسن الشمائل وأوضح الدلائل، لِيُتمم مكارم الأخلاق لأُمّته في جميع البقاع، وأشهد أن لا إله إلّا الله المَلكُ الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللّهمّ صلِّ أفضل صلاة وأكملها وأدومها وأشملها، على صفوة الصفوة القويم الذي وصفته في كتابك العزيز بقولك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وأمرتَ أمّته بتعظيمه بقولك في كتابك القويم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢]، وعلى آله المطهّرين وأصحابه القائمين بنصرة الدين.

أمّا بعد:

فيقول من لا قَولَ له ولا حَول، ولا قوّة له ولا طَوْل، عبدُ ربّه وأسيرُ ذنبه، خادم العلم والطلبة الكرام، بالحرم الآمن والمسجد الحرام، محمد علي بن حسين المالكي المكّيّ، عامله الله ووالديه وأشياخه وإخوانه المسلمين بلطفه الخفيّ، وإحسانه الوفيّ إلى يوم الدِّين.

هذه مَوارِدُ عَذبةٌ تُرام، في حُكْم اجتماع المسلمين على قِرَاءةِ سِيرته وولادته صلّى الله عليه وسلّم، وما اعتِيدَ فيه من القيام، سمّيتُها: «الهدي التام في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام»، ورتَّبتُها على مقدمة وثلاثة موارد، وخاتمة.

أسأل الله أن يجعلها من العمل الصالح المبرور، المُوجِبِ لرضا المولىٰ الغفور، ويُحْسن إليَّ به الخاتمة إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة لما يُؤَمله المؤمّل حَقيقٌ وجَدير.

المقدمة

قال الشيخ يوسف الشلبي في: «الرسالة التامة فيما اضطربت فيه العامة»: اعلم أنَّ البدعة في اللغة: كل شيء فُعِلَ على غير مِثَال.

وقال أبو عُبيدة: البدعة: المُحدثة، وهي في الشرع: المُحْدَثُ الذي لم يُفعل في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم يدلّ عليه كِتَابٌ ولا سُنّة، ولا إجماع ولا قياس، ولا تَوَقَّفَ عليه مطلوبٌ، إذ ما يَتوقَّفُ عليه المطلوب؛ مَطلوبٌ بدليله.

وليست كُلّ بدعةٍ مُحرمَةً.

إذ لو كانت كذلك؛ لَحَرُمَ جَمْعُ أُبَيٍّ، وعمر، وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة ـ أي القُرّاء ـ رضي الله عنهم، وحَرُمَ جمع عمر رضي الله عنه للناس على قيام رمضان والمواظبة عليه، وحَرُمَ عليه قوله بالنسبة إليه: نِعْمَتِ البدعة هذه، وحَرُمَ قول عليٍّ كرّم الله وجهه: نَوّر الله قبر عمر، فقد نَوّر مساجدنا ـ أي بالنسبة للتراويح ـ، وحرُمَ التصنيف في جميع العلوم النافعة، ووجب علينا حَرْبُ الكفار بالرماح والسيف والسِّهَام، حَالَ حربهم لنا بالرصاص والمدافع، وحَرُمَ علينا حربهم بالرصاص والمدافع في تلك الحال، وحَرُمَ الأذان على المنارة، واتخاذ المدارس والرُّبطِ، إلى غير ذلك مما له دَخْلٌ في حفظ الشريعة، مما لم يُعْهَد في زمنه صلّى الله عليه وسلّم.

وأما حديث: «وكلُّ بدعةٍ ضلالة»، فقد قال صاحب «الأزهار» وغيره من أكابر العلماء: هو عامٌّ مَخْصوصٌ، والمُراد بها: كُلّ بدعةٍ سَيئةٍ.

وَيُصرّحُ بهذا القيد؛ ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من المُحْدَثات التي لم تكن في زمنه صلّى الله عليه وسلّم، كَكَتْبِ القرآن في المصاحف، والمواظبة على التراويح، كما تقدم.

قال الشافعي رضي الله عنه: ما أُحْدِثَ وخالفَ كتاباً أو سُنّة، أو إجماعاً أو أثراً، فهو البِدعة الضَّالةُ. وما أُحْدِثَ من الخير ولم يُخَالف شيئاً من ذلك، فهو البِدْعَةُ المَحْمودةُ.

وقال العزّ بن عبد السلام، والنووي وغيرهما رضي الله عنهم: البدعةُ **تكون واجبةً**: كتصنيف العلوم وتعليم النحو، والرد على أهل الزَّيغ، وكلّ مُحدَثٍ له دَخلٌ في حفظ الشريعة. **وتكون مندوبةً**: كإحداث الرُّبُطِ والمدارس، وكون الأذان على منارة، وصُنع إحسانٍ لم يُعْهد في الصدر الأوَّل. **وتكون مكروهةً**: كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. **وتكون مباحةً**: كالمُصَافحةِ عقب الصُّبح والعصر، والتوسُّع في المآكل والمَشاربِ والمساكن... **وتكون مُحَرَّمةً**: وهي المُخالفة للكتاب والسُّنة وباقي الأدلّة الشرعية، وهي المُرادة في حديث: «كل بدعة ضلالة».

وقال ابن الأثير: البدعةُ بدعتان، بِدعةُ: الهدىٰ، وبدعة: الضلالة. ثم عَرَّفَ بدعة: الضلالة المرفوضة بأنها: المُخَالفة للكتاب والسُّنَّة، وباقي الأدلة الشرعية ولم يكن لها مِثالٌ سابق. وعَرَّف بدعة: الهدى المحمودة: بأنها التي وقعت في عُموم ما طلبه الله ورسوله، أو التي لم تكن مُخالِفةً، وليس لها مِثَالٌ سابق، كنوعٍ من الجُود والسخاء لم يكن في الصدر الأوّل.

ثم قال: لا يجوز أن تُعْتقد بدعة: الهُدىٰ، ضَلالةً مُخالِفةً للشرع، لأنَّ الشارع سمّاها: سُنّة، ووعد فَاعِلها أجراً.

فقال صلّى الله عليه وسلّم: «من سَنّ في الإسلام سُنّة حَسنة فعُمِل بها بعده، كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقصُ من أُجورهم شيء».

قال: وأمّا قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحدثَ في أمرنا هذا ما

ليس منه، فهو رَد»، فقيّد العلماء الذي ليس منه، بكونه مُنافياً للشرع، ولا يشهدُ له شيءٌ من قَواعده، فالفِعْلُ المُنافي للشرع هو المَردودُ على فاعله، كالعبادة مع الإخلال بشرطها أو رُكْنها: كالصلاة بدون وضوء، أو ركوع أو سجود، وكالعقود الفاسدة: كالبيوع المنهي عنها.

قال الإمام ابن حجر: أمّا ما لا ينافيه، فهو غير مَردودٍ على فاعله، كسائر أنواع البِرّ التي لم تُعهد في الصدر الأوّل.

ومثّل بما تَقدّم من التَّصنِيف في العلوم النافعة. ثم قال: فذلك كُله وما شَاكلَهُ معلومٌ حُسنُهُ، ظَاهرٌ فائدته، مَقبولٌ من فَاعِله، مُثَابٌ عليه.

وقال الإمام أبو شامة شيخ النووي رحمهما الله: ومن أحسن البدع، ما يُفْعل كلّ عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلّى الله عليه وسلّم، من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور. فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشْعِرٌ بمحبّته صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعل ذلك، وبِشكر الله على النعمة المحمّدية. فَتعيّن أنَّ المذموم من البِدَع هي المُخالِفة للشرع كالعبادات الفاسدة: كاعتقاد وجوب الإنكار على ما هو سُنّة: كقراءة سورة الكهف في المسجد، وكالإنكار الموجبِ لوقوع التباغض والتحاسد والخصام بين المسلمين، التي هي أَقبحُ من الفعل المنهي عنه، وكترك الإنكار على حَرام إجماعاً، وتشديد النكير على ما هو سُنّةٌ أو مكروهٌ، حتى يُوقع في الشتم والخِصَام بين الناس المؤدّي إلى إتلاف الأموال والأبدان والأرواح اهـ. كلام الشيخ يوسف الشلبي رحمه الله تعالىٰ.

المورد الأول:

اعلم نوَّر الله قلبي وقلبك، وضاعف في النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حُبّي وحُبّك: أنَّ الغرضَ من التأليف في قصة مولده صلّى الله عليه وسلّم وشمائله ومعجزاته المأخوذة من كتب السيرة، إنما هو عَيْنُ ما قَصدهُ مؤلِّفو سيرته صلّى الله عليه وسلّم، التي هي الأصل في ذلك. وما كان قصد

مُؤَلِّفيها بجمع شمائله صلّى الله عليه وسلّم فيها مُجَرّدَ معرفة عِلْم تاريخي تميل إليه النفوس وَتَجنحُ إليه القلوب، ويُتحدّثُ به في المجالس، وَيُستشهَدُ به على المقاصد، ونحو ذلك من الفوائد. وإنما كان مقصودهم من جمع شمائله صلّى الله عليه وسلّم فَوائِدَ أُخرىٰ مهمّة.

منها: التقربُ إليه صلّى الله عليه وسلّم، واستجلابُ محبّتِهِ ورضاه، بذكر أوصافه الكاملة وأخلاقه الفاضلة، كما يَتقرّبُ الشاعرُ إلى الكريم بذكر أوصافه الجميلة وخصاله النبيلة. ولا شكّ أن جَمْعَ شمائله صلّى الله عليه وسلّم ونشرها، هو أَفضلُ وأَكملُ من مدحه بالقصائد، وقد رَضِيَ عَمَلَ من مَدحهُ بها: كحسان، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير رضي الله عنهم، وكافأهم على ذلك.

فلا شكّ أنه يَرضىٰ عمّن يعتني بجمع شمائله ونشرها صلّى الله عليه وسلّم.

ومنها: التعرّضُ لمكافأته صلّى الله عليه وسلّم على إحسانه إلينا نحن أُمَّةَ الإجابة، وإنقاذه إيّانا من ظُلمات الضلال إلى أنوار الهُدىٰ، ومن الشقاوة الأبديّة إلى السعادة السَّرمدِية.

ولا شك أنّ هذه نِعْمَةٌ كُبرىٰ لا يمكن مُقَابلتها بشيء، ولا يَقدرُ على مُكَافأته عليها إلّا الله.

فمن ثَمّ قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في «رسالته» التي رواها عنه صاحبه الإمام الربيع بن سليمان رحمه الله تعالىٰ، **ما نصّه**:

فَجزاهُ الله عنّا أفضل ما جَزىٰ مُرسلاً عمّن أرسل إليهم، فإنه أنقذنا الله به من الهَلَكَةِ، وجعلنا به من خير أمّة أخرجت للناس، دائنين بدينه الذي ارتضىٰ واصطفىٰ به ملائكته، ومَنْ أنعم عليه مِن خَلْقِهِ. فلم تُمْسِ بنا نعمة ظهرت ولا بطنت، نِلْنا بها حظاً في دين أو دنيا، أو رُفِع بها عَنّا مكروهٌ فيهما، أو في إحداهما، إلّا ومُحَمدٌ صلّى الله عليه وسلّم سَبَبُها، القائد إلى خيرها، والهادي إلى رُشْدِها، اهـ.

ومنها: أنّ معرفة شمائله الشريفة؛ تستدعي محبّته صلّى الله عليه وسلّم، لأنَّ الإنسان مجبولٌ على حُبِّ الصفات الجميلة ومَن اتّصف بها، ولا أجمل ولا أكمل من صفاته صلّى الله عليه وسلّم، فلا شكّ أن من يَطّلع عليها ولم يكن مَطبُوعاً على قلبه بِطَابع الضلال، يُحِبُّ صاحبها صلّى الله عليه وسلّم بيقين.

وبمقدار زيادة محبة العبد له صلّى الله عليه وسلّم ونقصها، تكون زيادة الإيمان ونقصه، بل رضا الله تعالىٰ والسعادة الأبدية، ونعيم أهل الجنّة ودرجاتهم فيها لا يكون جميع ذلك إلّا بمقدار محبة العبد له صلّى الله عليه وسلّم زيادةً ونقصاً. كما أن سخط الله تعالىٰ والشقاوة الأبدية، وعذاب أهل النار ودَرَكَاتِهم فيها يكون بمقدار بُغْضِه صلّى الله عليه وسلّم زيادةً ونقصاً.

ومنها: اتّباعه والاقتداء به، لمن وفّقه الله فيما يمكن به الاقتداء، كسخائه وحلمه، وتواضعه وزهده، وعبادته، وغيرها من مكارم أخلاقه وشرائف أحواله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك مُوجبٌ لمحبة الله تعالىٰ التي فيها سعادة الدّارَيْن. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، جعلنا الله من المُتّبعين له صلّى الله عليه وسلّم في شرعه القويم وصراطه المستقيم، وحشرنا تحت لوائه في زمرة أهل محبّته صلّى الله عليه وسلّم، كما في: «وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ» للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رحمه الله تعالىٰ.

قُلت: **ومنها**: أن يُثبّت الله بسماعنا شمائله المُؤَلَّفَ فيها المولد والسير قلوبنا على كمال الإيمان الرضى بالمقدور، كما ثَبّت الله قلب رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم بقَصّهِ عليه في كتابه العزيز أنباء الرسل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

بل نحن أشدّ احتياجاً إلى تثبيت فُؤادنا بسماع أنباء شمائله صلّى الله عليه وسلّم من احتياجه صلّى الله عليه وسلّم إلى تثبيت فؤاده صلّى الله عليه وسلّم بقصّ أنباء الرسل عليه كما لا يَخفَىٰ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

المورد الثاني:

قد تَقدّم آخر المُقدمةِ: أنَّ الإمام أبا شامة شيخ النووي رحمهما الله تعالىٰ قال: ومن أحسن البدع مَا يُفْعل كلَّ عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلّى الله عليه وسلّم من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشْعِرٌ بمحبّته صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعل ذلك، وبشكر الله على النعمة المحمديّة، اهـ.

وفي «الفتاوي الحديثية» لابن حجر المكي الهيتمي رحمه الله تعالىٰ، أنه سُئِلَ عن حكم المولد والأذكار التي يَفْعَلها كَثيرٌ من الناس في هذا الزمان، هل هي سُنّة؟، أو فضيلة؟. فإن قُلتُم: إنها فضيلة، فهل ورد في فَضلها أثرٌ عن السلف؟، أو شيءٌ من الأخبار؟، وهل الاجتماع للبدع المباحة جائزٌ، أم لا؟

فأجاب بقوله: «المولد والأذكار التي تُفْعَلُ عندنا، أكثرها مُشتملٌ على خَيرٍ، كصدقة وَذكْرٍ وصَلاةٍ وسَلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدحه، فهو سُنّةٌ تشمله الأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامّة؛ كقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالىٰ، إلَّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالىٰ فيمن عنده» رواه مسلم.

ورُوِيَ أيضاً أنه صلّى الله عليه وسلّم قال لقوم جلسوا يذكرون الله تعالىٰ ويحمدونه على أن هداهم للإسلام: «أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني: أنَّ الله تعالىٰ يُبَاهي بكم الملائكة». وفي الحديثين أوضَحُ دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له، وأنَّ الجالسين على خَيْرٍ كذلك، يُباهي الله بهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله تعالىٰ بالثناء عليهم بين الملائكة.

فأيّ فضائل أجلُّ من هذه؟!

وقول السائل نفع الله به: وهل الاجتماع للبدع المُبَاحة جائزٌ، أم لا؟

جوابه: نعم هو جَائِز، قال العزّ بن عبد السلام رحمه الله تعالىٰ: البدعة فِعْلُ ما لم يُعْهَد في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتنقسم إلى خمسة أحكام ـ يعني الوجوب والندب إلخ . . . ـ وطُرق معرفة ذلك: أنْ تُعْرَض البدعة على قواعد الشرع، فَأيُّ حُكمٍ دخلت فيه؛ فهي منه.

فمن البدع الواجبة: تَعلُّم النحو الذي يفهم به القرآن والسُّنّة. **ومن البدع المُحرمة**: مذهب نحو القدرية. **ومن البدع المندوبة**: إحداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح. **ومن البدع المباحة**: المُصَافحة بعد الصلاة. **ومن البدع المكروهة**: زخرفةُ المساجد والمصاحف ـ أي بغير الذهب ـ، وإلّا فهي مُحَرّمةٌ.

وفي الحديث: «كُلّ بدعةٍ ضَلالة، وكُلّ ضَلالةٍ في النار»، وهو مَحْمُولٌ على المُحرمة لا غير»، انتهى المراد من السؤال والجواب.

فَتحصّلَ من كلام أبي شامة شيخ النووي، وجواب ابن حجر في «فتاويه الحديثية»: أنَّ ما يُفْعَلُ كُلّ عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلّى الله عليه وسلّم من: الصدقات، والمعروف، وإظهار الزينة، والاجتماع على سماع قصة مولده صلّى الله عليه وسلّم وعلى الأذكار، من أَحسنِ البِدع.

أمّا أوّلاً: فَلأنهُ مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشْعِرٌ بمحبّته صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه وجلالته في قلب فَاعِله، وبشكر الله على النعمة المحمدية.

وأمّا ثانياً: فَلأنهُ مع ما فيه من الاجتماع على الخير؛ كصدقة، وذكر، وصلاةٍ وسَلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدحه، فهو سُنّةٌ؛ تَشملُهُ الأحاديث الواردة في الاجتماع على الأذكار المخصوصة والعامّة. كقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالىٰ، إلّا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالىٰ فيمن عنده» رواه «مسلم».

ويُرْوَى أيضاً أنه صلّى الله عليه وسلّم قال لِقَوْم جلسوا يذكرون الله تعالىٰ ويحمدونه على أن هَدَاهُم للإسلام: «أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني: أنَّ الله تعالىٰ يُباهي بكم الملائكة».

فلا يَشُكُّ ذو لُبٍّ أنه في الحَدِيثَيْن أوضحُ دليلٍ على فَضل الاجتماع على الخير، والجلوس له، وأنَّ الجالسين على خيرٍ كذلك، يُبَاهي الله بهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وَيذْكُرهُم الله بالثناء عليهم بين الملائكة.

فأيُّ فضائل أجلُّ من هذه؟!.

قُلتُ: على أنَّ كَونَ ذلك بدعةً من حيث إنهُ لم يُعْهَد نحوه في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إلّا أنّه عُهِدَ تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم بنظيره؛ كما وقع من خديجة رضي الله عنها من الشَّفَقةِ عليه، وإنفاق مَالِهَا عليه، حتى شكر اللَّهُ لها ذلك.

وكما وقع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من إنفَاقِ مَالهِ عليه حتى تَخلّل بالعَباء، حتى شكر اللَّهُ له ذلك.

وما تُشْعِر به آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٣].

وما يُشْعِرُ به قولُه تعالىٰ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠]، من أنَّ الحكمة في قَصّ الله تعالىٰ على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم من أنباء الرسل في كتابه العزيز هي: تَثبِيتُ فُؤاده صلّى الله عليه وسلّم، ولا شكّ أننا اليوم مُحتاجونَ إلى تثبيت فُؤادنا، بأن يُقَصَّ علينا نَبأُ نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، كما لا يَخفىٰ.

فمن ثَمَّ استنبط الإمام اليافعي من الآية المذكورة في كتابه «روض الرياحين» استحبابَ قراءةِ مناقب العلماء والأولياء.

فظهر لك من هذا: أنَّ إطلاق البدعة على فعل ما ذُكِرَ، إنما هو باعتبار

الهيئة الاجتماعية، لا باعتبار أفرادها؛ لِوُجُودِهَا في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بل رُبَّما أُخِذَ من قوله تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وُجُوبُ كُلِّ ما يُشْعِر بتعظيمه صلّى الله عليه وسلّم، حاضراً كان أو غائباً، استنباطاً من الأمر بخصوص الصلاة والسلام عليه عند مُجَرّدِ ذكر اسمه صلّى الله عليه وسلّم، بطريق تنقيح المناط وإلغاء خصوص طلبها في تعظيمه عند ذلك، واعتبار طلب عموم كُلّ ما يُشْعِرُ بتعظيمه.

كما يَشهدُ لذلك: ما وقع من أصحابه صلّى الله عليه وسلّم في تعظيمه، من نحو شُربِ بَولِهِ ودمه، ووضع شَعراتٍ من شَعره صلّى الله عليه وسلّم في قَلنسوة بعضهم(١١) وحرصه عليها، فافهم واغنم، ولا تلتفت لمن لا يَعلم، واستحكم في فُؤاده بُغْضُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وخيَّم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

المورد الثالث:

بلغني أنَّ بعض من في قلبه بُغْضٌ لما يُشْعِرُ بتعظيم نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم من البدع الحسنة التي اعتيدت في تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم من القيام عند ذكر مولده صلّى الله عليه وسلّم، ووضع أُمّهِ له، كان في مجلس يُقْرَأُ فيه المولد، فلما قام من في ذلك المجلس على مُعْتَادِهم عند

(١١) قوله: قلنسوة بعضهم، هو خالد بن الوليد وقوله: وحرصه عليها حتى إنه لما سقطت من رأسه بين يدي أعداء الله وأعدائه، خاطر بنفسه ولم يبال بهم حتى أخذها ووضعها على رأسه، وما ذاك إلا لأنه لم يشهد بها قتالاً إلَّا رُزِقَ النصر كما في كتب السيرة .اهـ. أما دمه فقد مصّهُ مالك بن سنان يوم أحد، كما رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري، وشرب عبد الله بن الزبير من دم حجامته كما رواه الحاكم، والبزار والبيهقي، والبغوي، والطبراني، والدارقطني وغيرهم. وشربت أُمُّ أيمن من بوله من غير أن تعلم أنه بول، وحديثها صحيح ألزم الدارقطني مسلماً والبخاري إخراجه في الصحيح. انظر «الشفا» للقاضي عياض، وشروحه.

ذكر مولده صلّى الله عليه وسلّم ووضع أُمّهِ له، بقي ذلك البَعضُ جالساً ولم يقم بقيام الناس، ولما عُوتبَ على ذلك، أفاد أنه متمسِّكٌ بقول ابن حجر في «فتاويه الحديثية».

وهو ما نصه: ونظير ذلك ـ أي القيام عند قراءة قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] في كونه بدعة لا ينبغي ارتكابها لإيهام العامّة ندبها ـ فِعْلُ كثيرٍ عند ذكر مولده صلّى الله عليه وسلّم، ووضع أُمّهِ له من القيام، وهو أيضاً بدعةٌ لم يَرِد فيه شيءٌ، على أنَّ الناس إنما يَفْعَلُونَ ذلك تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم، فالعوام مَعْذُورون لذلك، أي لقصدهم التعظيم به مع كراهته، لعدم الاقتداء بهم، بخلاف الخَواص ـ أي المُقتدىٰ بهم ـ، فإنهم غير معذورين، بل مَلُومونَ، لأنه يُتَوهَّم من فعلهم له أنه سُنّةٌ يثابُ عليها، فيقتدي بهم العوام في فعله، بل ربما اعتقدوا وجوبه، وهو بِدعةٌ مكروهةُ الفعلِ.

فَرأيتُ ـ كما لا يَخفىٰ على ذي لُبٍّ عنده أَدنىٰ مُسكَة من العلم ـ، أنَّ صنيعهُ هذا وتمسكَهُ بما ذُكِرَ، مُشْعِرٌ بأمرين:

الأوّل: أنه مع تمسكه بظاهر ما ذُكرَ، وزعمه تسليمه وأنه لا يرد عليه شيءٌ أصلاً، قد عدَّ نفسه من الخَواصّ المقتدىٰ بهم، مُخَالفاً لقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، ولما عليه السلف، مع زعمه أنه سَلفي. وقد قال عقبة بن صهبان: سألتُ عائشة عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

فقالت: يا بُنَيّ، كُلّهم في الجنة، **أما السابق:** فمن مضىٰ على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة، **وأما المقتصد:** فمَنْ تَبع أثره من أصحابه حتى لحق به، **وأما الظالم:** فمثلي ومثلكم.

فجعلت نفسها مَعَنَا كما في «تفسير الخازن»، مع ما هي عليه من الفضل والعلم، والمكانة عند الله وعند رسوله صلّى الله عليه وسلّم، امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

الأمر الثاني: أنه مع تزكيته نفسه، وزعمه أنه من الخواص المُقتدىٰ بهم، جَهِلَ أن ما تمسّكَ به من قول ابن حجر المذكور، فيه نَظَرٌ من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنّ مجرد كونه بدعة، لا يقتضي كونه نظير ذلك في كونه لا ينبغي فعله، لأنّ دخوله تحت قاعدة ما يُكره من البدع، إنما يَظهرُ بقياسه على القيام عند قراءة قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وهو قياسٌ مع الفَارقِ، فلا يتّجه.

وذلك: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يُثْبِت عند نزول قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ تشريعاً لأمّته ليفعلوا مثله، وإنما وثب فَزَعاً من سماعه، فلما زَالَ الفَزعُ بنزولِ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، لم يُنْقَلْ عنه صلّى الله عليه وسلّم ولا عن أصحابه وقوفٌ عند سَماعِ الآية، فمن ثَمَّ صار القيام عند سَماعها بدعةً لا ينبغي فعلها.

وأمّا قيام الناس عند ذكر مولده صلّى الله عليه وسلّم، ووضع أُمّهِ له، فإنما فَعلُوهُ تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم؛ كما صرّح ابن حجر نفسه بذلك، فكيف يتجهُ قياس مع هذا الفارق؟

الوجه الثاني: أنَّ قول ابن حجر نفسه على أنَّ الناس إنما يفعلون ذلك القيام عند ذكر مولده إلخ... تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم، ظَاهِرٌ في أنه من البدع الداخلة أولاً تحت قاعدة: إنَّ كل ما أقرَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التعظيم بمثله، أو بما في مَعناهُ، ولم يُعْهد فِعْلهُ بعينه في زمنه صلّى الله عليه وسلّم، يكون مندوباً.

وقد جعل النووي القيامَ لأهل الفضل من قَبيل المُستحبّات إن كان

للاحترام لا للرّياء، وألّف فيه جُزءاً مُستَقلاً، وَأقوىٰ ما استدلّ به حديث البيهقي في «سننه» أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً مِن فاطمة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكانت إذا دخلت عليه رَحّبَ بها وقام إليها، فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها رَحَّبت به وقامت وأخذت بيده وقبّلتها».

وتعقَّبه ابن الحاج في «المدخل»، وتعقّب تعقيبه ابن حجر، وألّف في ذلك جزءاً سَمّاهُ: «رفع الملام عن القائل باستحباب القيام للداخل من أهل الفضل والاحتشام»، وما ألطف قول القائل:

فلما بَصُرنَا به مُقبلاً حَللنا الحُبَىٰ وابتدرنا القيامَا
فلا تُنْكِرَن قِيامي له فإنَّ الكريم يُجِلُّ الكِرامَا

كما في «حاشية ابن حمدون» على «مختصر الشيخ ميارة» على «نظم ابن عاشر» في فقه مالك رضي الله عنه.

وقد رُوِيَ في القيام من «المشكاة» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حُكم سعد، بَعَثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليه وكان قريباً، فجاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للأنصار: «قوموا إلى سَيِّدكُم»، متفقٌ عليه.

فأنت تَرىٰ أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد فعل القيام تعظيماً لابنته فاطمة رضي الله عنها، وأقرّ ابنته فاطمة في تعظيمها له صلّى الله عليه وسلّم به، وأمر الأنصار في تعظيمه لسعد رضي الله عنه به.

وقد أقرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تعظيم اسمه في الأذان، بتقبيل ظفري إبهامَيْ اليدين، ومسح العينين بهما عند سماع الشهادة بإرساله صلّى الله عليه وسلّم في الأذان. ففي «فتاوي الشيخ إلياس المدني» عن «مفتاح السعادة» لطاش كُبرى زَاده، روي أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه استمع الأذان، فلمّا بلغ المؤذِّن كلمة الشهادة بإرسال رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم، قَبّلَ ظفري إبهامه ومسح بهما عينيه. فقال صلّى الله عليه وسلّم: «لأي شيء صنعتَ هذا»؟ قال: شرفاً لاسمك، وتيمّناً به يا رسول الله، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «ما أحسن هذا، فمن عمل به؛ فقد أمِنَ الرمد»، اهـ[١٢].

وأقرّ أيضاً الجارية السوداء على ضرب الدُّفّ بين يديه حين قَدِمَ إلى المدينة سالماً من بعض مغازيه.

ففي «تحفة» ابن حجر: أنَّ خبر الترمذي، وابن حِبّان: أنه صلّى الله عليه وسلّم لما رجع إلى المدينة من بعض مغازيه، قالت له جارية سوداء: إني نذرت إنْ رَدّكَ الله سالماً، أن أضرب بين يديك بالدُّفّ. فقال لها: «إن كنت نذرت أوْفِي بنذرك»، يشهد بندب ضرب الدُّفّ بقصد السرور، وبقدوم نحو عَالِمٍ لنفع المسلمين، إذ المباح لا ينعقد نذره، ولا يؤمر بوفائه،اهـ.

فمن ثَمَّ لَمَّا سُئِل الشيخ محمد صالح الزمزمي مفتي الشافعية بمكّة سابقاً عن ضرب الدُّفّ حال قراءة مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمجرد تشريف ذكره صلّى الله عليه وسلّم وتزيينه؛ خالياً عن الخبائث. أجاب بقوله: حيث خلا عن الخبائث، فهو حَلالٌ لا حرمةَ فيه، ولا كراهة، اهـ.

قلت: بل ضربه بقصد الأُمّةِ السرور بولادة مُشَرّفها عند ملاحظة خطابه

---

(١٢) قال الشيخ إسماعيل العجلوني في «كشف الخفاء»: مسح العينين بباطن أنملتي السبابتين بعد تقبيلهما عند سماع قول المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله. مع قوله أشهد أن محمداً عبده ورسوله. رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلّى الله عليه وسلّم نبياً. رواه الديلمي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما سمع قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله قاله وَقبّلَ باطن أنملتي السبابتين ومسح عينيه. فقال صلّى الله عليه وسلّم: «من فَعَلَ فِعْلَ خليلي، فقد حلت له شفاعتي».
قال في «المقاصد»: لا يصح، وكذا لا يصح ما أورده أبو العباس أحمد بن أبي بكر الرداد اليماني المتصوف في كتابه «موجبات الرحمة وعزائم المغفرة» بسند فيه مجاهيل مع انقطاعه عن الخضر عليه السلام أنه قال: من قال حين يسمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله مرحباً بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه لم يرمد أبداً اهـ.

تعالىٰ لهم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية مندوبٌ؛ إذ لا شكّ أنه صلّى الله عليه وسلّم أَصلُ السرور بقدوم نحو عالم، انتهى فافهم.

لا يقال: إنَّ أمره صلّى الله عليه وسلّم الأنصار بقيامهم لسعدٍ رضي الله عنه وتعظيمهم له، وإقراره فاطمة رضي الله عنها بتعظيمها له به، وإقراره أبا بكر رضي الله عنه بتعظيم اسمه صلّى الله عليه وسلّم عند سماعه شهادة المؤذن بإرساله صلّى الله عليه وسلّم، بتقبيل ظفرَيْ إبهامَيْه، ومسح عينيه بهما، والجارية السوداء بضرب الدُّفّ بين يديه لما نذرت ضربه بين يديه صلّى الله عليه وسلّم، إنّما كان حال حياته وحضوره لَدىٰ المُعَظِّم له بما ذكر.

لأنّا نقول: إنَّ ما تَقدّم لك سابقاً في آخر «المورد الثاني» من أخذ وجوب كُلّ ما يُشعر بتعظيمه صلّى الله عليه وسلّم حاضراً كان أو غائباً، من آيـة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، بطريق الاستنباط، بتنقيح المناط بحذف الخصوص، وإناطَةِ الحُكم بالعموم كَافٍ في الرد على صاحب هذا المنع، ومُغْنٍ عن تكلُّفات الحيدرأبادي في قوله: إنَّ القُدومَ النبويّ الصّورِيّ لَمّا كان الإنسان يَتصوّرُ نفسه عند سماعه حاضرةً في ذلك الزمن الماضي، ويستحضرُ فيه ذات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما حصل بظهوره صلّى الله عليه وسلّم من الرحمة للعالمين كافّة، وما وقع عنده من المعجزات والآيات الباهرة، كما كان العارفون يتصوّرون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على هَيئاتٍ عَظيمةٍ وحَالاتٍ جَسيمةٍ، فتارة يستحضرون دخوله صلّى الله عليه وسلّم المدينة من هجرته وقد خرجت ذوات الخُدُورِ والولائد والصبيان يَقُلْنَ:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا للَّه داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

ويجعلون أنفسهم كأنهم يقولون ذلك ويفرحون، وتارة يتصوّرونه صلّى الله عليه وسلّم أمام المؤمنين ببدر وهم يَلُوذُونَ به في جِهَادِ

أعدائه، ويستحضرون أنَّ ملائكة الله تَتْبعهُ وتقاتِلُ معه.

وتارة يستحضرونه تحت شجرة الرّضوان والصحابةُ يُبايعونَهُ على أن يموتوا دونه، ويستحضرون قوله تعالىٰ في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وتارة يتصوّرون دخوله مكّة يوم الفتح ومعه جنود الله وقد أحدقت به الأنصار، ولا يُرَىٰ منهم إلَّا الحَدَقُ من الحديد، وهو صلّى الله عليه وسلّم على ناقته القصواء بين سيّدنا أبي بكر الصدّيق، وسيدنا أُسَيْد بن حضير يتحدّث معهما، وتارة يستحضرونه ساجداً عند عرش الله وهو يُقَالُ له: ارفع رأسك، وسَلْ تُعط، واشْفَعْ تُشَفَّعْ.

وتارة يستحضرون قَرعهُ لباب الجنّة وأُمّتهُ وجميع الأمم تَتْبَعُهُ إليها؛ كما في «شرح جَسُّوس على شمائل الترمذي».

كَانَ هذا القدوم بلا شك: أكمل ذاتاً وأعلى درجةً من القُدُوم الصُّوري الفرعي المُضَافِ الاختياري الذي القُدُوم السعدي فَردٌ من أفراده، لا سيما وقد ورد طلب الصلاة والسلام عند مُجرّد ذكر اسمه صلّى الله عليه وسلّم في الآية، والأحاديث الكثيرة الصحيحة، وليس المقصود بهما إلّا مجرد تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم، كما نصّ على ذلك الأُبّي في «شرحه على مسلم»، وغير واحد.

بل قوله صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر رضي الله عنه حين قَبّلَ إبهامي يديه، ومسح بهما عينيه عند سماعه شهادة المؤذن بإرساله صلّى الله عليه وسلّم، تعظيماً وتشريفاً لاسمه صلّى الله عليه وسلّم وتيمّناً به: «ما أحسن هذا! فمن عمل به فقد أمِنَ الرَّمد»، صريحٌ في استحسانه عند مجرد ذكر اسمه صلّى الله عليه وسلّم كما لا يَخفىٰ.

وقد قال بَنِيس في «شرحه على همزية البوصيري»: والمُحِبُّ يُسلِّمُ على المَحبوب في حالتي غيبته وحضوره، أي في حالتي الشهود وعدمه. أما

سَلامُهُ في الغيبة: فَقلقٌ وتَعلُّقٌ وإجلالٌ وإعظامٌ، وَرجاءٌ لأَنْ يكون ذلك ذريعةً إلى الصفاء ووسيلةً إلى الوصول، وتفاؤلاً بالظفر بالإقبال، فيأتي بمافي طوقه عسى الله أن يأتي بالفتح، أو أمرٍ من عنده فيما ليس في طوقه، لكن سِرُّ الله في صدق القلب، ومن كثر لَهْجُهُ بالأحباب؛ فلا بدّ أن يذكروه، ومن دام تسليمه عليهم؛ فلا بُدَّ أن يَزُورُوهُ.

وأمّا سلامه في وقت الشهود والحضور: فَشكرٌ على الإنعام، وحَمدٌ في مقابلة الكلام، وزيادةُ خُضُوع عند شهود الجلال، وتضاعُف شَغفٍ عند شُهود الجَمال، فعند ذلك يُسَلِّمُ بعوالمه الظاهرة من رأس وعين، وجَبينٍ ووجهٍ ولسان، وشَعْرٍ وبَشَرٍ، وكُلِّ ذرّةٍ من ذرّاته وجوهرة من جَواهره، وبعوالمه الباطنة من رُوحٍ وعقلٍ، وقَلبٍ وحياة، وسائر القُوىٰ الباطنة. انتهى بلفظه.

قال الحيدرأبادي في رسالته: «نهاية الإرشاد إلى احتفال الميلاد»، وخلاصة هذا الدفع: قياسٌ اقتراني من الشكل الأول، استنبط المحقّقون «صُغْراه» من الحديث المذكور، يعني قوله صلّى الله عليه وسلّم للأنصار لما جاء سعد رضي الله عنه على الحمار: «قوموا إلى سيّدكم». وهي: القيام الميلادي تَعظيمٌ نَبويٌّ شَرعي، وأثبتوا «كُبْراه»، وهي: كل تعظيم نَبوي شَرعي مستحسنٌ شَرعي بآيتين، إحداهما: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

وثانيتهما: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فَمفادُ الأُولىٰ: أنَّ عِلّة وجوب التحدّث؛ إنما هو وَصفُ النعمة الواصلة إلينا، ولو بواسطة.

ومفاد الثانية: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رحمةٌ للعالمين، وأنه نِعمةٌ عُظمىٰ فَائِقةٌ على نِعَم العالمين كلّها، وأنَّ النِّعَمَ الواصلة إليه صلّى الله عليه وسلّم لما كانت هي السبب في النِّعَم الوَاصِلةِ إلينا، كان جميع ما وصل إليه صلّى الله عليه وسلّم نِعَماً واصلةً إلينا، إمّا من حَيث ذواتها، وإمّا من حيث آثارها، وحينئذٍ **فالواجب علينا**:

أوّلاً: التحدّثُ بنعمه الفائضة عليه صلّى الله عليه وسلّم بالبيّنات التفصيلية.

وثانياً: التحدّثُ به صلّى الله عليه وسلّم بالبيان التفصيلي، بحيث يَظهر أنه نعمةٌ عُظمى فائقةٌ على نِعَم العالمين، كما يَجبُ علينا التحدّثُ بالنِّعم الفائضة علينا بواسطته صلّى الله عليه وسلّم، وإن كان التحدّثُ بالنظر إلى وصف نعمة ربنا الواصلة إلينا وحده واجباً وجوباً عينيّاً محضاً، وبالنظر للواسطة وَنِعمِ ربنا الواصلة إليه صلّى الله عليه وسلّم واجباً وجوباً استحسانيّاً لا عينيّاً.

وحيث عُلِمَ ذلك؛ كان الواجبُ على الواعظ التالي لقصة مولده صلّى الله عليه وسلّم، الذي هو سَببُ وصول النّعمة العظمى الفائقة إلينا، أن يُبَيّن أولاً الفضائل المذكورة تفصيلاً، بحيث يجعلها توطئةً لولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ووصوله إلينا، ثم يُبَيّن تفصيلاً فضائل الولادة والوصول إلينا، حتى إذا قال: فَوُلِدَ صلّى الله عليه وسلّم... إلخ، اسْتُحْسِنَ القيام تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم، لا لأنه قادمٌ في المحفل وحاضرٌ فيه بحضورٍ أصلي عند قوله هذا، بل لأنه قادمٌ في العالم الجسماني من العالم النوراني من قَبل هذا الوقت في زمن الولادة الشريفة، وحاضرٌ عند قول التالي: فَوُلِدَ صلّى الله عليه وسلّم... إلخ، بحُضورٍ ظلّي، هو أقربُ من حضوره الأصلي.

قُلت: على أنه بلا شك، يحضر بروحه في كلّ مقامٍ يُذكر فيه، فمن ثَمّ قال البرزنجي في مولده:

بتشخيص ذات المصطفى وهو حَاضرٌ ... بـأيِّ مـقـام فـيـه يُـذْكَـرُ بـل دانـي

واستدلّ عليه فضيلة المرحوم السيد محمد بن جعفر الكتاني لما سُئِل عنه: بأنَّ الرّسول ﷺ لما كان يَتَخَلّقُ بأخلاق ربّه، وقد قال صلّى الله عليه وسلّم حاكياً عنه عزّ وجلّ أنه قال: «أنا جليس من ذكرني»، وفي رواية: «أنا مع من ذكرني». فكان مُقتضىٰ تأسّيه بربّه تعالىٰ وتخَلُّقِه بأخلاقه، أن يكون صلّى الله عليه وسلّم حاضراً مع ذاكِره في كلِّ مقام يُذكر فيه بروحه

والاحترام إمّا وحدَهُ، أو مع الإمداد، فإنَّ الذي تقتضيه القواعد المبينة في العلوم العربية والأصول الفقهية: أنَّ النظر حين الاستدلال بالآيات والأحاديث، بل وبكل كَلام بَليغ؛ إنما يكون إلى الألفاظ ومعانيها، وما يستفاد منها من العموم، لا لخصوص أسباب وقوعها، فافهم... انتهى ملخصاً.

قُلت: فمن ثَمّ تقرّر في كلام المحقّقين من الأصوليين والمفسرين: العِبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، على أنَّ الاستدلال على استحسان القيام الميلادي شرعاً ليس قاصراً على أمره صلّى الله عليه وسلّم الأنصار عند مجيء سعد رضي الله عنه على الحمار بقوله: «قوموا لسيّدكم» كما علمت حتى يتوقف على تمام هذا الدفع على ما فيه، بل استحسان القيام الميلادي شرعاً لدخوله ثانياً تحت قاعدة العادة محكمة التي أصلها حديث ابن مسعود رضي الله عنه الموقوف: «ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن».

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: رواه أحمد في كتاب «السُّنّة» من حديث أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه وَوُزراءَ نبيه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح» وهو موقوفٌ حسنٌ. أفاده الحموي على «أشباه» ابن نُجيم.

لا سيما وقد أخرج الحكيم الترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «خيرُ أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكَدرُ. ولن يُخزي الله أُمَّةً أنا أوّلها، والمَسيحُ آخرها».

قال الحكيم: فالميزان لسانه في وسطه، وباستواء الطرفين والكفّتين يستوي اللسان ويقوم الوزن. فجعلت أوائل هذه الأُمة وأواخرها يَهْدُون بالحق وبه يعدلون، فهذا الوسط الأعوج ينجو بهاتين الكفّتين المستقيمتين كما في «الجامع الصغير» و«كبير» المناوي، إذ لا شكّ أنه قد جَرىٰ على استحسان القيام الميلادي تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم عَمَلُ من يُعْتَدُّ

والاحترام إمّا وحدَهُ، أو مع الإمداد، فإنَّ الذي تقتضيه القواعد المبينة في العلوم العربية والأصول الفقهية: أنَّ النظر حين الاستدلال بالآيات والأحاديث، بل وبكل كَلام بَليغ؛ إنما يكون إلى الألفاظ ومعانيها، وما يستفاد منها من العموم، لا لخصوص أسباب وقوعها، فافهم... انتهى ملخصاً.

قُلت: فمن ثَمّ تقرّر في كلام المحقّقين من الأصوليين والمفسرين: العِبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، على أنَّ الاستدلال على استحسان القيام الميلادي شرعاً ليس قاصراً على أمره صلّى الله عليه وسلّم الأنصار عند مجيء سعد رضي الله عنه على الحمار بقوله: «قوموا لسيّدكم» كما علمت حتى يتوقف على تمام هذا الدفع على ما فيه، بل استحسان القيام الميلادي شرعاً لدخوله ثانياً تحت قاعدة العادة محكمة التي أصلها حديث ابن مسعود رضي الله عنه الموقوف: «ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن».

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: رواه أحمد في كتاب «السُّنّة» من حديث أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ الله نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه وَوُزراءَ نبيه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح» وهو موقوفٌ حسنٌ. أفاده الحموي على «أشباه» ابن نُجيم.

لا سيما وقد أخرج الحكيم الترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «خيرُ أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكَدرُ. ولن يُخزي الله أُمَّةً أنا أوّلها، والمَسيحُ آخرها».

قال الحكيم: فالميزان لسانه في وسطه، وباستواء الطرفين والكفّتين يستوي اللسان ويقوم الوزن. فجعلت أوائل هذه الأُمة وأواخرها يَهْدُون بالحق وبه يعدلون، فهذا الوسط الأعوج ينجو بهاتين الكفّتين المستقيمتين كما في «الجامع الصغير» و«كبير» المناوي، إذ لا شكّ أنه قد جَرىٰ على استحسان القيام الميلادي تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم عَمَلُ من يُعْتَدُّ

بعمله في أغلب البلاد الإسلامية بلا نكير، فلا ينبغي لأحدٍ من الخواصّ والعوامّ تركه ولا المنع عنه، بل رُبما استلزم تركه والمنع عنه اليوم الاستخفاف بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وقد نَعىٰ العلامة المالكي في «مختصره» وشُرّاحِهِ: على أنَّ المُستخِفَّ بنبيٍّ أو مَلَكٍ، يُقتل كفراً إن لم يَتُب، وإلَّا قُتل حَدًّا.

فمن ثَمَّ أفتىٰ المَولىٰ أبو المسعود العِمَادي الحنفي بكفر من يتركه حين يَقُومُ الناس، لإشعاره بضدّ ذلك، كما نقله الشيخ عبد الرحيم السيوطي الجرجاوي المالكي في شرحه على «مولد البرزنجي»، عن مولد الإمام الحلواني، والطنطاوي.

قُلت: ومن أعجب العجب: أنَّ المنكرين على أهل السُّنّة إجماعهم على استحسان مثل هذا القيام، تجدهم في اجتماعهم في النوادي لقراءةِ نحو مناشير مَلِكٍ من ملوكهم إذا صُرِّحَ فيه باسم الملك، يُحْسِنُونَ القيام لمجرد ذكر اسمه تعظيماً له، ولو كافراً، وينكرون أشدّ الإنكار على من لم يَقُم منهم حينئذٍ، كأنه ارتكب أعظم كبيرةٍ.

نعوذ بالله من طمس البصائر، وخبث الاعتقاد، وفساد الضمائر.

تنبيـه

حَكىٰ السيد علوي المالكي أنَّ والده المرحوم السيد عباس المالكي رحمه الله أخبره: أنه حضر في بيت المقدس احتفالاً نبوياً ليلة عيد الميلاد النبوي تُلِي فيه «مولد البرزنجي»، فإذا رجلٌ أشيب قام بغاية الأدب من أول المولد إلى نهايته، وأفاده لما سأله عن سبب وُقُوفهِ مع كبر سِنّه: بأنّهُ كان لا يَقُوم عند ذكر الميلاد النبوي، ويعتقد أنه بدعةٌ سَيّئةٌ. فَرأىٰ في نومه أنه مع جماعة متهيّئين لاستقباله صلّى الله عليه وسلّم، فلما طَلع لهم بدر مُحَيَّاه ونهض الجميع لاستقباله، لم يستطع هو القيام لذلك، وقال له الرسول صلّى الله عليه وسلّم: أنت لا تستطيع القيام، فما استيقظ إلّا وهو

مقعدٌ، وبقي على هذا الحال عاماً، فنذر إن شَفاهُ الله من مرضه هذا، أن يَقُوم من أول قراءة المولد إلى غايته، فعافاه الله من ذلك، ولم يزل قائماً بوفاء نذره تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم.

الوجه الثالث: أنَّ قوله (أي ابن حجر): «فالعوامُ معذورون لذلك ـ أي لقصدهم التعظيم به مع كراهته لعدم الاقتداء بهم ـ بخلاف الخواص ـ أي المقتدى بهم ـ لأنه يتوهم من فعلهم له أنه سُنّة يُثاب عليه، فيقتدي بهم العوام في فعله، بل ربما اعتقدوا وجوبه، وهو بدعةٌ مَكروهةُ الفعل».

مبنيٌّ على زعمه: أنه نظير القيام عند قراءة قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] في كونه بدعة مكروهةً لا ينبغي فعلها، وقد علمت أنه قياس مع الفارق، فلا يتجه الاستدلال به، كما علمت، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

الخاتمة

أسأل الله حُسنَها في ثلاث فرائد مهمة:

الفريدة الأولى: قال الشيخ يوسف الشلبي في «الرسالة التامّة»: جواز الإنكار على فِعْلٍ يَتوقّفُ على علم المُنكر بوجه تحريمه، أو كراهته الإجماع، أو عند فاعله، فيحرمُ الإنكار على الجاهل به؛ إذ جَهلُهُ قد يؤدي إلى إنكاره على ما هو شَرعٌ بالضرورة، فيكفر؛ لما قال صاحب «الجوهرة»:

ومن لمعلوم ضرورة جحد　　من ديننا يقتل كفراً ليس حد

وَيتوقّفُ أيضاً على عدم اقتضائه مفسدة أَشدَّ وأَقبحَ من الذي يُنكر عليه، وإلّا كان إنكارهُ محرَّماً تحريماً أكبر من حُرمة المنهي عنه.

وبالجملة: فَوُجُوب الإنكار يَتوقّفُ على الإجماع على تحريم البدعة، أو الاختلاف فيها، مع اعتقاد فَاعِلها التحريم، ومع عِلم المُنِكر باعتقاده، وَيتوقّفُ أيضاً على عدم اقتضائه المفسدة، ويَتوقّفُ أيضاً على عدم جَزمِ المُنِكر بعدم الفائدة، فإن جزم، فلا وُجُوب لأنه عَبَثٌ.

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «من رَأىٰ منكم منكراً فَلْيُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الإيمان».

أي دَليلٌ على ضعف الإيمان في ذلك الزمن، فافهم...، انتهى بزيادة.

قُلت: واحترز بقوله: «مع اعتقاد فاعلها التحريم... إلخ»، عمّا إذا كان اعتقاد الفاعل إباحة الفعل بِمقتضىٰ مذهب بعيد المأخذ، بحيث ينقض قضاء القاضي به، ولا يقرّ شرعاً ولو تأكد بقضاء القاضي، كما إذا شَرب

الحنفي يَسِيرَ النبيذ، فيجب الإنكار على فاعله المعتقد حِلّهُ، تقليداً لمذهب القائل به، كما يُنكر الزوج على زوجته شُربَ النبيذ وإن اعتقدت حِلّهُ في دِينها على الصحيح كما في «أشباه» الجلال السيوطي رحمه الله.

الفريدة الثانية: قال الجلال الدواني في «حاشيته» على رسالته «الزوراء»، ما خلاصته: أن الوجود منبع كلّ خير، وكمال سائر الكمالات متفرعةٌ عليه، وغاية الكمال هو: التحلّي بآثار التجلي بصفات الله تعالىٰ وأسمائه، والقابل للفيض الوجودي وما يتفرعُ عليه من الكمالات؛ أولاً من حيث حقيقته النورية. وآخِراً من حيث نشأته الصورية الظهورية، هو الحقيقة المحمدية الجامعة لجميع آثار التجلّي بالصفات الإلهية بشهادة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٧]، فكلُّ رحمةٍ فهي له بالذات، ولغيره بالتطفّل والعَرض، فالصلاة من الله تعالىٰ بذاته التي هي الرحمة عن إفاضة الخير والكمالات له، سواء استنزلها له أحدٌ، أو لم يستنزلها أحد له، اهـ.

فمِن ثَمَّ قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: سمَّاهُ الله بمحمد قبل الخلق بألفي عام، كما ورد من حديث أنس، وروَىٰ ابن عساكر عن كعب الأحبار: أن آدم أوصىٰ ابنه شيث عليه السلام فقال: أيْ بُنَيَّ، أنت خليفتي من بعدي، فَخُذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى، وكُلَّما ذكرتَ الله، فاذكر إلى جنبه اسم محمد، فإني رأيتُ اسمه مكتوباً على ساق العرش، ثم طُفت السموات فلم أرَ موضعاً إلّا ورأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنّة، ولم أرَ فيها قصراً ولا غرفةً، إلَّا واسم محمد مكتوب عليه.

ولقد رأيتُ اسم محمد مكتوباً على نُحُور الحُورِ العين، وعلى ورق قصب آجام الجنّة، وعلى ورق شجرة طُوبىٰ، وعلى ورق شجرة المُنتهىٰ، وعلى أطراف الحُجُبِ، وبين أعين الملائكة. فَأَكْثِر ذكرهُ، فإنَّ الملائكة تذكرهُ في كلِّ ساعاتها، كما في «وسائل الوصول إلى شمائل الرسول» للشيخ يوسف النبهاني.

وفي «الصحيح»: أنه يُفْتَحُ عليه صلّى الله عليه وسلّم يوم القيامة بمحامد لم يُفْتح بها على أحدٍ قبله، ولذلك يُعْقَد له لواء الحمد، ويُخَصّ بالمقام المحمود.

وبالجملة: فهو أكثر الناس حَامدية ومحمودية، فلذلك سُمِّيَ: أحمد ومحمداً، ولهذين الاسمين مزيةٌ على سائر الأسماء، فينبغي تَحري التسمية بهما.

وقد ورد في الحديث القدسي: «إني آليتُ على نفسي لا أُدخِل النار من اسمه أحمد، ولا محمد».

وَروىٰ الديلمي عن عليٍّ رضي الله عنه: ما من مائدةٍ وُضِعَت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد، إلّا قَدّسَ الله ذلك المنزل كلَّ يوم مرتين.

انتهى كلام الباجوري. . .، انتهى كلام النبهاني.

وقد قال تعالىٰ في كتابه العزيز مُخاطباً له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال له أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أَدَّبني ربي أدباً حسناً»، إذ قال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾، فلما قَبِلتُ منه قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾.

قال المناوي في «كبيره» على «الجامع الصغير»: خَرّجهُ الإمام أبو سعد ابن السمعاني في كتاب «أدب إملاء الحديث» من جهة صفوان بن مُفلس الحنطي، عن محمد بن عبد الله، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ الله أدّبني فأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾».

قال الزركشي: حديث: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»، معناه صحيح، لكنه

لم يأت في طَريقٍ صَحيحٍ، وذكره ابن الجوزي في «الواهيات» عن عليٍّ رضي الله عنه في ذيل حديث، وضعّفه، وأسنده سِبْطُه في «مرآة الزمان»، وأخرجه بِطُرقٍ كلها تدور على السُّدّي، عن ابن عمارة الجواني، عن عليٍّ رضي الله عنه.

وفيه: فقال: يا رسول الله، إنك تُكلم الوفود بكلام أو لسَانٍ لا نفهم أكثره، فقال: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد».

فقال عمر: يا رسول الله! كلّنا من العرب، فما بالك أفصحنَا.

فقال: «أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات، فعلّمني إياها»، وصححه أبو الفضل ابن ناصر.

قال الجلال السيوطي: وأخرج العسكري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قدم بنو فهد بن زيد على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: أتيناك من غور تهامة، وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فقال: قلت: يا نبيّ الله، نحن بنو أبٍ وَاحدٍ ونشأنا في بلد واحدٍ، وإنك تُكلم العرب بلسانٍ لا نفهم أكثره.

فقال: «أدَّبني ربي»، إلى آخره.

وأخرج ابن عساكر أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، طُفت في العرب وسمعت كلام فصحائهم، فما سَمِعتُ أفصح منك، فمن أدَّبك؟

قال: «أدّبني ربي، ونشأت في بني سعد» قال: وإسناده ضعيف.

وقال السخاوي: ضعيف وإن اقتصر شيخنا ـ يعني ابن حجر ـ على الحُكم عليه بالغَرابة في بعض فتاويه.

وقال ابن تيمية: لا يُعْرفُ له سَندٌ ثابت...، انتهى كلام المناوي في «كبيره».

فمن ثَمَّ خصَّ الله حقيقته النورية أولاً، ونشأته الصورية الظهورية آخراً صلّى الله عليه وسلّم بالتحلّي بآثار التجلي بصفاته وأسمائه، وجعله

القابل للفيض الوجودي وما يتفرعُ عليه من الكمالات، حتى خاطبه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ وأما غيره صلّى الله عليه وسلّم من نوع الإنسان، فإنما كرمه الله تعالىٰ بتكريمه صلّى الله عليه وسلّم.

قال ابن عربي: فما سَمّىٰ نفسه باسم من الأسماء؛ إلَّا وجعل للإنسان من التخلُّقِ به حظاً منه، يظهر به في العالم على قدر ما يليق به، ولذلك تأوّل بعضهم قوله في الخبر: «خلق الله آدم على صورته»، على هذا المعنى يعني: أنَّ الضمير للإنسان، لا لآدم ولا لله، والحديث خَرج مَخرج الزجر والتهديد، لوروده عَقِب قوله: «لا تقولوا: قبح الله وجهك، فإنَّ الله خلق آدم على صورته»، أي على صورة هذا الوجه المُقبَّح. ذكره القاضي، كما أفاده المناوي في «كبيره» على «الجامع الصغير».

وفي «تحفة» ابن حجر ما خلاصته: أنَّ ما قاله جماعةٌ من المتأخِّرين من أن ما اعتيد في الدعاء بعد قراءة القرآن من قول الداعي: اللّهمّ اجعل ثواب ذلك، أو مثله إلى حضرته صلّى الله عليه وسلّم، أو زيادة في شَرفه، جائزٌ صحيحٌ، بل هو حَسن؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم أذِنَ لنا في الدعاء بكل ما فيه زيادة تعظيم له صلّى الله عليه وسلّم، حيث أمرنا بسؤال الوسيلة له، ونحوها.

وحديث أُبَيّ رضي الله عنه المشهور وهو قوله رضي الله عنه: «كم أجعل لك من صلاتي ـ أي دعائي» الحديث، أصلٌ عَظيمٌ في مَشروعية الدعاء له صلّى الله عليه وسلّم عقب القراءة وغيرها، وليس في الدعاء له بزيادة الشرف مَا يُوهم النقص، خِلافاً لمن وَهِمَ فيه، كما بيَّنته في «الفتاوى».

ومن الزيادة في شرفه صلّى الله عليه وسلّم، أن يتقبّل الله تعالىٰ عمل الداعي بذلك ويُثيبه عليه، وَكُلُّ من أُثيب من الأمّة على عَملٍ، كان له صلّى الله عليه وسلّم مثل ثَوابِهِ مُضاعفاً بعدد الوسائط التي بينه وبين ذلك العامل، مع اعتبار زيادة مُضاعفة كُلِّ مرتبة عما بعدها.

ففي الأولى: ثواب إبلاغ المصطفى وعمله، **وفي الثانية**: هذا؛

وإبلاغ التابعي وعمله، **وفي الثالثة**: ذلك، وإبلاغ تابع التابعي وعمله، وهكذا وذلك شَرفٌ لا غاية له.

نقله الشيخ عبد الحفيظ العُجَيمي في «فتاويه» منها بالمعنى، وببعض تصرف.

وما أحسن قول ابن عباد في هذا المعنى:

والمرءُ في ميزانه حسناته فَاقدُر إذن قَدْرَ النبي محمد

الفريدة الثالثة: قال صاحب «الجوهرة»:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبيُّنَا فَمِل عن الشِّقاق

والأنبيا يَلُوْنَهُ في الفضل وبعدهم ملائكة ذي الفضل

قال شارحه الشيخ عبد السلام اللّقّاني، ومُحَشِّيه الشيخ محمد الأمير ما خلاصته: إن أفضل جميع المخلوقات على العموم، الشامل للعُلوِيّة والسُّفليّة من البشر والجن والمَلَكِ في الدنيا والآخرة في سائر خِلَالِ الخير ونُعوتِ الكمال، نبينا مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم بإجماع جميع المسلمين، إلّا من لا يُعْتَدُّ بخلافهِ منهم.

قال السَّنُوسي في شرح «الوسطى» و«الجزائرية»: ومما يدلُّ على مزيد فضله، كون الشفاعات والكلام له في الموقف الأعظم، دون جميع ما سوى الله.

وأطال في ذلك بكلام مُنَوِّرٍ، انظره إن شئت.

وثانياً: ما اشتهر في سبق نبوته على الكُلِّ، وأخذ الميثاق عليهم أن يتبعوه إن أدركهم، فمباديه ومناهيه وجميع أحواله، قَاضيةٌ بذلك صلّى الله عليه وسلّم، وهو مستثنى من الخِلاف في التفضيل بين المَلَكِ والبشر، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ـ أي عنده ـ ولا فخر».

إمّا من حيث إنه من النِّعَم: أي ولا فخر أعظم من هذا، فيرجع للتَحدُّث، وإمّا من حيث ذات الفخر: أي ولا أقوله فخراً، ولأنَّ أمته أفضل

الأمم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي عُدولاً خِيَاراً، ولا شك أنَّ خَيرية الأمم إنما هي بحسب كمالها في الدِّين، وذلك تَابعٌ لكمال نَبِيّها الذي تَبِعتهُ، فتفضيلها تفضيلٌ له صلّى الله عليه وسلّم.

وأمّا قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تُخَيرُوني على موسى، ولا تفضلوا بين الأنبياء» ونحوه، فيحتمل أنه قاله تأدّباً، أو أنَّ مَعناهُ: لا تُخَيرُوني تَخيير مُفاضلة، أي في ذات النبوّة، أو يُؤدي لسوء أدبٍ، وإلّا فالواجب على كُلِّ مكلَّفٍ اعتقاد أنه صلّى الله عليه وسلّم أفضل الجميع، فيعصي مُنكره، ويَبتدع ويُؤَدَّب.

إذا عَرفت هذا الحكم المُجمع عليه، فَمِل عن الشقاق والمنازعة فيه، واجزم معتقداً صحته، لأنه لا يجوز الإقدام على خَرْقِ الإجماع.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يجبُ أن يُعْتقدَ أنهم يلونه في الفضل، فمرتبتهم فيه بعد مرتبته، وإن تفاوتوا فيها بالنسبة للقُرب منه عليه الصلاة والسلام، فمن ثَمَّ كان نِداؤهُ بـ: يا أيها النبي، يا أيها الرسول. وهم يُنادون بأسمائهم: يا زكريا، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود، إلى غير ذلك.

قُلتُ: وكان عِنايةُ الله يوم موته فوق عنايته بهم يوم موتهم، فقد قال السيوطي في «شرح الصدور»: وأخرج الطبراني عن الحُسين رضي الله عنه: أن جبريل هبط على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: كيف تَجِدُ؟ قال: «أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني مَكْروباً. فاستأذن مَلَكُ الموت على الباب، فقال جبريل: هذا مَلَكُ الموت يستأذن عليك، ما استأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك.

قال: ائذن له، فأذن له فأقبل حتى وقف بين يديه، فقال: إنَّ الله أرسلني إليك وأمرني أن أُطيعك، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها.

قال: وتَفعلُ يا مَلك الموت؟ قال: نعم، بذلك أُمِرت.

فقال جبريل: إنَّ الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: امضِ لما أُمرت به»، اهـ.

قال الشارح اللقاني، وأميره: فبقية أُولي العَزمِ من الرُّسل أفضل من بقية الرسل، والمراد: أُولو كَمال العزم الخمسة: محمد صلّى الله عليه وسلّم، وإبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وإلّا فأصلُ العَزم ثابت لجميعهم، ومحمدٌ صلّى الله عليه وسلّم وإن لم يبْتلَ بمثل نَشرِ زكريا، إلّا أنّه من حيثُ عموم بعثته، كان مبتلىٰ بهمّ هداية جميع الخلق ذلك، فإنَّ الفكر المُتعِبَ للقلب، يتمنىٰ التخلصَ منه ولو بالموت، خصوصاً وقد جُبِلَ على الرأفةِ بهم والرحمة، ومزيد الشفقة، يعِزُّ عليه ما فيه ضَررهم، مع تنوع مخالفتهم، وكثرتها، ومع تأثره بمقتضى كمال الأُخوة بجميع ما حصل للرُّسِل قبله، فبسماع ابتلائهم يشاركهم فيه، كما يشير لذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].

وأضِفْ إلى ذلك: ما كانوا يَرمونَهُ به، وكَسر رَباعيته، وشَج جبهته، وخَضب وجهه بالدم، وإخراجه من وطنه، ومزيد الحُروب.

وهذه بعض ما عُلِمَ، وإلّا فحالهُ لكماله أخفى كثيراً من ابتلائه، وإليه الإشارة بـ «لو علمتم ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، وكان لا يزيد على التَّبسمِ، مُتواصل الأحزان.

ثم بقيةُ الرسل أفضل من الأنبياء غير الرسل، والواجب اعتقاد أفضلية الأفضل على طبق ما ورد الحكم به، تفصيلاً في التفصيلي، وإجمالاً في الإجمالي، ويمتنع الهجوم على التعيين فيما لم يرد فيه توقيف.

وبعد الأنبياء في الفضيلة الملائكة، فمرتبتهم تلي مرتبة الأنبياء عليهم السلام في الجُملة لا تفصيلاً، لأنّ الذي يليهم، إنما هو رؤساؤهم؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، على أنَّ تفضيل الأنبياء عليهم في

الجملة ليس بمتَّفقٍ عليه، بل قال القاضي تاج الدين ابن الإمام تقي الدين السبكي: ليس تفضيل البشر على المَلك مما يَجبُ اعتقاده ويَضرُّ الجهلُ به لو لقي الله ساذجاً من المسألة بالكلية، لم يكن عليه إثمٌ، فما هي مما كُلّف الناس بمعرفته، والسلامة في السكوت عن هذه المسألة، والدخول في التفصيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالىٰ، من غير ورود دليل قاطعٍ، دُخولٌ في خَطرٍ عظيم، وحُكمٌ في مكانٍ لسنا أهلاً للحكم فيه، وقد ورد ما يمنعُ من الدخول في ذلك. كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تفضلوني على يونس بن متى»؛ إذ المراد به: لا تدخلوا في أمر لا يعنيكم، وإلّا فنحن قَاطِعون بأنه أفضل من يونس عليهما الصلاة والسلام، والذي يَنْشَرِحُ له الصدر ويبرد ويثلج له الخاطر، إطلاق القول بأن نبيّنا محمداً صلّى الله عليه وسلّم خير الخلق أجمعين من مَلكٍ وبَشرٍ، وخيرُ الناس بعد الأنبياء والملائكة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .اهـ. ولكن أشار صلّى الله عليه وسلّم بقوله: «لا تفضلوني على يونس» لنَفْي الجِهة، فإن يونس نزل به الحوت إلى قاع البحر، ومحمد صلّى الله عليه وسلّم ارتقى، كما أنه صلّى الله عليه وسلّم أشار بقوله: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد» لنفي جهة العلوّ.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، انتهى كلامهما بحذف، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

هذا تَمامُ ما يسَّر الله نقله وتحريره في هذه العُجَالة، ردعاً لأهل الجهالة عن قولهم بمنع تعظيم خاتم الرسالة، بما اعتيد مما أقر تعظيمه صلّى الله عليه وسلّم بمثله، أو بما في معناه تمسكاً بشبه الضلالة.

أسألُ الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم من كل ما يحبط الأعمال بلا محالة، والصلاة والسلام على خاتم الرسالة، يعمان صحبه وآله.

وكان الفراغ من تبييضها يوم الثلاثاء ١١ ذي القعدة من عام الألف والثلاثمائة والستين من هجرة سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين اللّهمّ آمين.



فتوى مركز الدعوة والإرشاد

التابع سابقاً

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي المملكة العربية السعودية
المتوفى ١٤٢٠ هـ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً...

... **وبعد:**

فإنَّ من أوجب ما يجب على المؤمن اعتقاده، هو الإيمان الجازم بأنَّ نبينا محمداً صلّى الله عليه وسلّم قد أكمل الله لنا هذا الدِّين ببعثته، وأتمّ علينا بإرساله نعمته، وأنه لم يترك لبشْر مجالاً أن يزيد أو ينقص في دينه بعد وفاة المصطفىٰ صلّى الله عليه وسلّم.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلّا هالك»، صحيح رواه ابن ماجه. ولذلك، فإنه كان لزاماً وحتماً على كل مؤمن يبغي النجاة ويطلب سبيلها، أن يقصر نفسه وعبادته على ما شرعه الله له على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأن لا يرضىٰ من نفسه ولا لغيره من البشر ـ كائناً من كان ـ أن يشرع في دين الله أو يستحسن بعقله وهواه، ما لم يأذن به الله.

فطالب الحق مُحِبُّ السُّنة لا يعمل عملاً من الأعمال، احتفالاً، أو مناسبةً، أو عبادةً، أو غيرها، إلّا على الوجه الذي يأذن الله به، وخاصة إذا كان بقصد التعبّد وطلب الأجر.

ومن هنا نفهم مقصود العلماء بقولهم: «العبادات توقيفية» لا مجال

للعقل في تشريعها أو استحسانها أو تقبيحها. وإن أردت الأدلة على ذلك فهي أكثر من أن تحصر، وإليك أمثلة منها.

فمن ذلك: قول المَولىٰ عزّ وجلّ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» متفق عليه، وقوله عليه الصلاة والسلام: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كُلّ مُحدَثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة» صحيح رواه أبو داود، وابن ماجه، وأرجو أن تقف عند هذه العبارة التشريعية الدقيقة ممن لا ينطق عن الهوى، بل هو وحيٌ يُوحىٰ «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ولا يخفى عليك أنَّ «كُلَّ» من ألفاظ العموم، تشمل كل أنواع البدع دون استثناء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتَّبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم».

أخي المؤمن... إذا تقرّر لديك ما سبق، وسلَّمت لهذا المفهوم الاعتقادي تسليماً صادقاً، أمكنك أن تعرض كل قول، أو عمل تعبّدي على هذا الميزان، هل هو مشروع أم مُحْدَثٌ؟ هل هو سُنّةٌ أو بِدعَةٌ؟ ولنأخذ مثالاً على ذلك: الاحتفال بذكرىٰ مولد المصطفىٰ صلّى الله عليه وسلّم، حبينا وإمامنا، وقدوتنا وقائدنا إلى صراط الله المستقيم، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وقائد الغُرِّ المحجلين، المبعوث إماماً ورحمة للعالمين.

وسنناقش هذه القضية بعدل وإنصاف وتجرّد عن كل هوىً ومقرّرات بشرية سابقة، ونزنها بميزان الشرع، ونعرضها على كتاب الله تعالىٰ وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، القائل: «إنَّ أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هَديُ محمد صلّى الله عليه وسلّم، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» والذي أوصانا بخبره أن نستمسك بهدي خير الناس وأزكاهم حين قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» متفق عليه.

والله المسؤول أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتّباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

نشأة الاحتفال بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» [١١/ ١٧٢] أنَّ الدولة الفاطمية ـ العبيدية المنتسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي ـ والتي حكمت مصر من [٣٥٧هـ ـ ٥٦٧هـ] أحدثوا احتفالات بأيام كثيرة، ومنها الاحتفال بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ونصّ عليه المقريزي في كتاب «المواعظ والاعتبار» [١/ ٤٩٠]، والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية في كتاب «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنّة والبدعة من الأحكام» [ص ٤٤ ـ ٤٥].

ووافقهم الشيخ علي محفوظ في كتابه الجيِّد «الإبداع في مضارّ الابتداع» [ص٢٥١]، وغيرهم كثير.

إذن فإنَّ أوّل من شرع هذا الاحتفال، هم الزنادقة العبيديون الرافضة، أحفاد عبد الله بن سبأ اليهودي. ولا يمكن أن يفعلوا ذلك محبّة في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بل لغرض آخر خفيّ.

حكم الإسلام في الاحتفال بالمولد

من خلال ما سبق تقريره من أنَّ الخير كُلّ الخير في اتّباع هدي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والقرون المُفَضَّلة، وأن من تقرَّب إلى الله بعبادة من العبادات لم تكن في تلك الحقبة المباركة والعصور الفاضلة، فعبادته مردودة عليه، يتحمّل وزرها وإثمها، ولو أخلص فيها وبذل كل جهده وقوّته. والاحتفال بالمولد النبويّ الشريف كما رأيت أخي المبارك:

١ ـ لم يفعله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا خلفاؤه الراشدون،

ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسُنَّة، وأكملهم حباً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

٢ ـ كما أنك علمت أنَّ أوّل من عمله هم الفاطميون الزنادقة في القرن الرابع الهجري.

٣ ـ فيه مشابهة للنصارى الذين يحتفلون بميلاد المسيح عليه السلام، وقد نُهِينَا عن مشابهتهم وتقليدهم في أعيادهم.

٤ ـ أنَّ إحداث مثل هذا المولد وغيره من الموالد، يُفْهَم منه أنَّ الله سبحانه لم يُكمل الدِّين لهذه الأمّة، وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلِّغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، وأنَّ القرون المفضلة لم يَبْلُغوا من تعظيم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومحبّته وتقديره حق قدره ما صنعه هؤلاء المتأخّرون، ولا يقول بهذا القول أو يعتقد ذلك؛ إلَّا زِنديقٌ مَارقٌ عن دين الله. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما بعث الله من نبيّ إلَّا كان حقاً عليه أن يَدُلّ أمّته على خير ما يعلمه لهم» رواه مسلم في «صحيحه».

ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغاً ونصحاً، ولو كان الاحتفال بالمولد من الدين لبيَّنه الرسول صلّى الله عليه وسلّم للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم. ولا يقول قائل: إنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله تواضعاً منه عليه الصّلاة والسّلام، فإنَّ هذا طَعنٌ فيه عليه الصلاة والسلام. إذ مقتضىٰ ذلك؛ أنه قصَّر وكتم شيئاً من الخير عن أمّتِهِ، وحاشاه عن ذلك بأبي وأمي هو عليه الصلاة والسلام، وفيه طعن لصحابته الذين زَكّاهُم ربهم، بأنهم قصَّروا في الاحتفال به، أو لم يفطنوا إلى هذا العمل المبارك، أنعم بهم من رجال وأكرم بهم من أتباع.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كُلّ عبادة لم يتعبّدها أصحاب

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلا تعبدوها، فإنَّ الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله معشر القرّاء، وخذوا طريق من كان قبلكم.

٥ ـ إحياء هذه الليلة ليس دليلاً على محبّته عليه الصّلاة والسّلام، فكم تَرىٰ وتسمع ممن يُحيون هذه الاحتفالات وهم أبعد الناس عن هُدىٰ المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، وما أكثر من يحييها من الفسقة والفجَّار ممن تعاملوا بالرّبا وتهاونوا في الصلوات، وضيّعوا السنن الظاهرة والباطنة، وعُرفوا بكثرة المعاصي والآثام، وارتكاب الفواحش والموبقات.

ودليل المحبة الحقّة لسيدنا وحبيبنا محمد صلّى الله عليه وسلّم كما يريدها مِنّا مولانا تبارك وتعالىٰ بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: «كلكم يدخل الجنّة إلّا من أَبىٰ. قالوا: ومن يَأبىٰ يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنّة، ومن عصاني فقد أَبىٰ» رواه البخاري في «صحيحه».

فمحبّته الصادقة في اتّباعه والتزام هديه الظاهر والباطن وسلوك طريقه، والاقتداء به في مظهره ومخبره، في أقواله وأعماله، في سمته وأخلاقه، وقد قيل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنَّ المُحِبَّ لمن يُحِبُّ مُطِيعُ

٦ ـ ومع هذا كله؛ فإنَّ كثيراً من علماء العصور المتأخرة ذكروا مفاسد عظيمة ومنكرات فظيعة، تَحدُث في مثل هذه الموالد، بل اعترف بذلك كل من شارك فيها وحضرها، ثم وفّقه الله للبُعد عنها وتركها من المعاصرين (والأشرطة تشهد بذلك)، ومن ذلك التلفّظ ببعض الشِّرْكِيّات والغلوّ في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنشاد بعض الأبيات المحرمة، وطلب المدد منه والاستعانة به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، كما في قصيدة البوصيري التي هي من أُسس تلك الليالي:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ويحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات، والنظر إلى المردان، والغلوّ في الأولياء، وحصول كثير من المنكرات مما يصعب حصرها لتفاوتها من بلد إلى بلد، حتى فضَّل بعضهم هذه الليلة على ليلة القدر، واجتهدوا وبذلوا فيها ما لم يكن في ليلة القدر، بل قد وصل الحال ببعضهم إلى تكفير من ترك الاحتفال بالمولد.

٧ ـ إنَّ اليوم الذي وُلد فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو اليوم الذي تُوفِّيَ فيه، وهو يوم الثاني عشر من ربيع الأول، كما دلّت عليه كتب السِّيَر. فليس الفَرحُ فيه بأولىٰ من الحزن فيه، ولو كان الدِّين بالرأي، لكان اتّخاذ هذا اليوم مأتماً ويوم حزن أولىٰ من اتّخاذه يوم عيد واحتفال.

شبهات وردها

تعلّق أصحاب المولد بشبهات واستدلّوا بأدلّة، ومن أبرزها ما يلي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعظم الرحمة؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والجواب:

* استدلالهم بهذه الآية استدلال في غير محله، وحمل للآية على غير مرادها، وإثبات وجه لم يثبت عن أعلم الناس بكتاب الله وأفهمهم لمراد الله، وأبصرهم بنصوص القرآن، ومخالفة لقواعد الشريعة في أخذ معاني القرآن واستنباط معانيه من فهم السلف الصالح والقرون المفضّلة،

وقد ذكر ابن القيّم رحمه الله أنَّ أقوال السلف في المراد بهذه الآية: أنَّ فضل الله ورحمته، هما القرآن والسُّنّة.

٢ ـ ما ثبت في «الصحيحين» من أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَدِمَ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونَجّىٰ فيه موسى، فنحن نصومه شكراً لله عزّ وجلّ. فقال صلّى الله عليه وسلّم: «فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم، فصامه وأمر بصيامه».

قالوا: وأيّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة في ذلك اليوم؟ وعلى هذا فينبغي أن نشكر الله على هذه النّعمة بالاحتفال بها في ذلك اليوم.

والجواب:

* استدلالهم بحديث صوم يوم عاشوراء استدلال باطل وقياس فاسد، إذ إننا نشكر الله على نعمة بعثة هذا النبيّ لا على مولده، أضف إلى ذلك أنَّ صوم يوم عاشوراء؛ إنما شُرِعَ واستُحبّ بِسُنّة المصطفى عليه الصّلاة والسلام، وهو لم يُشَرِّع لنا في سنّته أن نحتفل بيوم مولده.

٣ ـ ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنَّ جدّه عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، فيحمل هذا التكرار الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، على إظهار الشكر لله على إيجاده رحمةً للعالمين، كما أنه تشريع لأمّته لتسنّه من بعده.

والجواب:

* أنَّ هذا الحديث جعله الإمام مالك من الأباطيل، كما نقله عنه ابن رشد في «كتاب العقيقة» من كتاب (المقدِّمات المُمَهِّدات)، وقد نقل ضعفه الأئمة: عبد الرزاق، وأبو داود، عن الإمام أحمد، وابن حبان، والبزار وغيرهم لضعف عبد الله بن المحور أحد رواته، ولو فرض صحته، فلا دليل عليه.

٤ ـ ما رُوِيَ عن عروة أنه قال في ثويبة مولاة أبي لهب التي أعتقها لتبشيرها إيّاه بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم أرضعته عليه الصّلاة والسّلام، أنه رُئِي بعد موته في النار، وسُئِل عن حاله؟ فقال: إنه في النار، إلّا أنه يخفّف عنه كل ليلة اثنين لإعتاقه ثويبة عندما بشّرته بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

قالوا: فإذا كان هذا في حقّ أبي لهبٍ وهو كافر من أهل النار، فما حال المسلم الموحّد الذي يسرّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته؟

والجواب:

* أنَّ هذا الحديث مُرسَلٌ كما رواه البخاري، وذكر الحافظ في «الفتح»، كما أنه رؤيا منام لا حجّة فيها، وهو مخالف لظاهر القرآن حيث جاءت الآيات بأنَّ الكافر لا ينفعه في آخرته أيّ عمل صالح عمله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وأنه إنّما يَلقىٰ ثوابه في دنياه.

٥ ـ قالوا إنَّ الاحتفال إذا لم يقتصر فيه على الثاني عشر من ربيع الأول، ولا على ربيع الأول وحده، ولا على وقت معيّن، بل وقع في غير ذلك من الأوقات، فلا حرج على المُحْتفل به.

والجواب:

* هذه الدَّعوىٰ باطلةٌ وقول مردود، لأنَّ العبادات والتشريع الأصل فيها أنها توقيفية، ولا يجوز التعبّد لله بعبادة معيّنة وكيفية مخصوصة، ما لم يرد بها الشّرع، حتى ولو كانت لذكر الله، أو قراءة سيرة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، والواقع يُثْبِتُ أنَّ هذه الموالد والجلسات تكثر في شهر ربيع الأول، بل ويُرحل لها.

٦ ـ إنَّ المولد اجتماع ذكر وصدقة، ومدح وتعظيم للجناب النَّبوي، وهذه الأمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها والحثّ عليها.

والجواب:

* نعم؛ إنَّ الأحاديث جاءت بالحثّ على ذكر الله والصدقة وغيرها، ولكن لم يرد الندب إلى هذا الاجتماع المخصوص بهذه الهيئة المخصوصة وفي وقت مخصوص، ولم يرد الحثّ على ما يقال في مثل هذه الليالي من أذكار وأدعية لا أصل لها في الشرع، ولا دليل عليها من الوحي، أو تلك الأبيات التي تحمل الغلوّ والباطل بعينه.

٧ ـ أنَّ رجلاً سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن صوم يوم الاثنين، فقال له: «هو يوم ولدت فيه، وفيه أنزل عليَّ» رواه مسلم.

فالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم عظَّم يوم الاثنين لأنه وُلِدَ فيه، ثم عيّنوا يوم ولادته وهو الثاني عشر من ربيع الأول بالتعظيم والاحتفال.

والجواب:

* أنَّ المطلوب في يوم الاثنين من كل أسبوع هو صيامه لا أكثر، ودون تقييده بسنة أو شهر، فموافقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هي في صيام يوم الاثنين بإطلاق دون تقييده بتاريخ معين، بينما هؤلاء يُخَصّصُونَهُ يوماً واحداً في السنة من شهر ربيع الأول، زد على ذلك: أنهم لا يعظّمونه بوصية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصيام هذا اليوم، مع ما فيه من فضل، حيث تعرض فيه أعمال العباد على الله، وَيُفضَّلُ أن يكون المرء حينئذٍ صائماً، لكنهم يُعظِّمونه بالأكل والشرب والطرب على أهون الأحوال. ومعلوم لديك أنَّ العبادات توقيفية؛ فتخصيص يوم بعبادة، أو قُربةٍ مخصوصة يحتاج إلى دليل شرعي، ولا دليل على هذه البدعة كما سبق. ولا تنسَ ما قد ذكرناه سابقاً من أنَّ يوم الثاني عشر من ربيع الأول هو يوم وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وانقطاع الوحي من السماء على المشهور عند علماء السلف.

فقل لي بربّك هل تحتفل بوفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أم بولادته؟! وهل يمكن الجمع بينهما؟!.

** **ختاماً**: لا أحسب إيمانك وتقواك واتّباعك لحبيبك محمد صلّى الله عليه وسلّم وتقديم شرعه على هواك ورأيك وآراء الناس وأقوالهم، لا أحسب ذلك كلّه إلاّ يقول لك: **لا تحتفل**.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

مع تحيات مركز الدعوة والإرشاد بجدّة

رِسَالَةُ الإمَام الحَافِظ السُّيُوطي

كتب الإمام جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي بحثاً في المولد النبوي جعله في رسالة خاصة سمّاها «حُسْن المقصد في عمل المولد»، وهذه هي نصها:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد؛ فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأوّل.

ما حُكمهُ من حيث الشرع؟

وهل هو مَحمودٌ أو مَذمُوم؟

وهل يُثَاب فاعله، أو لا؟

والجواب عندي: أنَّ أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمدّ لهم سِمَاطٌ يأكلونه، وينصرفون من غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإظهار الفَرَحِ والاستبشار بمولده صلّى الله عليه وسلّم الشريف.

تاريخ عمل المولد النبوي الشريف:

وأوّل من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين، أحد الملوك الأمجاد، والكبراء الأجواد، وكان له آثار حسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون.

قال ابن كثير في «تاريخه»: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شهماً شجاعاً بطلاً، عاقلاً، عالماً عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه.

قال: وقد صنّف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحية مجلداً في المولد النبويّ صلّى الله عليه وسلّم سمّاه «التنوير في مولد البشير النذير»، فأجازه على ذلك بألف دينار. وقد طالت مدّته في الملك إلى أن مات وهو مُحاصِرٌ للفرنج بمدينة عكّا، عام ثلاثين وستمائة، محمود السيرة والسريرة.

وقال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: حُكِيَ أنَّ بعض من حضر سِمَاطَ المظفر في بعض الموالد: أنه عدّ في ذلكَ السماط: خمسة آلاف رأس غنم مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة فرس، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حَلوىٰ.

قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء و الصوفية، فيخلع عليهم، ويطلق لهم، ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكانَ يَصرِفُ على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أيّ جهة، على أي صفة، فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار، وكان يَسْتَفِكُّ من الفرنج في كل سنة أسارىٰ بمائتي ألف دينار، وكان يصرف على الحرمين الشريفين، والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار، هذا كلّه سِوىٰ صدقات السر.

وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب [أخت الملك الناصر صلاح الدين] أن قميصه كان من كِربَاسٍ غليظ، لا يساوي خمسة دراهم. قالت: فعاتبته في ذلك، فقال: لبسي قميصاً بخمسة، وأتصدّق بالباقي، خير من أن ألبس ثوباً مثمناً، وأدع الفقير والمسكين.

وقال ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية: كان من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب، فدخل الشام والعراق،

واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي، فعمل له كتاب «التنوير في مولد البشير النذير» وقرأه عليه بنفسه، فأجازه بألف دينار.

قال: وقد سمعناه على السلطان في ستّة مجالس، في سنة خمس وعشرين وستمائة، انتهى.

قول الشيخ تاج الدين اللخمي في عمل المولد:

وقد ادَّعى الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السَّكندري المشهور بالفاكهاني من متأخّري المالكية ـ أنَّ عمل المولد بدعة مذمومة، وألّف في ذلك كتاباً سمّاه «المورد في الكلام على عمل المولد». وأنا أسوقه هنا برمّته وأتكلم عليه حرفاً حرفاً.

ثم ساق كلام اللخمي كلّه، وفيه قوله: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله تعالىٰ، ولا سنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا ينقل عَمَلُهُ عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسّكون بآثار المتقدِّمين.

بل هو بِدعةٌ أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اعتنىٰ بها الأكّالون بدليل: أنّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إمّا أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً. وليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأنَّ حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذمٍّ على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة ولا التابعون، ولا العلماء المتديّنون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدَي الله تعالىٰ إن عنه سُئِلْتُ.

ولا جائز أن يكون مباحاً، لأنَّ الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، فلم يبقَ إلاّ أن يكون مكروهاً، أو حراماً.

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجّب من العجب. هذا مع أنَّ الشهر الذي وُلِدَ فيه صلّى الله عليه

وسلّم ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذي تُوفّيَ فيه، فليس الفرح والسرور فيه بأولى مِن الحزن فيه.

نقد كلام الشيخ تاج الدين اللخمي:

قال الشيخ السيوطي: أمّا قوله: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنّة».

فيُقال عليه: نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود، وقد استخرج له الحافظ أبو الفضل أحمد ابن حَجَر أصلاً من السُّنّة، واستخرجتُ أنا له أصلاً ثانياً، وسيأتي ذكرهما بعد هذا.

وقوله: «بل هو بدعة أحدثها البطّالون»... إلى قوله: «ولا العلماء المتديّنون».

يقال عليه: قد تَقدّم أنه أَحدثهُ مَلِكٌ عادل عالم، وقصد به التقرّب إلى الله عزّ وجلّ، وحضر عنده فيه العلماء والصَّالحون من غير نكير منهم، وارتضاه ابن دحية؛ وصنّف له من أجله كتاباً. فهؤلاء علماء متديّنون رَضُوهُ، وأقرّوه، ولم ينكروه.

وقوله: «ولا مندوباً، لأنَّ حقيقة المندوب ما طلبه الشرع».

يُقال عليه: إنَّ الطلب في المندوب تارة يكون بالنصّ، وتارة يكون بالقياس، وهذا وإن لم يرد فيه نص، ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما.

وقوله: «ولا جائز أن يكون مباحاً، لأنَّ الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين».

كلام غير مسَلَّم، لأنَّ البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه، بل قد تكون أيضاً مباحة ومندوبة وواجبة.

ما هي البدعة:

قال النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء واللغات»: البدعة في

الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهي منقسمة إلى: حسنة، وقبيحة.

وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في «القواعد»: البدعة منقسمة إلى: واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة.

قال: والطريق في ذلك؛ أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب، فهي واجبة، أو في قواعد التحريم، فهي محرمة، أو الندب، فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة.

وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة، إلى أن قال: وللبدع المندوبة أمثلة منها: إحداث الرُّبُطِ، والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها: التراويح، والكلام في دقائق التصوُّف، وفي الجدل. ومنها: جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالىٰ.

وَروىٰ البيهقي بإسناده في «مناقب الشافعي» عن الشافعي رحمه الله قال: المحدثات من الأمور ضربان: **أحدهما**: ما أُحْدِث مما يخالف كتاباً، أو سنة، أو أثراً، أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة. **والثاني**: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة.

وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: «نعمت البدعة هذه».

يعني: أنها مُحْدثةٌ لم تكن، وإذا كانت ليس فيها ردٌّ لما مَضىٰ. هذا آخر كلام الشافعي رضي الله عنه.

فعُرِفَ بذلك منع قول الشيخ تاج الدين: «ولا جائز أن يكون مباحاً» إلى قوله: «وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة»... إلى آخره.

لأنَّ هذا القسم مما أُحْدِثَ، وليس فيه مخالفة لكتاب، ولا سنّة، ولا أثر، ولا إجماع، فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأوّل.

فإنَّ إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان، فهو من البدع المندوبة كما في عبارة ابن عبد السّلام.

وقوله: «والثاني. . .» إلى آخره.

هو كلام صحيح في نفسه، غير أنَّ التحريم فيه إنما جاء من قِبَلِ هذه الأشياء المحرَّمة التي ضُمَّت إليه، لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك ذمّ أصل الاجتماع لصلاة الجمعة كما هو واضح.

وقد رأينا بعض هذه الأمور تقع في لَيالٍ من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح، فهل يتصور ذمّ الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التي قُرِنت بها؟.

كلا؛ بل نقول: أصل الاجتماع لصلاة التراويح سُنّةٌ وقربَةٌ، وما ضُمَّ إليها من هذه الأمور قبيح، وشنيع.

وقوله: «مع أن الشهر الذي ولد فيه. . .» إلى آخره.

جوابه أن يقال: إن ولادته صلّى الله عليه وسلّم أعظم النّعم علينا، ووفاته أعظم المصائب بنا، والشريعة حَثَّتْ على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب. وقد أمَر الشارع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره، بل نَهىٰ عن النّياحة وإظهار الجزع، فدلّت قواعد الشريعة على أنه يَحْسُنُ في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلّى الله عليه وسلّم، دون إظهار الحزن فيه بوفاته صلّى الله عليه وسلّم.

وقد قال ابن رجب في كتاب «اللطائف» في ذمّ الرافضة، حيث اتّخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين رضي الله عنه: لم يأمر الله تعالىٰ ولا رسوله صلّى الله عليه وسلّم باتّخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن هو دونهم؟

قول الإمام
أبي عبد الله ابن الحاج
في عمل المولد

وقد تكلّم الإمام أبو عبد الله ابن الحاج في كتابه «المدخل» على عمل المولد، فأتقن الكلام فيه جدّاً، وحاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر، وذمّ ما احتوىٰ عليه من محرمات ومنكرات.

وأنا أَسردُ كلامه فصلاً فصلاً، قال:

فصل في المولد

ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أنَّ ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر، ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد.

وقد احتوىٰ ذلك على بدع ومحرَّمات جملةً، فمن ذلك استعمالهم المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المُصَرْصَر والشبابة وغير ذلك، مما جعلوه آلة للسماع، ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضّلها الله تعالىٰ وعظّمها ببدع ومحرمات، ولا شكّ أنَّ السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه، فكيف به إذا انضمّ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فَضّلهُ الله تعالىٰ، وفضّلنا فيه بهذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

فآلة الطرب والسماع أيّ نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي مَنَّ الله علينا فيه بسيد المرسلين، فكان يجب أن يُزادَ فيه من العبادة والخير شكراً للمَولىٰ على ما أولانا به من هذه النِّعَم العظيمة، وإن كان النبيّ صلّى الله

عليه وسلّم لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات، وما ذلك إلّا لرحمته صلّى الله عليه وسلّم بأمّته ورفقه بهم، لأنه صلّى الله عليه وسلّم كان يترك العمل خشية أن يُفْرضَ على أمّته، رحمةً منه بهم.

لكن أشار عليه الصّلاة والسّلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين: «ذلك يوم وُلِدْتُ فيه».

فتشريف هذا اليوم مُتَضَمِّنٌ لتشريف هذا الشهر الذي وُلِدَ فيه، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام، ونفضّله بما فضّل الله به الأشهر الفاضلة، وهذا منها؛ لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي».

وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصّها الله به عزّ وجلّ من العبادات التي تفعل فيها، لما قد عُلِمَ أنَّ الأمكنة والأزمنة لا تشرف لذاتها، وإنما يحصل لها التشريف بما خُصّت به من المعاني.

فانظر إلى ما خصَّ الله به هذا الشهر الشريف، ويوم الاثنين، ألَا تَرىٰ أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه صلّى الله عليه وسلّم وُلِد فيه؟

فَعلىٰ هذا، ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم، أن يُكَرّمَ ويُعَظّم ويحترم الاحترام اللّائق به، اتّباعاً له صلّى الله عليه وسلّم في كونه كان يخصّ الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البرّ فيها وكثرة الخيرات. ألَا تَرىٰ إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان»؟ فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة، بما امتثله على قدر استطاعتنا.

فإن قال قائل: قد التزم عليه الصّلاة والسّلام في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد عُلِمَ، ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره.

فالجواب: أنَّ ذلك لما عُلِمَ من عادته الكريمة أنه يُريد التخفيف عن أمّته، سيما فيما كان يخصّه.

ألا تَرىٰ إلى أنه عليه الصَّلاة والسَّلام حرّم المدينة مثل ما حرّم إبراهيم مكّة؟ ومع ذلك لم يُشَرّع في قتل صيده ولا في قطع شجره الجزاء، تخفيفاً على أمته ورحمةً بهم، فكان ينظر إلى ما هو من جهته ـ وإن كان فاضلاً في نفسه ـ، فيتركه للتخفيف عنهم.

ما يجب عمله في المولد:

فَعلىٰ هذا؛ فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه، والصدقات، إلى غير ذلك من القُربَات.

فمن عجز عن ذلك، فأقلّ أحواله أن يجتنب ما يَحْرُمُ عليه ويكره له، تعظيماً لهذا الشهر الشريف، وإن كان ذلك مطلوباً في غيره، إلّا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً، كما يتأكّد في شهر رمضان، وفي الأشهر الحُرُمِ، فيترك الحدث في الدّين، ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي.

أفعال مُنكرة في المولد:

وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضدّ هذا المعنى، وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم، تسارعوا فيه إلى اللّهو واللعب بالدُّفّ والشبابة وغيرهما.

ويا ليتهم عملوا المغاني ليس إلّا، بل يزعم بعضهم أنه يتأدّب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز، وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالتهوّك والطرق المهيّجة لطرب النفوس، وهذا فيه وجوه من المفاسد، ثم إنهم لم يقتصروا على ما ذكر، بل ضَمّ بعضهم إلى ذلك الأمر الخطر، وهو أن يكون المُغَنِّي شاباً لطيف الصورة، حسن الصوت والكسوة والهيئة، فينشد التغزّل، ويتكسر في صوته وحركاته، فيفتن بعض من معه من الرّجال والنساء، فتقع الفتنة في الفريقين، ويثور من المفاسد ما لا يحصر، وقد يؤول ذلك في الغالب إلى فساد حال الزوج وحال الزوجة، ويحصل الفراق والنّكد العاجل، وتشتّت أمرهم بعد جمعهم.

وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه، وعمل طعاماً فقط، ونَوىٰ به المولد، ودعا إليه الإخوان، وَسَلِمَ من كل ما تقدم ذكره، فهو بدعة بنفس نيّته فقط؛ لأنَّ ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتّباع السلف أولىٰ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ منهم أنه نَوىٰ المولد، ونحن تَبَع، فيسعنا ما وسعهم. انتهى.

نقد كلام ابن الحاج:

وحاصل ما ذكره: أنه لم يذمّ المولد، بل ذمّ ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات.

وأوّل كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخصّ هذا الشهر بزيادة فعل البرّ، وكثرة الخيرات والصدقات، وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسنَّاه، فإنه ليس فيه شيء سِوىٰ قراءة القرآن، وإطعام الطعام، وذلك خير وبر وقربة.

وأمّا قوله آخراً إنه بدعة، فإمّا أن يكون مناقضاً لما تقدم، أو يُحْمَل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره في أوّل الكتاب، أو يُحْمَل على أنَّ فعل ذلك خير، والبدعة منه نية المولد، كما أشار إليه بقوله: «فهو بدعة بنفس نيّته فقط»، وبقوله: «ولم ينقل عن أحد منهم أنه نَوىٰ المولد».

فظاهر هذا الكلام: أنه كره أن يُنوىٰ به المولد فقط، ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه، وهذا ـ إذا حقق النظر ـ لا يجتمع مع أوّل كلامه، لأنه حثّ فيه على زيادة فعل البر، وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالىٰ، إذ أوجد في هذا الشهر الشريف سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا هو مَعنىٰ نيّة المولد، فكيف يُذَمُّ هذا القدر مع الحثّ عليه أوَّلاً؟

وأمّا مجرد فعل البِرِّ وما ذكر معه من غير نيةٍ أصلاً، فإنه لا يكاد يتصوّر، ولو تصوّر لم يكن عبادة، ولا ثواب فيه؛ إذ لا عمل إلّا بنيّة، ولا

نيّة هنا إلّا الشكر لله تعالىٰ على ولادة هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم في هذا الشهر الشريف.

وهذا مَعنىٰ نيّة المولد، فهي نية مُسْتَحسنةٌ بلا شك، فتأمّل.

ثم قال ابن الحاج: ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فِضَّةٌ عند الناس متفرّقة، كان قد أعطاها في بعض الأفراح أو المواسم، ويريد أن يستردّها ويستحي أن يطلبها بذاته، فيعمل المولد حتى يكون ذلك سبباً لأخذ ما اجتمع له عند الناس، وهذا فيه وجوه من المفاسد، منها أنه يتّصف بصفة النفاق، وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن؛ إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة، وباطنه أنه يجمع به فِضّةً.

ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم، أو طلب ثناء الناس عليه، ومساعدتهم له، وهذا أيضاً فيه من المفاسد ما لا يَخفىٰ. انتهى.

وهذا أيضاً من نمط ما تقدم ذكره، وهو أنَّ الذمَّ فيه إنما حصل من عدم النيّة الصالحة، لا من أصل عمل المولد(١٣).

(١٣) سيأتي مناقشة لكلام ابن الحاج ص١٦٨.

كلام الحافظ
أبي الفضل ابن حجر
في عمل المولد

وقد سُئِل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما نصّه:

أصل عمل المولد بدعة لم تُنقل عن أَحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك، قد اشتملت على محاسن وضدها. فمن تحرّىٰ في عملها المحاسن، وتجنّب ضدّها، كان بدعة حسنة، وإلّا فلا.

قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصلٍ ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَدِمَ المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجّى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالىٰ.

فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالىٰ على ما مَنَّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كُلّ سَنةٍ.

والشكر لله تعالىٰ يحصل بأنواع العبادات؛ كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نبيّ الرحمة في ذلك اليوم؟

وعلى هذا؛ فينبغي أن يتحرّى اليوم بعينه، حتى يُطَابِق قصة موسى عليه السّلام في يوم عاشوراء.

ومن لم يلاحظ ذلك، لا يبالي بعمل المولد في أيّ يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة، وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله.

ما يجب أن يُقْتَصَر عليه في عمل المولد:

وأمّا ما يُعمل فيه؛ فينبغي أن يُقْتَصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالىٰ من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح النبويّة والزهدية المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير، والعمل للآخرة.

ما يجب تَجَنُّبُهُ:

وأمّا ما يَتْبَع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً، فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى. انتهى.

ما ورد في عقيقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن نفسه بعد البعث:

قلت: وقد ظهر لي تخريجه على أصلٍ آخر، وهو ما أخرجه البيهقي، عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عن نفسه بعد النبوّة».

مع أنه قد ورد أنَّ جدّه عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرّة ثانية، فيحمل ذلك على أنَّ الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إظهار للشكر على إيجاد الله تعالىٰ إياه، رحمةً للعالمين، وتشريع لأمّته، كما كان يصلّي على نفسه لذلك، فيستحبّ لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسرّات.

قول الحافظ
شمس الدين ابن الجزري

ثم رأيت إمام القرّاء الحافظ شمس الدين ابن الجزري قال في كتابه [المُسَمّى] «عَرْفَ التعريف بالمولد الشريف» ما نصّه:

وقد رُئِي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلّا أنه يخفّف عني كل ليلة اثنين، وَأَمصُّ من بين أصبعيّ ماءً بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وإنَّ ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشَّرتني بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وبإرضاعها له.

فإذا كان أبو لهب الكافر، الذي نزل القرآن بذمّه جُوزِيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم به، فما حال المسلم الموحّد من أمة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُسَرُّ بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته صلّى الله عليه وسلّم.

لَعَمْري إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم، أن يُدخِلَهُ بفضله جنّات النعيم.

قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي:

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المُسمَّىٰ بـ «مورد الصادي في مولد الهادي»:

قد صَحّ أنَّ أبا لهب يُخَفَّفُ عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين، لإعتاقه ثويبة سروراً بميلاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمّه بتبّت يداه في الجحيم مخلّدا
أتىٰ أنه في يوم الاثنين دائماً يُخَفّف عنه للسرور بأحمدا
فما الظنّ بالعبد الذي طُولَ عُمْرِه بأحمد مسروراً ومات موحّدا

قول الكمال الأدفوي:

قال الكمال الأدفوي في «الطالع السعيد»:

حَكىٰ لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد: أنَّ أبا الطيّب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي نزيل قوص، أحد العلماء العاملين، كان يَجُوزُ بالمكتب في اليوم الذي ولد فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور، اصرف الصبيان، فيصرفنا.

وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره، وهذا الرجل كان فقيهاً مالكياً متفنّناً في علوم، متورّعاً، أخذ عنه أبو حيان وغيره، ومات سنة خمسٍ وتسعين وستمائة.

حكمة مولده صلّى الله عليه وسلّم في يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل:

قال ابن الحاج: فإن قيل: ما الحكمة في كونه عليه الصّلاة والسّلام خصّ مولده الكريم بشهر ربيع الأوّل، ويوم الاثنين، ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفيه ليلة القدر، ولا في الأشهر الحُرُم، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة وليلتها؟

فالجواب من أربعة أوجه:

الأول: ما ورد في الحديث من أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ خلق الشجر في يوم الاثنين، وفي ذلك تنبيه عظيم، وهو أن خَلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتدّ بها بنو آدم ويحيون، وتطيب بها نفوسهم فيه.

الثاني: أنَّ في لفظة: «ربيع» إشارة وتفاؤلاً حسناً بالنسبة إلى اشتقاقه،

وقد قال أبو عبد الرحمٰن الصِّقلِّي: لكل إنسان من اسمه نصيب.

الثالث: أنَّ فصل الربيع أَعدلُ الفصول وأحسنها، وشريعته صلّى الله عليه وسلّم أعدل الشرائع وأسمحها.

الرابع: أنَّ الحكيم سبحانه وتعالىٰ أراد أن يُشَرِّفَ به الزمان الذي وُلِدَ فيه، فلو وُلِد في الأوقات المتقدم ذكرها، لكان قد يتوهم أنه يتشرّف بها.

انتهى ذلك، والحمد لله وحده. كان فراغه يوم الجمعة، وقت الضحى من شهر صفر سنة (كذا) على يد أحقر العباد السيد محمود[١٤].

(١٤) انتهت رسالة السيوطي.

فَتْوَى ابن حَجَر الهَيْتمي

وهو العلّامة الفقيه المحدِّث الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي المتوفَّىٰ سنة ٩٧٤هـ جاء في «فتاويه الحديثية»: أنه رضي الله عنه سُئِلَ عن حكم الموالد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان، هل هي سنّة، أم فضيلة أم بدعة؟ فإن قلتم إنها فضيلة، فهل ورد في فضلها أثر عن السلف أو شيء من الأخبار، وهل الاجتماع للبدعة المباحة جائز أم لا؟ وهل تجوز إذا كان يحصل بسببها، أو سبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال، ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاطاة غير مرضية شرعاً، وقاعدة الشرع مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة، وصلاة التراويح سنَّة ويحصل بسببها هذه الأسباب المذكورة، فهل يمنع الناس من فعلها أم لا يضرّ ذلك؟

فأجاب بقوله: الموالد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر، وصلاة وسلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومدحه، وعلى شَرٍّ بل شرور، لو لم يكن منها إلّا رؤية النساء للرجال الأجانب لكفىٰ، وبعضها ليس فيها شر، لكنه قليل نادر، ولا شكّ أنَّ القِسم الأول ممنوع للقاعدة المشهورة المقرّرة: أن دَرءَ المفاسد مُقدّمٌ على جلب المصالح. فمن عَلِمَ وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك، فهو عَاصٍ آثم، وبفرض أنه عمل في ذلك خيراً، فربما خيره لا يساوي شره، ألَا ترى أنَّ الشارع صلّى الله عليه وسلّم اكتفى من الخير بما تيسّر، وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال: «إذا أمرتكم بأمر فَأْتُوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

فتأمّله؛ تعلم ما قرّرته من أنَّ الشر وإن قلَّ، لا يُرخَّصُ في شيء منه والخير يكتفى منه بما تيسَّر.

والقسم الثاني: سُنّةٌ تشمله الأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامّة؛ كقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالىٰ، إلّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالىٰ فيمن عنده» رواه مسلم.

ورُوِي أيضاً أنه صلّى الله عليه وسلّم قال لقوم جلسوا يذكرون الله تعالىٰ ويحمدونه على أن هداهم للإسلام: «أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن الله تعالىٰ يُباهي بكم الملائكة»، وفي الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له، وأنَّ الجالسين على خير كذلك يُباهي الله بهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله تعالىٰ بالثناء عليهم بين الملائكة، فَأيُّ فضائل أجلّ من هذه؟!.

وقول السائل نفع الله به: وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز؟

جوابه: نعم هو جائز، قال العزّ بن عبد السلام رحمه الله تعالىٰ: البدعة فعل ما لم يعهد في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتنقسم إلى خمسة أحكام، يعني: الوجوب، والندب إلى آخره، وطريق معرفة ذلك أن تُعْرَض البدعة على قواعد الشرع، فَأيُّ حُكمٍ دخلت فيه، فهي منه.

فمن البدع الواجبة: تعلّم النحو الذي يُفْهَمُ به القرآن والسنَّة. **ومن البدع المحرمة**: مذهب نحو القدرية. **ومن البدع المندوبة**: إحداث نحو المدارس، والاجتماع لصلاة التراويح. **ومن البدع المباحة**: المصافحة بعد الصلاة، **ومن البدع المكروهة**: زخرفة المساجد والمصاحف ـ أي بغير الذهب ـ وإلّا فهي محرّمة.

وفي الحديث: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، وهو

محمول على المحرمة لا غير، وحيث حصل في ذلك الاجتماع لِذكرٍ، أو صلاة التراويح، أو نحوها مُحَرَّم، وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك، وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك، وإلّا صار شريكاً لهم. ومن ثَمَّ صرَّح الشيخان بأنَّ من المعاصي الجلوس مع الفساق إيناساً لهم.

انتهت فَتوىٰ الإمام ابن حجر رضي الله عنه[١٥].

(١٥) جواهر البحار [٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦].

فَتْوَى الإمَام ابن عَابدِيْن

قال الإمام العلّامة السيد أحمد بن عبد الغني بن عمر بن عابدين الدمشقي، فقيه الشام وأستاذ العلماء، قال في شرحه على مولد ابن حجر الهيتمي المسمّى بـ: «نثر الدّرر على مولد ابن حجر».

اعلم: أنَّ من البدع المحمودة عمل المولد الشريف في الشهر الذي وُلِدَ فيه صلّى الله عليه وسلّم، وأوّل من أَحدثهُ الملك المظفر صاحب إربل، قال ابن كثير في «تاريخه»: كان يَعمَلُ المولد الشريف في ربيع الأوّل، ويحتفل فيه احتفالاً هائلاً، وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً، وطالت مدّته في الملك إلى أن مات وهو مُحَاصِرٌ الفرنج بمدينة عكّا، سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسّريرة.

وقال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: حَكىٰ لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد، أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حَلوىٰ. وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية، فيخلع عليهم ويطلق لهم، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، كما في سيرة العلامة الشيخ محمد الشامي تلميذ الإمام السيوطي، ومثله في «شرح المواهب» للعلامة الزرقاني. وقال في «روح السِّيَر» للعلامة إبراهيم الحلبي الحنفي: قد صنّف ابن دحية سنة ٦٠٤هـ للملك المظفّر كتاباً في المولد الشريف سمّاه «التنوير بمولد النبي البشير» فأجازه بألف دينار، اهـ.

وقال في «النعمة الكبرى» للمؤلّف ـ يعني ابن حجر الهيتمي ـ وهو المولد الكبير عن الشمس ابن الجزري: وأكثر الناس عناية بذلك أهل مصر

والشام، وأنه شاهد من الظاهر برقوق سلطان مصر سنة ٧٨٥هـ وأمرائه بقلعة مصر في ليلة المولد المذكورة، من كثرة الطعام وقراءة القرآن والإحسان للفقراء والقرّاء والمدّاح ما بهره، وأنه صرف على ذلك نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب.

قال غيره: وزاد ذلك في زمن السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق على ما ذكر بكثير، وكان لملوك الأندلس والهند ما يقارب ذلك، أو يزيد عليه، اهـ.

وقد أكثر الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي الثناء على الملك المظفّر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف، وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل في هذه الليلة، أَدَلُّ دَليلٍ على أنَّ عمل المولد بدعة حسنة، لا سيما وقد ذكر أبو شامة هذا الثناء الفائق في كتابه الذي سمّاه «البواعث على إنكار البدع والحوادث» وهذا الفضل إذا خلا عن المفاسد.

وعبارة أبي شامة: «ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الصدقات وفعل الخيرات، وإظهار الفرح والسرور. فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشْعِرٌ بمحبّته عليه الصَّلاة والسَّلام وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكر الله على ما منَّ به من إيجاده صلّى الله عليه وسلّم وفيه إغاظة للكفَرَة والمنافقين»، اهـ.

قال الزرقاني: «وقد اختاره أبو الطيّب السبتي نزيل قوص، وهو من أجلّة المالكية»، اهـ.

قال الحافظ أبو الخير شمس الدين بن الجزري: فإذا كان أبو لهب الذي أنزل القرآن بذمّه جُوزِيَ في النار، أي بشربة ماء برأس أصبعه، وبتخفيف العذاب عنه في كل ليلة الاثنين لإعتاقه ثويبة فرحاً لما بشَّرته بولادته صلّى الله عليه وسلّم، فما حَالُ المسلم الموحّد من أمّته صلّى الله عليه وسلّم الذي يُسَرُّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قوّته؟ لعمري إنما يكون

جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم، جنّات النعيم. وما زال بحمد الله تعالىٰ في كل عصر طائفة من الإسلام ملتزمين له غاية الالتزام حتى توسّعوا فيه، فعملوه في سائر شهور العام محبّة بجنابه الشريف عليه الصّلاة والسّلام، ويعملون الولائم ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور به ويزيدون في المبرّات ولا سيما ملوك الدولة العليَّة العثمانية، وأمراؤها أصحاب الهِمَم القويّة، صانَها رب البرية من كل آفة ورزيّة، فإنهم يعتنون بقراءة قصة مولده الكريم صلّى الله عليه وسلّم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وقال عمدة المحقّقين نور الدين علي الحلبي في كتابه: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون صلّى الله عليه وسلّم»، والبرهان إبراهيم الحلبي في «روح السير» بعد ذكر حاصل أكثر ما قدّمناه، واستحسان القيام عند سماع ذكر وضعه صلّى الله عليه وسلّم ما نصّه:

وقد سئل الإمام المحقّق أبو زُرْعَةَ العراقي عن عمل المولد، هل هو مستحب أو مكروه وهل ورد فيه شيء؟ وهل نُقِلَ فعله عمن يُقتدىٰ به؟

فأجاب رحمه الله تعالىٰ: بأنَّ اتّخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحبّ في كل وقت، فكيف إذا انضمّ إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبوّة في هذا الشهر الشريف، ولا نعلم غير ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروهاً، فكم من بدعة مستحبّة، بل واجبة اهـ.

فهو بدعة حسنة.

قال السيوطي: وهو مُقتضىٰ كلام ابن الحاج في «مدخله»، فإنه إنما ذمّ ما احتوىٰ عليه من المحرمات، مع تصريحه قبل بأنه ينبغي تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البرّ وكثرة الصدقات والخيرات، وغير ذلك من وجوه القُرُبات، وهذا هو المولد المستحسن، اهـ.

وقال في «المواهب»: ولقد أطنب ابن الحاج في «المدخل» في

الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف، اهـ.

قال السيد أحمد عابدين بعد ما ذكر: **أقول**: ومن ذلك ما يفعله كثير من العوام من قراءة المولد في منابر الإسلام المشتملة على الغناء واللعب فوق رؤوس الأنام، وأقبح منهم؛ مَن يفتيهم بلزوم نذر ذلك ليتوصّل إلى الحطام، كما ذكره سيدي الهمام ـ أي عمّه السيد محمد عابدين ـ في «حاشيته» آخر «كتاب الصيام».

يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: قد راجعت هنا «حاشية» السيد محمد عابدين، وهذه عبارته قبل «باب الاعتكاف»: «أما لو نذر زيتاً لإيقاد قنديل فوق ضريح الشيخ، أو في المنارة كما يفعل النساء من نذر الزيت لسيدي عبد القادر ويوقد في المنارة جهة المشرق، فهو باطل، وأقبح منه النذر بقراءة المولد في المنابر، مع اشتماله على الغناء واللعب وإيهاب ثواب ذلك إلى حضرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم». انتهت عبارته رحمه الله.

وقال البرهان إبراهيم الحلبي الحنفي في «روح السير» بعد ما نقل استحسان فعل المولد عن جملة من الأعيان، ما ملخصه:

أمّا إذا حصل بسبب ذلك شيء من المنكرات، كاجتماع النساء في عملهن المولد مع رفع أصواتهن بالغناء، فهو حرام في جميع الأديان، فإنَّ نفس رفع صوت النساء عورة، فضلاً عن ضَمِّ الغناء إليه، انتهى كلامه.

ثم قال: وقال الزرقاني: والحاصل أنَّ عمل المولد بدعة، لكنه اشتمل على محاسن وضدّها، فمن تَحرّىٰ المحاسن واجتنب ضدّها، كانت بدعته حسنة، ومن لا فلا.

وقال الحافظ ابن حجر في جواب سؤال: وظهر لي تخريجه على أصل ثابت، وهو ما في الصحيحين أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قَدِمَ

المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونَجّىٰ موسى، ونحن نصومه شكراً.

قال: فيستفاد منه فعل الشكر على ما مَنَّ به تعالىٰ في يوم معيَّن، وَأيُّ نعمة أعظم من بروز نبيّ الرحمة؟ والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي، اهـ.

وزاد ابن حجر الهيتمي في «النعمة الكبرى» قوله: إنَّ النعمة تمّت بإرسال نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم المحصّل لسعادة الدارَيْن، فصيام يوم تجدّدت فيه النِّعَم من الله تعالىٰ، حَسَنٌ جَمِيل، وهو من باب مقابلة النِّعم في أوقات تجدّدها للناس بالشكر، ونظير هذا صيام يوم عاشوراء، حيث نَجّىٰ الله تعالىٰ فيه نوحاً عليه الصّلاة والسّلام من الغرق، وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليمّ، فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله تعالىٰ، وصامه نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم متابعة لأنبياء الله تعالىٰ، وقال لليهود: «نحن أحقّ بموسى منكم» وأمر بصيامه، اهـ.

ونقل البرهان الحلبي في «روح السِّيَر» عن الإمام الحافظ ابن حجر قوله: إنَّ قاصدي الخير وإظهار الفرح والسرور بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمحبّة له، يكفيهم أن يجمعوا أهل الخير والصلاح والفقراء والمساكين، فيطعموهم ويتصدّقوا عليهم محبّةً له صلّى الله عليه وسلّم، فإن أرادوا فوق ذلك، أمروا من يُنْشِدُ من المدائح النبويّة والأشعار المتعلّقة بالحثّ على الأخلاق الكريمة مما يُحَرّكُ القلوب إلى فعل الخيرات، والكفّ عن البدع المنكرات، أي لأنَّ من أَقوىٰ الأسباب الباعثة على محبّته صلّى الله عليه وسلّم، سماع الأصوات الحسنة المطربة بإنشاد المدائح النبوّية، إذا صادفت محلاً قابلاً، فإنها تُحْدِثُ للسامع شكراً ومحبة.

ثم قال السيد أحمد عابدين: فالاجتماع لسماع قصة مولد صاحب

المعجزات عليه أفضل الصّلاة وأكمل التحيات من أعظم القُربَات، لما يشتمل عليه من المبرّات والصِّلات، وكثرة الصلاة عليه والتحيات، بسبب حُبِّهِ المُوصِلِ إلى قربه، وقد صرّح الأعلام بأنَّ عمل المولد أمانٌ في ذلك العام، وَبُشرىٰ عاجلة لنَيْل البغية والمرام، كما صرّح به ابن الجزري ونقله عنه الحلبي في «سيرته»، وكذا المؤلف، يعني ابن حجر الهيتمي، والقسطلاني في «المواهب».

وَحكىٰ بعضهم: أنه وقع في خَطْبٍ عظيم، فرزقه الله النجاة من أهواله بمجرد أن خطر عمل المولد النبوي بباله. فينبغي لكل صادق في حبّه، أن يستبشر بشهر مولده صلّى الله عليه وسلّم، ويعقد فيه مَحْفلاً لقراءة ما صحّ في مولده من الآثار، فَعسىٰ أن يدخل بشفاعته مع السابقين الأخيار، فإنَّ من سَرَت محبّته صلّى الله عليه وسلّم في جسده لا يَبلىٰ، ولم تحصل مرتبة الشفاعة لأهلها إلّا بواسطة حبّهم لجنابه الأعلى. وإذا كان الشفعاء الأبرار أورثهم حُبّهُ صلّى الله عليه وسلّم قبول شفاعتهم في الأغيار، فلا أقلّ أن يُورثَ عمل المولد الشفاعة في صاحبه وإن نزلت مرتبة محبته عن محبتهم في المقدار. ومصداقه قول الحبيب المختار: «المرء مع من أحب»، فرحم الله ٱمْرَأً اتّخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، فإنه إذا لم يكن من ذلك فائدة إلّا كثرة الصلاة والسلام عليه صلّى الله عليه وسلّم لكفىٰ، وفضلهما لا يَخفىٰ.

والله سبحانه أعلم بالمرام، وإنما الأعمال بالنيّات والسلام. انتهى ما ذكره في مقدّمة شرحه المذكور باختصار(١٦).

---

(١٦) جواهر البحار [٣/ ٣٣٧ ـ ٣٤١].

الملا علي القاري والمولد النبوي

قال العلامة المُحَدِّث الشيخ ملّا علي القاري في كتابه «المورد الرَّويّ»[17]:

أَحمدُ الله الأزلي الأبدي، على ما أضاء النور الأحمدي، وأشرق الضياء المحمدي، المنعوت بالمحمود في عالم الوجود، وأفاء على العرب والعجم بأنواع النعم وأصناف الجود، وأهداه إلى الناس كافة إرسال هداية وهديّة ورحمة ورأفة وهو الرحيم الودود، بإبراء هذا المولود، في أحسن المورود، وهو شهر ربيع الأول، على ما عليه المعوّل، صلّى الله عليه وسلم وشرفه وكرّمه وأحسن إليه، وقرّبه واصطفاه لديه، ولقد أحسن المقال، من قال من بعض أرباب الحال:

لهذا الشهر في الإسلام فَضلٌ	ومنقبة تَفُوقُ على الشهور
فَمَولودٌ به واسمٌ ومعنىٰ	وآيات بهرن لَدىٰ الظهور
ربيع في ربيع في ربيع	ونور فوق نور فوق نور

وقد قال تعالىٰ في القرآن العظيم، والفرقان الحكيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وأظهر هذا الإخبار المتضمن لحصول الأنوار، مُصَدّراً بالقسم المُقَدّر، ومؤكّداً بحرف التحقيق، إشارة إلى أنَّ مجيئه صلّى الله عليه وسلّم إليهم من علامات العناية وأمارات التوفيق، والخطاب عام شامل للمؤمنين والكافرين، ولكنه هُدًى للمتّقين، وَحُجّةٌ على

(١٧) «المورد الروي في المولد النبوي» بتعليقات السيد محمد بن علوي المالكي.

الآخرين، كماء النيل ماء للمحبوبين، ودماء للمحجوبين، وإيماء إلى أن مجيئه موعود إليكم، ومقصود لديكم، بمقتضى قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩]. وفي الإتيان بالشرطية المؤكّدة بـ«ما» المزيدة في إتيان الرسول، ومجيئه المقبول، دلالة كاملة، وعلامة شاملة، إلى أن بَعْثَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم ليس بواجب عليه سبحانه، إلّا بموجب وعده وفضله، وكرمه على عباده، وفيه إشعار بأنه لولا إرسالنا إياه بالمجيء إليكم، لما تَنزّل عن مرتبته ولا نزل باختياره عليكم، فإنه من المقرّبين إلينا، ومن المعظّمين لدينا، وهو لا يحب الغيبة عن حضرة الحق، بالإقبال والتوجّه إلى الخلق.

أما تَرىٰ إلى «أبان» الخاص حيث كان من عبيده الخَواص، كلما عرض عليه سيده وسلطانه من المناصب الجليلة لم يقبله، وأقبل على إقبال الحضرة العلية، لكنه صلّى الله عليه وسلّم ترك ما يريد لما يختاره الله تعالىٰ ويريد، كما هو شأن المراد والمريد، وقد قال قائلهم:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

فهذه مرتبة أهل الكمال من أرباب الأحوال، الجامعين بين تجلّيات الجمال والجلال، الفانين عمّا سواه في الإدبار والإقبال، ولذا لما قيل لأبي يزيد: ما تريد؟ قال: أريد أن لا أريد.

وقد قال بعض أرباب التوفيق، من أصحاب التحقيق والتدقيق: هذه أيضاً إرادة عند الصوفية السّادة، إذ إرادة عدم الإرادة من باب الزيادة، تلميحاً إلى مقام الفناء عن السواء(١٨)، وحالة(١٩) التسليم والرّضاء في فضاء القضاء، ثم التنوين في رسول للتعظيم المحتوي للتكريم، فكأنه تعالىٰ قال:

(١٨) الغير.
(١٩) عطف على مقام.

لقد جاءكم أيها الكرام رسول كريم، من ربٍّ كريم، بكتاب كريم، فيه دعاء إلى روح وريحان وجنّة نعيم، وزيادة بشارة إلى لقاء كريم، وإنذار عن الحميم والجحيم؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ومن عظمة هذا الرسول أنه أُخِذَ الميثاق من الأنبياء الكرام، والرسل العظام، أن كل من أدرك وقت مجيئه بالرسالة، على جهة العظمة والجلالة، آمن به ونصره وأظهر كماله، كما أشار إليه المفسّرون في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقد هَدىٰ عليه السّلام إلى هذا المقام العالي بقوله: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلّا اتّباعي»، وأومأ إلى ذلك، بل إلى أنه فوق ما هنالك في المرتبة بقوله: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة».

ثم كأنّه سبحانه يقول: اعلموا أنه صلّى الله عليه وسلّم ما جاءكم إلى جانبكم إلّا باعتبار القالب الصُّوري، على وجه الظهور النُّوري، ولكنه باعتبار القلب الحضوري، واقف عند بابنا، حاضر في جنابنا، لا يغيب من البين لمحة عين، فهو مجمع البحرين، لأنه غريب عندكم وقريب إلينا، وبَائِنٌ عنكم وكَائِنٌ علينا، وفرشي معكم وعرشي لدينا، ومع هذا مرجعه إلى الحضرة، وإن طالت الغيبة، كما هو شأن الرسول بالنسبة إلى المرسل، بعد حصول المقصد الموصل، ففيه مزج الهناء بالعزاء[٢٠]، على ما عليه جميع نعم الدنيا بظهور البقاء وتعقيب الفناء، ومن الغريب أنهما وقعا في موسم واحد، وربيع مُتّحدٍ على السواء، كما وقع من عجائب التاريخ أن عُرْس ميمونة رضي الله تعالىٰ عنها كان بِسَرِف[٢١] حيث بَنىٰ بها وهنّأها، ووقع فيه

(٢٠) الهناء ضد العزاء، قال في القاموس: هنّأه تهنئةً ضد عزّاه، والعزاء الصبر، تقول: عزيته إذا جعلته ذا صبر.

(٢١) اسم موضع بقرب مكة المشرفة قبل التنعيم للقادم لمكة.

موتها ودفنها وعزاؤها، فسبحان الحيّ الذي لا يموت ولا يفوت، ولا يزول ولا يحول، والحمد لله الذي أحيانا بالإسلام، وجعلنا من أمّة محمد عليه الصّلاة والسلام، الذي هو مُتَمنّىٰ الأنبياء الكرام، فمجيئه عليه الصلاة والسلام، من تمام النعمة وغاية الإكرام، فوجب الإقبال والاستقبال في زمن الإرسال ومكان الإيصال. وقد جمع الله تعالىٰ من محض الإفضال، بين حصول النعمتين العظيمتين، لأهل البقعتين الكريمتين، أعني الحرمين الشريفين، والمحلين المنيفين، زادهما الله تشريفاً وتكريماً، ومهابة وتعظيماً، حيث وقع المولد المكرم بمكة الأمينة، والمدفن المعظم في المدينة السكينة، على ساكنها من الصلوات أفضلها، ومن التحيات أكملها، وقد قام أهل كُلّ بما هو أهل له، وفعل كُلٌّ من الجميل[٢٢] ما هو ميسّرٌ وسهل له، من زيارة المولد والمولود، وحصل لهم غاية الفوز ونهاية المقصود.

قال شيخ مشايخنا الإمام العلامة، الحبر البحر الفهّامة، شمس الدين محمد السخاوي، بلغه الله المقام العالي: وكنت ممن تشرف بإدراك المولد في مكة المشرفة عدة سنين، وتعرف ما اشتمل عليه من البركة المشار لبعضها بالتعيين، وتكرّرت زيارتي فيه لمحل المولد المستفيض، وتصوّرت فكرتي ما هنالك من الفخر الطويل العريض.

قال: وأصل عمل المولد الشريف لم ينقل عن أَحدٍ من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعدها بالمقاصد الحسنة، والنيّة التي للإخلاص شاملة، ثم لا زال أهل الإسلام، في سائر الأقطار والمدن العظام، يحتفلون في شهر مولده صلّى الله عليه وسلّم، وشرف وكرم، بعمل الولائم البديعة، والمطاعم المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون المسرّات ويزيدون في المبرّات، بل يعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم عميم، بحيث كان مما جرّب، كما قال الإمام شمس الدين ابن

(٢٢) من الطعام والشراب والحلل.

الجزري، المقرئ المقرب: ومن خواصه أنه أمانٌ تَامٌّ في ذلك العام، وَبُشرىٰ تعجيل بنيل ما يُبتغىٰ وَيُرام.

قال: وأكثرهم بذلك عناية أهل مصر والشام، ولسلطان مصر في تلك الليلة من العام الأعظم مقام.

قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة، ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل العلية، فرأيت ما هالَني وسرّني وما ساءني، وحررت ما أنفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين، من الوعّاظ والمنشدين، وغيرهم من الأتباع والغلمان والخدام المتردّدين، بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين، بالحدس المصيب لا المين(٢٣)، ما بين خِلَعٍ ومطعوم ومشروب ومشموم وشموع، وغيرها مما يستقيم به الضلوع، وعددت في ذلك خمساً وعشرين جوقة(٢٤) من القراء الصِّنْتِيتِين(٢٥)، المَرْجُوّ كونهم مثبتين(٢٦). ولم ينزل واحد منهم إلّا بنحو عشرين خِلْعَة من السلطان، ومن الأمراء الأعيان.

قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدام الحرمين الشريفين، ممن وفقهم الله لهدم كثير من المناكير والشين، ونظروا في الرعية كالوالد لولده، وشهروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومدده، كالملك السعيد الشهيد الظاهر المصدق، أبي سعيد جقمق، يعتنون به ويتوجهون لطريق نبيه، بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين، للزيادة على الثلثين، فَذُكِرُوا بكل جميل، وكفوا من المهمات كل عريض وطويل، وأمّا ملوك الأندلس والغرب، فلهم فيه ليلة تسير بها الركبان، يجتمع فيها أئمة العلماء

(٢٣) المَيْن: ـ بفتح الميم وسكون الياء ـ الكذب.
(٢٤) جوقة: جماعة.
(٢٥) الصنتيت: كالصنديد وزناً ومعنىً قال في «القاموس»: والصنتيت الصنديد، وقال فيه في موضع آخر: الصنديد الجواد أو الشريف.
(٢٦) أي مثبتين وجودهم بالفضائل العلمية.

الأعلام، فمن يليهم من كل مكان، وتعلوها بين أهل الكفر كلمة الإيمان، وأظن أهل الروم لا يتخلفون عن ذلك، اقتفاء بغيرهم من الملوك فيما هنالك، وبلاد الهند تزيد على غيرها بكثير، مما أعلمنيه بعض أُولي النقد والتحرير.

قلت: وأما العجم فمن حيث دخول هذا الشهر المعظم، والزمان المكرم، لأهلها مجالس فِخَام، من أنواع الطعام، للقراء الكرام، وللفقراء من الخاص والعام، وقراءة الختمات والتلاوات المتواليات، والإنشادات المتعاليات، وأجناس المبرات والخيرات، وأنواع السرور، وأصناف الحبور، حتى بعض العجائز من غَزْلِهِنّ ونَسْجِهِنّ يَجْمَعْنَ ما يقمن بجمعهن الأكابر والأعيان، وبضيافتهن ما يقدرن عليه في ذلك الزمان، ومن تعظيم مشايخهم وعلمائهم هذا المولد المعظم، والمجلس المكرم، أنه لا يَأْبَاهُ أحدٌ في حضوره، رجاء إدراك نوره وسروره، وقد وقع لشيخ مشايخنا مولانا زين الدين محمود الهمداني النقشبندي، قدس سره العلي، أنه أراد سلطان الزمان وخاقان الدوران، همايون بادشاه تغمّده الله وأحسن مثواه أن يجتمع به، ويحصل له المدد والإمداد بسببه، فَأَبَاهُ الشيخ وامتنع أيضاً أن يأتيه السلطان استغناء بفضل الرحمٰن، فألحّ السلطان على وزيره بيرم خان، بأنه لا بدّ من تدبير للاجتماع في المكان، ولو في قليل من الزمان، فسمع الوزير أن الشيخ لا يحضر في دعوة من هناء وعزاء، إلّا في مولد النبيّ عليه الصّلاة والسّلام تعظيماً لذلك المقام، فأنهىٰ إلى السلطان، فأمره بتهيئة أسبابه الملوكانية، من أنواع الأطعمة والأشربة ومما يشم به، ويتبخر في المجالس العلمية، وَناديٰ الأكابر والأهالي، وحضر الشيخ مع بعض الموالي، فأخذ السلطان الإبريق بيد الأدب ومعاونة التوفيق، والوزير أخذ الطست من تحت أمره، رجاء لطفه ونظره، وغسلا يد الشيخ المكرم، وحصل لهما ببركة تواضعهما لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، المقام المعظم والجاه المفخم.

قال السخاوي: وأمّا أهل مكة، معدن الخير والبركة، فيتوجهون إلى

المكان المتواتر بين الناس أنه محل مولده[٢٧]، وهو في سوق الليل رجاء بلوغ كل منهم بذلك لمقصده، ويزيد اهتمامهم به على يوم العيد، حتى قَلَّ أن يتخلّف عنه أحد من صالح وطالح، ومقلّ وسعيد، سيما الشريف صاحب الحجاز، بدون توار[٢٨] وانحجاز.

قلت الآن: سيما الشريف لا يبان في ذلك المكان، ولا في ذلك الزمان، قال وجدد قاضيها وعالمها البرهاني الشافعي رحمه الله تعالىٰ إطعام غالب الواردين، وكثير من القاطنين[٢٩]، المشاهدين، فاخر الأطعمة والحلوى، ويمد للجمهور في منزله صبيحتها[٣٠] سِمَاطاً جامعاً رجاء لكشف البلوىٰ، وتبعه ولده الجمالي في ذلك، للقاطن والسالك.

قلت: أما الآن فما بقي من تلك الأطعمة إلّا الدخان، ولا يظهر مما ذكر إلّا ريح الريحان، فالحال كما قال:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرىٰ نساء الحي غير نسائها

قال: ولأهل المدينة كثَّرَهم الله تعالىٰ به احتفال، وعلى فعله إقبال، وكان للملك المظفر صاحب إربل رحمه الله بذلك فيها أتم العناية، واهتمام ما بشأنه جاوز الغاية، أثنىٰ عليه به العلامة أبو شامة، أحد شيوخ النووي السابق في الاستقامة، في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وقال: إنَّ مثل هذا الحسن يندب إليه، ويُشْكَر فاعله ويُثْنَى عليه.

زاد ابن الجزري: ولو لم يكن في ذلك إلّا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى.

---

(٢٧) وقد صار الآن موضعاً كمكتبة لحفظ الكتب العلمية محافظة عليه واهتماماً به.
(٢٨) التواري مصدر من باب التفاعل بمعنى الاستخفاء والاستتار، يقال: واريت الشيء فتوارى هو أي استتر.
(٢٩) جمع قاطن من القطون وهو الإقامة والتوطن، يقال: قطن بالمكان إذا أقام به وتوطنه.
(٣٠) صبيحة ليلة المولد.

قال ـ يعني ابن الجزري ـ: وإذا كان أهل الصليب اتّخذوا ليلة مولد نبيهم عيدهم الأكبر[٣١]، فأهل الإسلام أولىٰ بالتكريم وأجدر.

قلت: لكن يَرِدُ عليه أنّا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، ولم يظهر من هذا الشيخ لهذا السؤال جواب.

قال السخاوي على سبيل الإضراب: بل خَرَّجَ شيخ مشايخ الإسلام، خاتمة الأئمة الأعلام العلامة أبو الفضل ابن حجر، الأستاذ المعتبر، تغمّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، فِعْلَهُ[٣٢] على أصلٍ ثابت إمام، يميل إلى الاستناد إليه كل حَبرٍ هُمَام، وهو ما ثبت في الصحيحين من أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَدِمَ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونَجّىٰ موسى عليه السلام، فنحن نصومه شكراً لله عزّ وجلّ. فقال صلّى الله عليه وسلّم: «فأنا أَحقُّ بموسى عليه السلام منكم، فصامه، وأمر بصيامه»، وقال: «إن عشت إلى القابل» الحديث.

قلت: وافقهم أولاً للأُلفة، ثم خالفهم آخراً تحقيقاً لصورة المخالفة.

قال ـ أي الشيخ ـ: فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالىٰ على ما منّ به في يوم معين من إسداء[٣٣] نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله تعالىٰ يحصل بأنواع العبادة، كالصلاة والصيام والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة صلّى الله عليه وسلّم؟

---

(٣١) ونحن لا نرى تسميته بالعيد، لأنه أكبر من العيد. والأعياد في الإسلام اثنان عيد الفطر وعيد الأضحى، وهما مرة في العام، أما ذكراه صلّى الله عليه وسلّم فهي أكبر من ذلك وأعظم من أن لا تكون في السنة إلّا مرة، بل ينبغي للمسلم أن يعيش عمره كله في ذكراه صلّى الله عليه وسلّم بمحبته وإحياء سنته والتعلق به، وما إلى ذلك.

(٣٢) أي المولد النبوي.

(٣٣) الإسداء: الإعطاء.

قلت: وفي قوله تعالىٰ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، إشعار بذلك، وإيماء إلى تعظيم وقت مجيئه إلى هنالك، قال: وعلى هذا فينبغي أن يقتصر فيه على ما يُفْهِمُ الشكر لله تعالىٰ من نحو ما ذكر، وأما ما يتبعه من السماع واللهو وغيرهما، فينبغي أن يُقَال: ما كان من ذلك مباحاً، بحيث يعين على السرور بذلك اليوم فلا بأس بإلحاقه، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع، وكذا ما كان فيه خلاف، بل يحسن في أيام الشهر كلها ولياليه، يعني كما جاء عن ابن جَماعَة تمنيه، فقد اتّصل بنا أنَّ الزاهد القدوة المُعمَّر أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة، لما كان في المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل التحية، كان يعمل طعاماً في المولد النبوي، ويُطعِمُ الناس ويقول: لو تمكنت عملت بطول الشهر كل يوم مولداً.

قلت: وأنا لما عجزت عن الضيافة الصورية، كتبت هذه الأوراق لتصير ضيافة معنوية نورية، مستمرة على صفحات الدهر غير مختصة بالسنة والشهر، وسمّيته بـ: «المورد الروي، في المولد النبوي».

قال: وأما قراءة المولد فينبغي أن يقتصر منه على ما أورده أئمة الحديث في تصانيفهم المختصة بذلك كـ«المورد الهني»، وغير المختصة به، بل ذكر ضمناً كـ«دلائل النبوّة» للبيهقي، ولا بأس بـ«لطائف المعارف» لابن رجب في ذلك، لأنَّ أكثر ما بأيدي الوُعَّاظِ منه كذب واختلاق، بل لم يزالوا يروون ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانه إنكاره، والأمر بترك قراءته، على أنه لا ضرورة إلى سياق ذكر المولد، بل يكتفى بالتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة والصلاة والسلام على صاحب المولد. انتهى منه.

فَتْوَى ابنِ عبّاد

وسئل الولي العارف بالطريقة والحقيقة، أبو عبد الله ابن عباد رحمه الله ونفع به، عما يقع في مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عليه الصلاة والسلام.

فأجاب: الذي يظهر أنه عِيدٌ من أعياد المسلمين ومَوسِمٌ من مواسمهم، وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر، وتنزّه السمع والنظر، والتزيّن بما حسن من الثياب، وركوب فاره الدواب، أمرٌ يُبَاح لا ينكر، قياساً على غيره من أوقات الفرح، والحكم بأن هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سِرُّ الوجود، وارتفع فيه علم العهود، وتقشَّع بسببه ظلام الكفر والجحود، يُنْكَر على قائله لأنه مَقْتٌ وجحود، وادّعاء أنَّ هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمرٌ مُسْتَثقلٌ تَشْمَئِزُّ منه النفوس السليمة، وتردُّه الآراء المستقيمة، انتهى.

قال بعض الفضلاء: فكلام هذا الولي يدلّ على كمال محبّته، وحسن طريقته، وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزمان من الاجتماع في المكاتب للأطفال، إلا خيفة المناكر واختلاط النساء والرجال، فأمّا إذا أُمِنَ ذلك، فلا شكّ في حُسْنِ ما يفعل من الاجتماع، وذكر محاسنه والصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم في سائر البقاع، ويحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة، ولا يجوز تعظيم نبيّ الله تعالىٰ إلّا بما يرضيه ويرضي الله تعالىٰ، بل تنبغي الصدقة في السرّ بما يُعْمَلُ في تلك الأيام من الأطعمة، فإن ذلك أسلم من فساد النيّة، ومن حضور الجماعات.

واختار جماعة من العلماء رضي الله تعالىٰ عنهم الفطر في يوم المولد لأنه يوم سرور، والتوسيع على العيال بما أمكن من الميسور.

وذكر ابن عباد رحمه الله ونفع به: أنه خرج في يوم ميلاده عليه الصلاة والسلام إلى خارج البلاد، فوجد الولي الصالح الحاج ابن عاشر رحمه الله مع جماعة من أصحابه، فاستدعوه لأكل الطعام. قال: فاعتذرت بأني صائم، فنظر إليّ الشيخ نظرة مُنْكَرةً، وقال لي: إن هذا اليوم يوم فَرَحٍ وسُرورٍ، فلا يستقيم فيه الصيام، لأنه يوم عيد.

فَتْوَى ابْنِ مَرْزُوق

قال ابن مرزوق في «جنى الجنتين في فضل الليلتين»: سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام رحمة الله عليه، وغيره من مشيخة المغرب يُحَدِّثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب، وما وضعه العَزَفي في ذلك واختاره، وتبعه في ذلك ولده الفقيه أبو القاسم وهما عن الأئمة، فاستصوبوه واستحسنوا ما قصده فيها والقيام بها.

وقد كان نُقِلَ عن بعض علماء المغرب إنكاره، والأظهر في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضاً، وقد وقع الكلام في ذلك فقال ما معناه:

لا شكّ أنَّ المسلك الذي سلكه العزفي مسلكٌ حَسنٌ، إلّا أنَّ المستعمل في هذه الليلة مِن الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والقيام بإحياء سنّته، ومعونة آله ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر وإغاثة الملهوف، وفكّ العاني ونصر المظلوم، هو أفضل مما سوى ذلك مما أُحْدِثَ، إذ لا يخلو من مُزَاحِم في النيّة، أو مُفْسِدٍ للعمل، أو دخول الشهوة. وطريق الحق معروف ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر، والتكثير من الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليحظى المُسْتَكْثِرُ منها ببعض ما ورد في فضلها.

خُطْبَةٌ
في التعريف بمولد النبيّ الشريف
وقدره العلي المنيف

للإمام محمد بن عمر بحرق الشافعي
تلميذ الحافظ السخاوي

الحمد لله بارئ أمشاج النسم، وفاتقِ رِتَاجِ الكِمم، ومولج الأنوار في الظُّلَم، ومُخْرِج الموجودات من العدم، خلق من صلصال كالفخار آدم، وَنجّىٰ نوحاً في السفينة من الغَرَق الذي عم، وقال للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وهي تضرَّم، وسَلَّم موسى من سطوة فرعون ونجّاه من اليَمّ، وأنطق عيسى في المهد ببراءة مريم، وختم الأنبياء بمحمد صلّى اللهعليه وعليهم أجمعين وسلّم، وجعله سيد ولد آدم، وأمّته خير الأمم.

أحمده على ما رزق وأنعم، وأُفَوِّضُ أمري إليه فيما قَضىٰ وأبرم، وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة من آمن به وأسلم، وأشهد أنَّ محمداً عبده المصطفى المكرم، ورسوله المجتبى المعظم، أرسله إلى كافة العرب والعجم، واختصّه بأحسن الأخلاق والشِّيَم.

اللّهمّ صلِّ وسلّم عليه وعلى آله أهل الفضل والكرم، وأصحابه الموفين بالعهود والذمم.

أما بعد: فَحَقِيقٌ بيوم كان فيه وجود المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يُتَّخَذَ عيداً، وخَلِيقٌ بوقت أَسْفَرَت فيه غرّته أن يعقد طالعاً سعيداً، فاتّقوا عباد الله واحذروا عواقب الذنوب، وتقرّبوا إلى الله بتعظيم شأن هذا النبيّ المحبوب، واعرفوا حرمته عند علّام الغيوب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [الحج: ٣٢]. واعلموا أنه ما أكرم أيام مولده الشريفة عند من عرف قدرها، وما أعظم بركتها عند من لاحظ سرّها، ففي شهر ربيع الأول انبثقت عن جوهرة الكون بيضة الشرف، وفي يوم الاثنين منه ظهرت الدرّة المصونة من باطن الصدف، وفي ثاني عشره أُبْرِزَ سابق السعد من كمون العدم، وبمكة المشرفة أنجز صادق الوعد بمضمون الكرم، حملت به أمّه في شهر رجب الأصمّ، ومات أبوه وحَمْلُه ما استتم، ثم أَدّت ما حملته من الأمانة آمنة، وكانت مما تشكو الحوامل آمِنَة، فحينئذ أسفر صبح السعادة وبدا، وبشرت طلائعه بطلوع شمس الهدى، وطُوّق جيد الوجود بعقود الإفضال، ودارت أفلاك السعود بقطب دائرة الكمال، فوضعته صلّى الله عليه وسلّم واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء مقطوع السرة مختوناً، منزّهاً عن قذر النِّفَاس مكرماً، فأضاءت له قصور بُصرىٰ من أرض الشام، وخمدت نار فارس التي يعبدونها ولم تخمد منذ ألف عام، وانشقّ لهيبته حين ولد إيوان كسرى، وتواصلت من الرُّهْبَانِ والكهّان هواتف البُشرىٰ، وأشرقت مطالع الأنوار بميمون وفادته، وتعبَّقت أرجاء الأقطار بطيب ولادته، وخرّت الأصنام على وجوهها إذعاناً لسيادته، فأرضعته ثويبة مولاة عمّه أياماً، ثم تولت منه حليمة السعدية رِضاعاً وفِطاماً، فشملتها البركات بحضانته، ولم تزل تتعرف الخيرات في مدّته، فدرّ ثديها عليه بعد أن كان عاطلاً، وجادت شَارِفُها باللبن بعد أن كانت لا تروي ناهلاً، وأسرعت أتانها في السير وقد كانت ثاقلاً، وأخصبت بلادها وكانت قبل ذلك ماحلاً، ثم فصلته بعد أن تمّ له الحَوْلان، وكان يَشِبُّ شباباً لا يَشِبُّهُ الغلمان، وظهرت له في صغره مخايل نبوّته، وأخذه الملكان من بين الصبيان فشقّا من تحت صدره إلى سُرّتِهِ، فاستخرجا منه علقة سوداء وقالا: هذا حظّ الشيطان، وغسلاه بماء الكوثر.

قلت: المشهور في الأحاديث الصحيحة أنهما غسلاه بماء زمزم، فلذلك جزم البُلْقِيني وغيره من المتأخّرين، أنَّ ماء زمزم أَفْضَلُ من الكوثر، ثُمَّ ختماه بالحكمة والإيمان.

ثم ماتت لسِنِّ تمييزه أمّه، وكفله جدّه ثم عمه، ولم يزل صلّى الله عليه وسلّم ينشأ وعين العناية ترعاه، وتحفظه مما يحذره ويخشاه، ومنحه الله تعالىٰ منذ نشأ كل خُلُقٍ جميل، وأحلّه من القلوب في المحل الجليل، وعُرِفَ من بين أقرانه بالعفة والصيانة، وتميز عند أهل زمانه بالصدق والأمانة.

ولما أخذت مطالع بعثته في أفق سموّها، وآن لشمس نبوّته أن تطلع من علوّها، حُبِّب إليه الخلوة للأنس بربّه، وكان يخلو في حراء ويتنعم بقربه، وكانت تظهر له الأضواء والأنوار، وتُسَلِّم عليه بالرسالة الأحجار والأشجار.

ثم كان وحيه مناماً، وتعليمه إلهاماً، فكان لا يَرىٰ رُؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ولا ينوي أمراً إلّا ظفر بالفوز والنُّجح.

فلما بلغ الأربعين؛ جاءه جبريل الأمين، من ربه ذي الجلال بمنشور النبوة والرسالة، فأقرأه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، فمكث صلّى الله عليه وسلّم بمكة ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، فآمن به من سبقت له السعادة في دار البقاء، وكذب به من كتب عليه في الأزل الشقاء.

ولعشر سنين من مبعثه الكريم، خصّه الله بالإسراء العظيم، فسار وجبريل مُصَاحبٌ له إلى أعلى السمٰوات العلى، وجاوز سدرة المنتهى، وشرُف بالمناجاة في المقام الأسنى، ونال من القرب ما تُرْجِم عنه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩].

ثم هاجر إلى دار هجرته، وَمأوىٰ أنصاره وأسرته، فسلَّ سيف الحق من غمده، وجاهد في سبيل الله غاية جهده، حتى فتح الله له أقفال البلاد، ومكّنه من نواصي العباد، وأظهر دينه على الدين كلّه.

ثم توفّاه عند حضور أجله إلى ما أعدَّ له في جنّات النعيم، من الكرامة والفوز العظيم، فسبحان من حَبَاهُ بأنواع الإكرام، وأرسله رحمة لجميع الأنام، وجعله سيد ولد آدم ومعوَّلهم، وخاتم النبيّين وأوّلهم، ونسخ بشرعه الشرائع، وملأ بذكره المسامع، وشرف برسالته المنائر والمنابر، وقرن ذكره بذكره في لسان كل ذاكر، وذلّل كل صعب لطلابه، وأمدّه بملائكته الكرام تجاهد في رِكَابِهِ.

ونسأل الله تعالىٰ الذي أكرمنا بظهوره، وأخرجنا من ظلمات الكفر بنوره، أن يجعلنا وإياكم ممن شملته برحمته العناية، ولاحظته في جميع أحواله عين الرعاية، وأن يُشَرِّفَنا في هذه الدنيا بطاعته واتِّباع سنّته واغتنام زيارته، ويحشرنا يوم القيامة في شفاعته وزمرته.

اللّهمّ إنا نتوجه إليك، ونَتَشَفّع إليك بحقّه عليك، فهو أوجه الشفعاء لديك، وأكرم الخلق عليك، أن لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلّا فرَّجتهُ، ولا ضرًّا إلّا كشفته، ولا عدوًّا إلا كفيته، ولا شرّاً إلّا صرفته، ولا خيراً إلَّا يسّرته، ولا والياً إلّا أصلحته، ولا مجاهداً في سبيلك إلَّا نصرته، ولا طالباً للخير إلّا أعنته، ولا حاجة هي لك رضا إلّا قضيتها يا أرحم الراحمين(٣٤).

---

(٣٤) كذا في «حدائق الأنوار» المنسوب خطأً لابن الديبع، وإنما هو لعصريّه الإمام محمد بن بحرق الشافعي، وقد طبع مُجدداً مُحقق النسبة له.

فتوى كِبَار المحدِّثين بالهند
عن حُكْمِ الاحتفال بمولِد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

سئل جماعة من كبار علماء الحديث من أهل السُّنّة والجماعة في الهند عن مسألة الاحتفال بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذه صورة السؤال والجواب، وبعده بَيانُ أسماء العلماء الذين أفتوا بذلك، وبعده أسماء من صادق ووافق على ذلك من علماء الحرمين الشريفين.

نص السؤال:

السؤال الواحد والعشرون:

أتقولون: إنَّ ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم مُسْتَقبحٌ شرعاً من البدعات السيّئة المحرّمة، أم غير ذلك؟

الجواب: حاشا أن يقول أحدٌ من المسلمين فضلاً أن نقول نحن، إنّ ذكر ولادته الشريفة عليه الصلاة والسلام، بل وذكر غُبَارِ نِعَالِه وبول حماره صلّى الله عليه وسلّم مستقبَحٌ من البدعات السيّئة المحرمة، فالأحوال التي لها أدنىٰ تَعلُّقٍ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذِكْرُهَا من أحب المندوبات، وأعلى المستحبات عندنا سواء كان ذِكْرُ ولادته الشريفة، أو ذكر بوله وبرازه، وقيامه وقعوده ونومه ونبهته، كما هو مُصرّحٌ في رسالتنا المُسمَّاة بـ «البراهين القاطعة» في مواضع شتىٰ منها في فتاوىٰ مشايخنا رحمهم الله تعالىٰ، كما في فَتوىٰ مولانا أحمد علي المُحَدِّث السهارنفوري تلميذ الشاه محمد إسحاق الدهلوي ثم المهاجر المكي بنقله مترجماً لتكون نموذجاً عن الجميع.

سُئلَ هو رحمه الله تعالىٰ عن مجلس الميلاد بأي طريق يجوز، وبأي طريق لا يجوز؟

فأجاب: بأنَّ ذكر الولادة الشريفة لسيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بروايات صحيحة في أوقات خالية عن وظائف العبادات الواجبات وبكيفيات لم تكن مُخالفةً عن طريقة الصحابة وأهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخير بالاعتقادات التي لم تكن مُوهِمةً بالشرك والبدعة، وبالآداب التي لم تكن مخالفة عن سيرة الصحابة التي هي مصداق قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي مجالس خالية عن المنكرات الشرعية، مُوجبٌ للخير والبركة، بشرط أن يكون مقروناً بصدق النية والإخلاص، واعتقاد كونه داخلاً في جملة الأذكار الحسنة المندوبة، غير مقيّد بوقت من الأوقات.

فإذا كان كذلك؛ لا نعلم أحداً من المسلمين يَحكُم عليه بكونه غير مشروع أو بدعة... إلى آخر الفَتوىٰ.

فَعُلِمَ من هذا؛ أنّا لا نُنْكِرُ ذكر ولادته الشريفة، بل ننكر على الأمور المنكرة التي انضمّت معها، كما شفتموها في المجالس المولودية التي في الهند، من ذكر الروايات الواهيات والموضوعة، واختلاط الرجال والنساء، والإسراف في إيقاد الشموع والتزيينات، واعتقاد كونه واجباً بالطعن والتكفير على من لم يحضر معهم مجلسهم، وغيرها من المنكرات الشرعية التي لا يكاد يوجد خالياً منها، فلو خلا من المنكرات، حاشا أن نقول: إنَّ ذكر الولادة الشريفة مُنْكَر وبِدْعَةٌ.

وكيف يُظَنُّ بمسلم هذا القول الشنيع، فهذا القول علينا أيضاً من افتراءات الملاحدة الدجّالين الكذّابين، خذلهم الله تعالىٰ وبغضهم براً وبحراً، سهلاً وجبلاً.

التقاريظ

١ ـ شيخ الهند العلامة المجاهد محمود الحسن الديوبندي (شيخ الحديث بجامعة ديوبند الإسلامية).

٢ ـ العلامة الكبير الشيخ أحمد حسن الأمروهي.

٣ ـ العلامة الفقيه الشيخ عزيز الرحمٰن (المفتي الأعظم بجامعة ديوبند الإسلامية).

٤ ـ الإمام العارف بالله محمد أشرف علي التهانوي.

٥ ـ الإمام العارف بالله الشيخ عبد الرحيم الرائفوري (من أجلّ خُلَفاء الإمام رشيد أحمد الكنكوهي).

٦ ـ الحكيم محمد حسن الديوبندي.

٧ ـ الشيخ قدرة الله (مدرس مراد آباد).

٨ ـ الشيخ الكبير حبيب الرحمٰن الديوبندي.

٩ ـ الشيخ محمد أحمد بن الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ناظم جامعة ديوبند).

١٠ ـ الشيخ العلامة غلام رسول (المدرس بجامعة ديوبند الإسلامية).

١١ ـ العلامة الشيخ محمد رسول (المدرس في جامعة ديوبند).

١٢ ـ العلامة الشيخ عبد الصمد (المدرس في جامعة ديوبند).

١٣ ـ العلامة المُحدِّث الجليل المفتي كفاية الله الشاهجها بنوري الدهلوي (المفتي الأعظم للهند).

١٤ ـ العلامة المؤرخ الشيخ محمد عاشق إلهي الميرتدي.

١٥ ـ العلامة سراج أحمد (المدرس في ميرتد).

١٦ ـ العلامة المحدث الشيخ يحيى السهرامي (المُحدِّث بجامعة مظاهر العلوم بسهارنبور).

١٧ ـ العلامة الشيخ محمد كفاية الله (المدرس والمُحدِّث بجامعة مظاهر العلوم بسهارنبور).

انظر هذه الفَتوىٰ في «المهند على المفند» للإمام المُحدِّث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري صاحب «بذل المجهود في حلِّ أبي داود».

تأييد علماء مكة المكرمة لفتوى علماء الهند:

وقد أيّد هذه الفَتوىٰ جملة من كبار الفقهاء والعلماء بمكة المكرمة، منهم: العلامة الشيخ محمد سعيد بن محمد بابصيل مفتي الشافعية ورئيس العلماء بمكة المكرمة والإمام والخطيب بالمسجد الحرام، والشيخ أحمد رشيد خان نواب، والشيخ العلامة الفقيه المفتي محمد عابد بن حسين المالكي مفتي المالكية بمكة المحمية، والشيخ العلامة المحقق محمد علي بن حسين المالكي الإمام والمدرس بالمسجد الحرام.

تأييد علماء المدينة المنورة:

وقرظ هذه الفَتوىٰ وأيّدها علماء المدينة منهم: العلامة الفقيه السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، وشيخ المالكية بالحرم النبوي الشيخ أحمد الجزائري، والسيد محمد زكي البرزنجي، والشيخ عمر حمدان المحرسي المُحدِّث المشهور، والشريف أحمد بن المأمون البلغيثي، والشيخ موسى كاظم، والشيخ مُلّا محمد خان، والشيخ خليل بن إبراهيم، والشيخ محمد العزيز الوزير التونسي، والشيخ محمد السوسي الخياري، والحاج أحمد بن محمد خير الشنقيطي، والشيخ محمد بن عمر الفلّاني، والشيخ أحمد بن أحمد أسعد، والشيخ محمد منصور بن نعمان، والشيخ أحمد بساطي، والشيخ محمد حسن السندي، والشيخ محمود عبد الجواد.

تأييد علماء الأزهر:

وأيّد ذلك أيضاً شيخ الأزهر الشيخ سليم البِشري، والشيخ محمد إبراهيم القاياتي.

تأييد علماء الشام:

الشيخ الفقيه المُحدِّث محمد أبو الخير الشهير بابن عابدين الحسيني حفيد ابن عابدين صاحب «الفتاوى»، والشيخ مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي، والشيخ محمود رشيد العطار الدمشقي تلميذ الشيخ بدر الدين محدث الشام، والشيخ محمد البوشي الحموي، والشيخ محمد سعيد الحموي، والشيخ علي بن محمد الدلال الحموي، والشيخ محمد أديب الحوراني المدرس بجامع السلطان بحماه، والشيخ عبد القادر اللبابيدي، والشيخ محمد سعيد لطفي الحنفي، والشيخ فارس بن أحمد الشقفة، والشيخ مصطفى الحداد الحموي[٣٥].

(٣٥) «المهند على المفند» (طبعة الهند).

لَيلةُ المَوْلدِ ولَيْلةُ القَدرِ

صرّح الشيخ الخطيب الحاج الرحّال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق رحمه الله بإيثار ليلة مولده عليه الصلاة والسلام على ليلة القدر، واحتجّ بمختاره في كتابه: «جنىٰ الجنتين في فضل الليلتين» بإحدى وعشرين وجهاً، وها أنا أسردها بعون الله تعالىٰ، قال:

الأول: أنَّ الشرف هو العلوّ والرفعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شَرُفت به، وليلة المولد شَرُفت بولادة خير خلق الله عزّ وجلّ، فثبت بذلك أفضليتها بهذا الاعتبار.

الثاني: أنَّ ليلة المولد ليلة ظهوره صلّى الله عليه وسلّم، وليلة القدر مُعطَاةٌ له حسبما قَدّمناه. وما شَرُفَ بظهور ذات المُشَرّف أشرف مما شَرُفَ بسبب ما أعطيه ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف.

الثالث: أنَّ ليلة القدر إحدىٰ ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجوده من المواهب والمزايا، وهي لا تُحصىٰ كثرة، وما شرف بإحدىٰ خصائص من ثبت له الشرف المطلق، لا يَتنزّلُ منزلة المشرف بوجوده، فظهر أنَّ ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

الرابع: أنَّ ليلة القدر شرفت باعتبار ما خُصّت به، وهو مُنْقَضٍ بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأرجح من القولين، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره وبهرت أنواره أبداً، في كل فردٍ من أفراد الزمان إلى انقضاء الدنيا.

الخامس: أنَّ ليلة القدر شَرُفَت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد

شَرُفَت بظهور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المُرتضىٰ، فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب.

السادس: الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل، والليلتان معاً اشتركتا في الفضل بتنزل الملائكة فيهما معاً حسبما سبق، مع زيادة ظهور خير الخلق صلّى الله عليه وسلّم في ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

السابع: أنَّ ليلة القدر شَرُفَت بنزول الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وانتقالهم في محلّهم من الأعلىٰ إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجوده صلّى الله عليه وسلّم وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال.

الثامن: أنَّ ليلة القدر فُضِّلت باعتبار عمل العامل فيها، فإذا قدرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها، فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة وإن كان في غيرها، فثبت أفضلية ليلة المولد بهذا الاعتبار.

التاسع: شَرُفت ليلة القدر لكونها مَوهُوبة لأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم عناية عليه عليه الصلاة والسلام، وشرفت ليلة المولد بوجود من وُهِبتْ ليلة القدر لأمته صلّى الله عليه وسلّم اعتناء به فكانت أفضل.

العاشر: ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فعمّت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعمّ نفعاً بهذا الاعتبار، فكانت الشرف وهو المطلوب.

الحادي عشر: أنَّ ليلة المولد فَضُلَت على غيرها من ليالي السنة بولادته صلّى الله عليه وسلّم، فإنك تقول فيها: ليلة مولد محمد صلّى الله عليه وسلّم، وتقول في ليلة القدر: ليلة القدر وهو الشرف، وأما التقدير والإضافة إلى ليلة المولد إضافة اختصاص، وهي أفضل وأبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرف، أو ليلة التقدير فهي وإن كان التقدير فيها من لوازم شرفها، فاعتباره في ليلة المولد ليلة الشرف العام بلا امتراء، فثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب.

الثاني عشر: أنَّ ليلة القدر إنما يَحظىٰ بها العامل فيها، فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدّية منفعتها، وما كانت منفعتها متعدية أفضل من غيرها، وهو المُدّعىٰ.

الثالث عشر: أنَّ ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قَدّمناهُ، إلّا أنه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرفع، وإن ضعف، وليلة مولده عليه الصلاة والسلام شرفها بَاقٍ لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالىٰ، فكانت أفضل بهذا الاعتبار.

الرابع عشر: المُدّعىٰ أنَّ ليلة المولد أفضل، ويدلّ عليه أن تقول: زَمَنٌ شرف بولادته صلّى الله عليه وسلّم وإضافته إليه واختصّ بذلك، فليكن أفضل الأزمنة قياساً على أفضلية البقعة التي اختصّت بمحمد صلّى الله عليه وسلّم ولُحِدَ بين أطباقها على سائر الأمكنة، وقد فضلت إجماعاً، فليكن الزمن الذي اختصّ بولادته صلّى الله عليه وسلّم أفضل الأزمنة بهذا الاعتبار.

الخامس عشر: أنَّ ليلة القدر فرع ظهوره صلّى الله عليه وسلّم، والفرع لا يَقوىٰ قوة الأصل، ففضلت ليلة المولد على ليلة القدر بهذا الاعتبار، وهو المطلوب.

السادس عشر: أنَّ ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلٰهي النوراني ما عمّ الوجود، ووجوده مقارن لوجوده صلّى الله عليه وسلّم، ولم يقع ذلك

إلّا فيما وجب فضلها على غيرها، وهو المُدّعىٰ.

السابع عشر: أنَّ ليلة المولد أظهر الله تعالىٰ فيها أسرار وجوده صلّى الله عليه وسلّم التي ارتبطت بها السعادة الأخروية على الإطلاق، واتّضحت للحقائق، وتميّز بها الحق من الباطل، وظهر ما أظهر الله تعالىٰ في الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشاد، وافترق به فَرِيقُ الجنة من فَرِيقِ السعير، وتميّز وعلا به الدين، وأظلم الكفر وهو الحقير، إلى غير ذلك من أسرار وجود الله عزّ وجلّ في مخلوقاته، وما هو الموجود من آياته، ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمن، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار، وهو المطلوب.

الثامن عشر: وهو تنويع في الاستدلال، وإن كان مَعنىٰ ما تَقدَّم وهو أن نقول: لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر، للزم أحد أمور؛ وهي: إما تفضيل الملائكة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو العمل المضاعف، أو التسوية، وكلها ممتنع.

أمّا الأول، فَعلىٰ الصحيح المُرتضىٰ، وأما الثاني والثالث فباتفاق، وبيان الملازمة: أنَّ التفضيل في الأول حصل بولادته صلّى الله عليه وسلّم، وفي الثانية إما بنزول الملائكة أو للعمل.

التاسع عشر: [غير موجود في الأصل].

العشرون: أنَّ بعض زمان المولد الشريف، هو زمان ولادته صلّى الله عليه وسلّم، وولادته صلّى الله عليه وسلّم أفضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة، وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة، فَضُلت على ليلة القدر بهذا الاعتبار.

الحادي والعشرون: أنَّ أفضل الأزمنة زمن ولادته صلّى الله عليه وسلّم، ولا شيء من زمان ولادته صلّى الله عليه وسلّم بليلة القدر، فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر، وينعكس إلى قولنا: لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة، هذا إبطَالٌ لِدعوىٰ الخصم إذاً.

ثم ذكر رحمه الله إثر هذا الفصل، فصلاً قرّر فيه إيراد اعتراض على الأدلّة التي استدلّ بها، وتوقع الاستدلال به على خلاف ما صار إليه، فقال: النوع الأول وفيه أبحاث(٣٦).

تنبيه مهم: اعلَمْ أنَّ هذا التفضيل هو لليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعينها، وهذه لا ينبغي أن يختلف في تفضيلها على كل ليلة من الليالي على الإطلاق باعتبار الواقع فيها، وأمّا ما وافقها من ليالي السنة، فلا يدخل في بحثنا هذا.

(٣٦) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ١١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٤.

إحياء المولد بدعة حسنة
ومناقشة ابن الحاج

من العجيب أنَّ ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل» عقد فصلاً لما أحدثه الناس من البدع سماه: «فصل في المولد». يقول: ومن جملة ما أحدثوه من البدع، مع اعتقادهم أنَّ ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر، ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد. فعَدَّ الاحتفال بالمولد من البدع، ثم أردف ذلك بذكر ما يقع في المولد من أشياء تُنافي جَلالهُ وقَدرهُ.

فمن ذلك: استعمال المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر، والشَّبابة، وغير ذلك مما جعلوه آلة السماع. **ومن ذلك**: قراءة القرآن من الشبان الحسان الصور على شكل الغناء، وإقامة مجالس الذكر والإنشاد، فيتواجدون ويرقصون ويتعانقون. **ومن ذلك**: اقتداء النساء بالرجال في الاحتفال بالمولد، فتقع فيه مفاسد عديدة.

ولو أنَّ ابن الحاج حَرّمَ الاحتفال بالمولد لأجل ما يقع فيه، لالتمسنا له بعض العذر، ولكنه يَعِيبُ الاحتفال به عيباً ذاتياً، ولو رُوعِيتْ فيه الآداب الإسلامية! **يقول**: وهذه المفاسد مُرَكبةٌ على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعاماً فقط، وَنوىٰ به المولد، ودعا إليه الإخوان، وسَلِمَ من كل ما تقدم ذكره، فهو بدعة بنفس نيّته فقط؛ إذ إن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتّباع السلف أوْلى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه، لأنهم أشدّ الناس اتّباعاً لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهم قَدَمُ السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نَوىٰ المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم.

ويقول: فانظر في هذا الشهر الكريم ـ والحالة هذه ـ كيف يلعبون فيه ويرقصون، ولا يبكون ولا يحزنون، ولو فعلوا ذلك لكان أقرب إلى الحال، لأجل اقتراف الذنوب، والحزن والبكاء من أجل فَقْدِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان ذلك مُذْهِباً للذنوب، وماحياً لآثارها، مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه، لكان أيضاً بدعة، وإن كان الحزن عليه صلّى الله عليه وسلّم واجباً على كل مسلم.

ويقول: ولو قال قائل: أنا أعمل المولد للفرح والسرور لولادته صلّى الله عليه وسلّم، ثم أعمل يوماً آخر للمأتم والحزن والبكاء عليه.

فالجواب: أنه قد تقدم: أنَّ من عمل طعاماً بنية المولد ليس إلّا، وجمع له الإخوان فإنَّ ذلك بدعة، هذا وهو فعل واحد ظاهره البر والتقرّب ليس إلّا، فكيف بهذا الذي جمع بدعاً جملة في مرة واحدة؟ فكيف إذا كرّر لك مرتين: مرة للفرح ومرة للحزن؟ فتزيد البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع.

ويقول: وبعضهم يتورّع عن فعل المولد بالمغاني المتقدم ذكرها، ويعوض عن ذلك القرّاء والفقراء الذين يذكرون مجتمعين برفع الأصوات والهنوك، كما علم من عادة الفقراء في هذا الزمان وكذلك القرّاء، وقد تقدم الدليل على منع ذلك في غير المولد، فكيف به في المولد؟ وقد تقدم أنه إذا أطعم الإخوان ليس إلّا، بنية المولد، أنَّ ذلك بدعة، فكيف به هنا؟ فمن باب أَحرىٰ المنع منه.

ويقول: وبعضهم يتورّع عن هذا ويعمل المولد بقراءة البخاري وغيره، عوضاً عن ذلك، وهذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القُرب والعبادات، وفيها البركة العظيمة، والخير الكثير، لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي كما ينبغي، ولا بنية المولد.

ثم يَخْلُص من هذا الخلط العجيب إلى هذه الموازنة التي هي أعجب،

فيقول: ألا تَرىٰ أنَّ الصلاة من أعظم القُرب إلى الله تعالىٰ، ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير هذا الوقت المشروع، لكان مذموماً مخالفاً، فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة، فما بالك بغيرها؟

وخلاصة مذهب ابن الحاج: أنَّ الاحتفال بنية المولد بدعة لا تجوز، سواء أراعينا الآداب الشرعية أم لا، وَكأنَّهُ لا يُفرق بين البدعة الحسنة والذميمة.

ولو أخذنا برأي ابن الحاج هذا، في أنَّ كُلَّ شيء فعله المسلمون بعد موت الرسول صلّى الله عليه وسلّم ولم يكن فعله هو، يُعَدُّ بدعة لا تجوز، لجمدنا الإسلام ووضعناه في قمقم، ولكان استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بدعة؛ لأن الرسول صلّى الله عليه وسلم لم يستخلف، ولكان جَمعُ المصحف بدعة من أكبر البدع، ولكان كل ما تمّت به الحضارات المتعاقبة مما ينفع الناس من البدع السيئة... نعوذ بالله من عَمىٰ القلوب! ومن الغريب؛ أنَّ هذا الرجل المتزمّت إلى هذا الحد، يورد في خَلْقِ آدم وخَلْقِ الرسول عليهما الصلاة والسلام أحاديث أسطورية كان أولى بمثله ـ على تشدّده البالغ ـ أن ينكرها.

ولعلّه من المصادفات غير السارّة: أنَّ «مالكياً» آخر، هو الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني، من متأخّري المالكية، زعم ـ و«زعم» مَطِيةُ الكذب كما يقولون ـ أن عمل المولد بدعة مذمومة.

ولم يكتف بهذه الدَّعوىٰ الباطلة التي قال في مثلها الشاعر:

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

حتى راح يسندها بكتاب ألّفه في ذلك سمّاه «المورد في الكلام على المولد»، كأننا فرغنا من كل شؤون الدِّين مما يهم الناس، وفرغنا من تصفية التفاسير والأحاديث مما شابها من الإسرائيليات والأساطير والوضع التي أصبحت عماد المبشرين في الطعن على الإسلام، ونبيّه الكريم، حتى نَتكلّفَ فيما يضرّ ولا ينفع.

وَازِنْ بين ما ذهب إليه هذا الشيخ في كتابه، وبين أقوال العلماء الأثبات المستنيرين في مشروعية المولد، وثمرة الاحتفال به، لترى الفرق الشاسع بين العالم الحبر المتمكّن، وبين العالم الذي ضاق أُفُقُهُ، فَضَيّق ما وسّعه الله.

يقول الإمام ابن عباد: وأمّا المولد فالذي يظهر لي: أنه من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك: من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر والسمع، والتزيّن بلبس فاخر الثياب، وركوب فاره الدواب، أمرٌ مباحٌ لا يُنكر على أحدٍ، قياساً على غيره من أوقات الفرح.

ويقول العلامة فتح الله البَنَّاني في كتابه «فتح الله في مولد خير خلق الله صلّى الله عليه وسلّم»: إنَّ أحسن ما ابتدع في زماننا هذا ـ كما قال الإمام أبو شامة وغيره ـ ما يفعل كل عام في اليوم الذي يوافق مولده صلّى الله عليه وسلّم من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشْعِرٌ بمحبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي أرسله رحمة للعالمين.

ويقول السخاوي: ولو لم يكن في ذلك إلّا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى، وإذا كان أهل الصليب اتّخذوا مولد نبيّهم عيداً أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر. فرحم الله امرأً اتّخذ ليالي هذا الشهر المبارك وأيّامه أعياداً، لتكون أشد علّة على من في قلبه أدنى مرض، وأعيا داء.

وقد سئل شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد، **فأجاب بما نصه**: أصل عمل المولد بدعة، لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها ـ مع ذلك ـ قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تَحرّىٰ في عملها المحاسن، وتجنّب ضدها كان بدعة حسنة.

ثم أقام ـ رحمه الله ـ الدليل أن ذلك عمل مشروع، فقال: وقد ظهر لي تخريج ذلك على أصل ثابت، وهو ما ثبت في «الصحيحين»: من أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم «عاشوراء» فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق فيه الله فرعون ونجّى موسى، ونحن نصومه شكراً لله تعالىٰ، قال: فيستفاد من ذلك فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معين، من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة.

ثم قال: والشكر لله يحصل بأنواع من العبادة، كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من النعمة بظهور هذا النبيّ الكريم، نبيّ الرحمة في ذلك اليوم؟

وعلى هذا؛ فينبغي أن يتحرّى ذلك اليوم بعينه، حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، وقد سبق الحافظ ابن حجر إلى هذا التخريج الحافظ ابن رجب.

ويقول السيوطي: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عقّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنه قد ورد: أنَّ جدّه عبد المطلب عقّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أنَّ الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إظهار للشكر على إيجاد الله إيّاه رحمةً للعالمين، وتشريع لأمّته، كما كان يصلّي على نفسه لذلك، فَيُستَحَبُّ لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده، بالاجتماع، وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسرّات.

ومن ذلك يتبيّن: أَنَّ قول اللخمي السابق: إنَّ عمل المولد بدعةٌ مَذمُومةٌ على إطلاقه قول مذموم، ودعوى باطلة لا يُقَامُ لها وزن.

وَمُصَابُ الإسلام عظيم بأمثال هذا اللخمي المُتحجِّر الذي يعيش في جُحْرِ ضَبٍّ خَرِبٍ، فلا خلاف إذن بين الأئمة الأعلام: أنَّ الاحتفال بالمولد النبويّ من البدع الحسنة، ولا عبرة بما يَحدُثُ في هذا الاحتفال من ألوان

اللّهو والعبث الذي يقع من بعض الناس، فهو شَيْءٌ خارج عن الأصل، ولا يخلو منه عيد ولا موسم.

ويقول العلّامة القسطلاني: ولا زال أهل الإسلام بعد القرون الثلاثة يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة قصة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وقد رُوِيَ أنَّ أبا لهب عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم يُخَفَّفُ عنه العذاب كل يوم الاثنين، لأنه أعتق جاريته ثويبة حين بشَّرته بولادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولأنه أمرها بإرضاعه.

وفي ذلك يقول الإمام ابن الجزري الدمشقي: فإذا كان هذا الكافر الذي نزل القرآن بذمّه، جُوزيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فما حال المسلم الموحّد من أمّته، الذي يسرّ بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم، أن يدخله بفضله جنات النعيم.

وقد نظم ذلك حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر الدين، قال:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمّه … بتبّت يداه في الجحيم مخلّدا

أتىٰ أنه في يوم الاثنين دائماً … يُخَفّف عنه للسرور بأحمدا

فما الظنّ بالعبد الذي كان عُمْرَه … بأحمد مسروراً ومات موحّدا

ويقول الكمال الأدفوي في «الطالع السعيد»: حَكىٰ لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد: أَنَّ أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي، نزيل القوص، وأحد العلماء العاملين، كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي ولد فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور! اصرف الصبيان ـ فيصرفنا ـ وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره.

ثم يقول: وهذا الرجل ـ يعني السبتي ـ كان فقيهاً مالكياً متفنّناً في عدة علوم، متورّعاً، أخذ عنه أبو حيان وغيره.

تكريم يوم المولد وشَهْرِهِ

أشار الرسول عليه الصّلاة والسّلام إلى فضيلة اليوم الذي وُلِدَ فيه بقوله لما سأله سائل عن صوم يوم الاثنين: «ذلك يوم ولدت فيه».

ولا مِرْيَةَ أنَّ تشريف هذا اليوم متضمّن تشريف هذا الشهر الذي منه هذا اليوم، فيجب على كل مسلم يُحِبّ نبيّه وَيُبجّله أن يُحِبَّ وَيُجِلّ يوماً وشهراً ولد فيهما صلّى الله عليه وسلّم، ويفضّلهما بما فضَّل الله به الأشهر والأيام والليالي التي عرف فضلها، وشهرت كرامتها، وفضيلة الأزمنة والأمكنة لا ترجع لذاتها ولكن لما خصّت به من أنواع العبادات والمعاني السامية.

ومن هنا كان واجباً إذا أقبل هذا الشهر الكريم، أن نُعَظّمهُ ونحترمه ونملأ أيامه، وَنُعمّر لياليه بالصيام والقيام، والأعمال الصالحة، والعبادات الروحية تقرّباً إلى الله ورسوله، وننزّهه عن العبث واللهو، والسماع المحرم والرقص، والخلاعة والمجون، إلى غير ذلك مما يفعله الجهّال وأهل البطالة الذين لا يقدرون فضل ليلة المولد السامية المباركة:

ليلة المولد الذي كان للديـ ... ـن سرورٌ بيومه وازدهاء

كما قال البوصيري، وكما قرّره ابن حجر سابقاً.

بركة الاحتفال بالمولد

يقول ابن الجوزي في كتابه المُسَمّىٰ «عَرْف التعريف بالمولد الشريف»: ومما جُرِّبَ من خواص عمل المولد: أنه أمانٌ في ذلك العام وَبُشرىٰ بنيل البغية والمراد.

ويقول الإمام الشافعي: من جمع لمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إخواناً وهيّأ لهم مكاناً وعمل إحساناً، وصار سبباً لقراءته، بعثه الله يوم القيامة مع الصدّيقين والشهداء والصالحين، ويكون في جنّات النعيم[٣٧].

(٣٧) انظر «نفح الأزهار في مولد المختار» تأليف الأستاذ الدكتور علي الجندي.

فَتوى
قاضي قُضاةِ الحرمين عن القيام في المَوْلِدِ

سئل الشيخ عبد الله عبد الرحمٰن سراج قاضي قضاة مكّة في عهد الشريف الحسين، عن القيام في المولد النبوي.

فأجاب بما نصه:

إنّ القيام عند ذكر مولد النبيّ عليه الصلاة والسلام بدعة حسنة جرى عليها عمل من يُعْتَدُّ به من العلماء الأعلام في سائر البلاد الإسلامية، وهو مبنيٌّ على استحباب القيام لأهل الفضل والاحتشام للاحترام والإكرام. وقد أَلّفَ النووي وغيره في ذلك مؤلفات مستقلة واستدلّوا على ذلك بأحاديث، منها: ما رُوِيَ أنَّ فاطمة رضي الله عنها كانت إذا دخلت على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قام إليها وأخذ بيدها، فقبّلها وأجلسها وإذا دخل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليها، قامت إليه وأخذت بيده، فقبّلته وأجلسته في مجلسها.

وألّف ابن حجر في ذلك أيضاً كتاباً سمّاه: «رفع الملام عن القائل باستحباب القيام للداخل من أهل الفضل والاحتشام».

وأمّا ما ورد النهي عنه؛ فذلك قيام الخَدَم بين أيدي سادتهم ومُثُول الرعيّة بين أيدي ملوكهم، وهو من إفراطهم في التعظيم حتى كاد أن يُتَاخِمَ الشرك، وإلى ذلك وقعت الإشارة في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم».

وبالجملة: فالقيام عند ذكر مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صار شعاراً لأهل السنّة والجماعة، وتركه من علامات الابتداع، فلا ينبغي تركه

ولا المنع عنه، بل ربما استلزم ذلك الاستخفاف بالنبيّ صلّى الله عليه وسلم، ومن هنا أَفتىٰ المولى أبو السعود العمادي بخشية الكفر على من يتركه حين يقوم الناس لإشعاره بذلك.

وما أحسن قول الإمام الصَّرصَري حيث قال:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب　　على فضة من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه　　قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

وقد اتّفق أن أُنْشِدَتْ هذه الأبيات بحضور الإمام العلامة الشيخ تقي الدين السبكي عند ختم درسه، والقضاة والعلماء والأعيان مجتمعون عنده، فنهضوا جميعاً عند ذلك، ولم ينقل عن أحد من أهل عصره من علماء السُّنّة والجماعة إنكار(٣٨).

(٣٨) «الأجوبة المكية عن الأسئلة الجاوية» تأليف الشيخ عبد الله سراج، مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة ١٣٤٢.

التحذير من البدع الشائعة في المولد بسبب بعض الجهلة

للشيخ يوسف النبهاني

صنّف الإمام الأديب العلامة المحقق الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني مولداً نبوياً منظوماً، ذكر فيه فوائد مهمة وجليلة، وحذّر من البدع التي قد تقع حول المولد من بعض الجهلة والأدعياء في بعض البلاد؛ كمصر ولبنان، وسمّاه «جواهر النظم البديع في مولد الهادي الشفيع»، قال في أوّله:

الحمد للَّه على آلائهِ   حمد امرئٍ أخلص في أدائه
أحمده والحمد من نعمائه   أن خصّنا بخير أنبيائه
محمد سيّد كلّ عبد
أشهد أن اللَّه فَردٌ يُعبد   وأن خير خلقه محمّد
رسوله المُتمّم المجدّد   وكلّ من صدقه مخلّد
بغير شَكٍّ في جنان الخلد
صَلَّىٰ عليه ربّه وسلّما   وآله ومن إليهم انتمى
وصحبه الهداة أنجم السما   وتابعيهم وجميع العلما
وكلّ هَادٍ في الورىٰ ومَهدِ
وبعد فاعلم أيّها السعيد   ومن أنار قلبه التوحيد
عقد بيان درّه نضيد   أسلوبه في نظمه فريد
بذكر طه جاء خير عِقْدِ
نظمتُه بأنمُل الأَفْكَار   من درّ بحر المصطفى المختار

خير البرايا صفوةِ الأخيار وسيّد العَبيد والأحرار

وكلّ جمعٍ في الورى وفردِ

لخّصتُ فيه مولد الدَّرديري وزدتُ من مواهب البشير

أرجو به الزُّلفى من الغفور وأن يكون المصطفى نصيري

ودعوةً صالحةً من بعدي

واعلَمْ بأنَّ من أحبَّ أحمدا لا بدّ أن يَهوَىٰ اسمَه مُردّدا

لذاك أهل العلم سَنُّوا المولدا من بعده فكان أمراً رشدا

أرضىٰ الوَرىٰ إلاّ غُواةَ نجدِ

ولم يزل من أمّة المختارِ من بعد نحوِ خمسةٍ أعصار

مُستَحسناً في سائر الأمصارِ يجمع كل عالمٍ وقاري

وكلَّ سالكٍ سبيل رُشدِ

كم جَمَّعُوا في حُبّه الجُمُوعَا وفرَّقوا في حُبِّهِ المَجمُوعا

وزيّنوا الدّيار والرُّبوعا وأكثروا الأضواء والشموعا

وطيَّبوا الكُلَّ بعَرْفِ النَّدِّ

وفرِحوا بذكره وطرِبوا وأكلوا على اسمه وشربوا

وابتهلوا لربّهم وطلبوا واستشفعوا له به وانتسبوا

مُعْتَقِدين نيلَ كلّ قصدِ

كم عَمَّر اللَّه به الدِّيارا وَيَسّر السُّرور واليسارا

إذ بذلوا الدّرهم والدينارا وذكروا الرحمٰن والمختارا

بين صلاةٍ ودُعا وحمد

يا هل تُرىٰ هذا يَسُوء أحمدا أمْ هل تُراهُ ليس يُرْضِي الصَّمدا

فدَتْك نفسي ٱعْمَلْ ولا تخشَ الرَّدىٰ وكرِّر المولدَ ثم المولدا

تعِشْ سعيداً وتَمُتْ في سعد

لكنما الأعمال بالنيَّات ويُشْرَط الإخلاصُ للنَّجاة

إنَّ الرِّيا يُحَوِّلُ الحالات ويَقْلِبُ الطاعات سيِّئات

ويجعل التقريب عين البُعْدِ

ولْيُنْفق الأموالَ من حلال فذاك شرطُ صالحِ الأعمال

إن لم يكن إلّا حرامُ المال فأجره يكون للأهالي

وَهْو له في النار شَرُّ قيدِ

وخِلْطة النساء بالرّجال في شرعنا من أقبح الخِصال

وسِمةُ الفُسّاق والجُهّال في كل وقتٍ وبكل حال

ومن أجلّ موجبات الطَّرْدِ

فاحذر جميع ما مَضىٰ في المولد وكل إيذاء بفمٍّ أو يدِ

وارفُض سَماع كلّ غِرٍّ مُنْشِد بوصفِ حسناءَ ووصفِ أمْرَدِ

واهرُبْ تفُزْ من صوت هذا الوغدِ

ومن أراد هاهنا الإنشادا فليختَرِ الرشاد لا الفسادا

كَذِكْرِهِ الخلَّاقَ والمعَادا ومدحِهِ النبيَّ والأَوْلَادَا

وصحبَه الأُسْدَ وأيَّ أُسْدِ

أكثِرْ من الصلاة والسلام على النبيّ المصطفى التِّهامي

خير البرايا سيّد الأنام مُشَرِّع الحلال والحرام

وأَصْلِ كلّ سؤدَدٍ ومجدِ

فَكُلّ من صَلّىٰ عليه مَرَّهْ صَلّىٰ بها اللّه عليه عَشرَه

قد صَحَّ هذا في الحديث جهره رواه مُسلِمٌ فنال شُهره

وكان حقّاً سالماً من نقد

ولو يصلّي اللّه ربّي واحدَه لعَدَلَتْ آلافَ ألفٍ زائده

فانظُرْ إذاً كَمْ ذَا بِها من فائده وكم بها أنوار أجرٍ صاعده

فاحرِصْ عليها إن تكن ذا رُشْدِ

ذكرى المولد النبوي

للسيد محمد رشيد رضا

كتب العلّامة السَّلَفي الإمام الدّاعي إلى الله الشيخ السيد محمد رشيد رضا، خلاصة مهمة عن المولد النبويّ الشريف بمناسبة ذكرى المولد، وذكر فيها تاريخ المولد، وصورة الاحتفال به وحكمه شرعاً، وذكر رأيه في نهاية بحثه، ونحن نذكر البحث كلّه بلفظه للفائدة، وإن كان قد تَقَدَّم ذكر شيء من ذلك من كلام العلماء المتقدمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد: فإنَّ الاحتفال بالمولد النبويّ الشريف قد صار عادة عامة، وقد اختُلِفَ في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيّئة كما سيأتي، والمشهور أنَّ المُحْدِثَ لها هو أبو سعيد كُوكَبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني الجنس، الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل، أحدثها في أوائل القرن السابع، أو أواخر القرن السادس، فإنَّ السلطان صلاح الدين ولّاه على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦هـ وتوفي سنة ٦٣٠هـ. وقد كان سخياً متلافاً صاحب خيرات كثيرة، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد ألوفاً كثيرة.

ثم قال السيد محمد رشيد رضا: وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الأرض ومغاربها، ويجتمعون لقراءة قصّته في

المساجد، ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت، وهذه لا تتقيّد بجعلها في تاريخ الميلاد النبوي، ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعدّه بدعة مذمومة، لأنه عُدَّ موسماً وشعاراً دينياً وعبادة غير مشروعة، يظنّ العوام أنها مشروعة، ولما يقترن به من المنكرات الأخرى.

وقال بعضهم: إنه بدعة حسنة، لأنه عبارة عن الشكر لله تعالىٰ على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله، بإظهار السرور في مثل هذا اليوم الذي ولد فيه، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار، وقد ألّف الجلال السيوطي رسالة في عَدّه بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعاً، وعَرَّفَهُ بقوله: هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يُمَدُّ لهم سِماطٌ فيأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك.

وذكر أنَّ الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك؛ قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عمله المحاسن وتجنّب ضدها، كان بدعة حسنة، ومن لا فلا.

ثُمَّ بين أنَّ الحافظ خرّجه على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكراً لله تعالىٰ على إنجائه فيه موسى نبيّه، وإغراق فرعون عدوّه.

قال: فيستفاد منه الشكر لله على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من بروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة في ذلك اليوم؟ وعلى هذا فينبغي أن يتحرّى اليوم بعينه، حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، وتوسع قوم فنقلوه إلى أي يوم من السنة، وفيه ما فيه، فهذا ما تعلق بأصل عمله.

وأمّا ما يعمل فيه؛ فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله

تعالىٰ، من نحو ما تقدم ذكره من الإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية، المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن ما كان من ذلك مباحاً، بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى، اهـ.

وقد يقال: لماذا لم يقم بهذا الشكر أَحدٌ من الصحابة، والتابعين، ولا الأئمّة المجتهدين؟ ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية؟ فهل كان صاحب إربل التركماني ومن تبعه أَعلمَ وأَهدىٰ منهم، وأعظم شكراً لله تعالىٰ؟

ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب إياه على تعليل صيام يوم الاثنين، بأنه يوم ولد فيه صلّى الله عليه وسلّم، وسيأتي مزيد بيان لحجة المُخَالِف.

وخرّجه السيوطي على أَصلٍ آخر استنبطه من تخريج شيخه الحافظ، وهو ما رواه البيهقي من أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عن نفسه بعد النبوّة، قال: مع أنه قد ورد أنَّ جدّه عبد المطلب عقّ عنه، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أنَّ الذي فعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إظهار للشكر على إيجاد الله إيّاه رحمةً للعالمين، وتشريع لأمّته، كما كان يصلي على نفسه لذلك، فَيُستحبّ لنا أيضاً الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرّات، اهـ.

وهذا التخريج ضَعِيفٌ من وجوه:

أحدها: أنَّ هذا الحديث منكر، كما قال راويه البيهقي، بل باطل كما قال النووي في «شرح المهذب».

ثانيها: أنه لو صح، لكان دليلاً على استحباب عقّ الإنسان عن نفسه، ولم يقل بهذا أحد.

ثالثها: جعل قولهم: إن العقيقة لا تعاد، حجة على الحديث على تقدير صحته، مع كون عبد المطلب عقّ عنه صلّى الله عليه وسلّم.

رابعها: أنه لو كان تشريعاً، لعمل به الصحابة وغيرهم، وقال به أئمة الفقهاء، أو من بلغه منهم.

خامسها: أنَّ يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة؛ لأنَّ النعمة والرحمة إنما كانت برسالته صلّى الله عليه وسلّم، بنصّ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وحجّة المنكرين في هذا الباب: أنَّ كُلّ بدعة دينية تعدّ من العبادات المحضة، أو تجعل من شعائر الدين، فهي محظورة لأنَّ الله تعالىٰ أكمل الدين، وأجمعت الأمة على أنَّ أهل الصدر الأول أكمل الناس إيماناً وإسلاماً، وأن كل بدعة ليست من هذا القبيل، كالمنافع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا، كالمدارس والمستشفيات والملاجئ الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيّته فيها، فإنها تعد بدعة حسنة.

والتحقيق: أنَّ هذه لا تُسمّىٰ بدعة شرعية، وإنما يطلق عليها اسم البدعة لغة، فلا تدخل في عموم قوله صلّى الله عليه وسلّم من الحديث الصحيح عند مسلم: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»؛ لأن موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» الحديث، وهو في «صحيح مسلم» أيضاً، فقد رغب أمّته بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها، ولكن ليس لأحد أن يخترع في الدين نفسه شيئاً.

ثم إن البدعة الدينية إمّا أن تكون اختراع عبادة، أو شعار ديني لا أصل لهما، وإما أن تكون تخصيصاً لعبادة مشروعة بزمان معين، أو مكان معين، أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع. ومن هذا النوع عدَّ الفقهاء صلاة الرغائب في رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة.

قال النووي في «المنهاج»: وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان، وقد سَمّىٰ الشاطبي هذا النوع بالبدع الإضافية، وَسمّىٰ النوع الأول البدع الحقيقية، وأطال في بيان ذلك في كتابه «الاعتصام»، وَفَصّلهُ تفصيلاً.

هذا وإن ما يُعهد من الاحتفال بالمولد، ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع، ولا هو عمل دنيوي محض، بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها، أو ببعضها على وجه غير مشروع، وبين لعب ولهو، بعضه مباح وبعضه محظور، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام يرقص فيها النساء المتهتكات، مكشوفات الصدور والبطون، كما يحصل دائماً في غيره من احتفالات الموالد، كالمولد الحسيني، والمولد البدوي، وما هو شر من ذلك، ولكن قد أُبطِلَ هذا كلّه من الاحتفال الذي يكون في القاهرة ولله الحمد.

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريجه على أصل شرعي بإبطال ما يكون فيه من اللهو، والاقتصار فيه على عمل الخير، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة، وتلتبس بها، لما احتيج في تخريجه إلى ما تكلفوه.

وأمّا اجتماع الناس في مثل القباب والخيام التي تنصب في العباسية، وتزين بالمصابيح والأنوار الكهربائية، وإظهار البهجة والسرور، بذكرى مولد ذي الضياء المعنوي والنور، وذكر إخراج الله الخلق بهديه من الظلمات، وما آتاه من الهدى والآيات، فهو في نفسه من المباحات، المقرونة بالمستحبات والمندوبات، بشرط أن يخلو من البدع والمنكرات، وأن لا يعد من الشعائر الدينية، ولا من العبادات. فإذا كان بحيث يظن العامة أنه مطلوب شرعاً حَرُمَ فعله قطعاً، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات، لئلّا تظن العامة أنها من الواجبات.

ومن هنا صرح الشاطبي في «الاعتصام» بكون اتخاذ يوم ولادة

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عيداً من البدع، وأفتى ابن حجر المكّي بأن القيام عند ذكر ولادته صلّى الله عليه وسلّم بدعة، وذكر أن الناس يفعلونه تعظيماً وقال: «فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص»، وقد علّل فتواه بأن القيام يوهم العامة أنه مندوب، ويزاد عليه أن بعضهم يظن أنه واجب، وقد يعلّل أيضاً بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالعدد في أثنائه.

ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى، فما زال العلماء يقومون كغيرهم، ولم نرَ لهم رداً للفتوى بدليل أرجح من دليلها، ولعلّ أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام، لالتزام العلماء وسائر الناس له، ولو فطنوا لترك أحد له، لعدّوه فاسقاً متهاوناً بالدين، أو كافراً مارقاً منه، ولعلك لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الأوقات ليعلم العامة أنه غير واجب، لما تجرّؤوا على ذلك.

والحق أن قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع، فإن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا، في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا، لأن هذا التعظيم لا مشقّة فيه على النفس، فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا، وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له، والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتزّ دينه إن كان رسولاً، وملكه إن كان ملكاً.

وقد كان السلف الصالح أشدّ ممن بعدهم تعظيماً للنبيّ صلّى الله عليه وسلم، ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني. ولا شكّ أن الرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم أحقّ الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص، أو تغيير أو تبديل لأجل تعظيمه به، وحسن النيّة لا يبيح الابتداع في الدين، فقد كان

جُلّ ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم، عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية، حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سننهم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، لضاع أصل ديننا أيضاً، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل، فالواجب علينا أن نرجع إليه ونعضّ عليه بالنواجذ، ويجب على العلماء أن يبيّنوا للناس الأحداث والبدع محذّرين منها، كما يجب عليهم أن يبيّنوا لهم الفرائض والسنن مرغبين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والإقرار والترك كما أن التشريع حصل بذلك، فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يترك بعض سننه لئلا تفرض.

قال الإمام الشاطبي في «الاعتصام»: وقد ثبت في الأصول أن العالم في الناس قائم مقام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والعلماء ورثة الأنبياء، فكما أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدل على الأحكام بقوله وفعله وإقراره، كذلك وارثه يدلّ على الأحكام بقوله وفعله وإقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الأمور المنهي عنها، فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها، فصارت تعد سنناً ومشروعات كزيادتهم مع الأذان «أصبح ولله الحمد» إلخ.

وقد أطال في هذه المسألة وبيّن مفاسد السكوت قبل هذه العبارة وبعدها، ولا سيما عمل الخواص من الناس بالبدعة عموماً وخاصة العلماء خصوصاً، وذكر في هذا السياق أن علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس أنها واجبة، ومن ذلك: أنَّ أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس أنها واجبة، على أنَّ بعض الفقهاء بعضهم قال بوجوبها، وَنُقِلَ عن الإمام مالك أنه قال في «الموطأ» في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان: إني لم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصومها، قال: ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته، وأن يلحق أهل الجهالة والجفاء برمضان ما

ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم، ورأوهم يقولون ذلك، اهـ.

وقد كان الإمام مالك يعرف الحديث في صيامها، وكلامه يدلّ على ذلك كما قال الشاطبي، ولكن سد ذرائع البدع اقتضى ترك هذا المستحب، ومالك من أشدّ الأئمة تشديداً في ذلك.

ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً، لا يكون اليوم ديناً، اهـ.

وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد: لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء أُحْدِثَ، ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، والقرآن حسن، اهـ.

وجملة القول: أن خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو وجعل ذلك عملاً واحداً عن باعث ديني، هو الذي يجعل مجموع تلك الأعمال من قبيل الشعائر الدينية، ويوهم العوام أن تلك العادات وكذا العبادات المبتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة، ندباً أو وجوباً.

قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام، وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا.

وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي، ولكن كثيراً من الناس كتبوا (موالد) حشوها بالأحاديث الموضوعة والمنكرة.

وفي بعضها وصف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بما لا يليق، كالتغزّل بجماله، وكنت منذ سنين أتمنى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع، يتحرّى فيها الصحيح المفيد، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك

الضارّ السيىء التأثير، بيد أنني كنت أتحامى أن أكتب في ذلك شيئاً باسم المولد، لئلا أكون مُحْدِثاً، أو مساعداً، أو مُقِرّاً لما لم يفعله السلف الصالح.

ثم كان أن دعاني في غرة ربيع الأول من عام ١٣٣٤هـ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري إلى مأدبة أعدَّها في داره، وسماع قصة المولد بعدها، فأجبت الدعوة، وتوسلت بها إلى تنفيذ تلك الفكرة، إذ كنت علمت من أحاديث جرت بيني وبينه أنه من محبّي الإصلاح لطرق الصوفية وغيرها، وهنالك كَلّمتُه في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك، فقلت له: أرأيت إذا كتبت شيئاً في هذا الموضوع، أتستبدل به ما يقرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قال: نعم.

فانتهزت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلاً وموضوعاً، ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار، فأتممته في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعاً، وكتبت أكثره في دار البكري، وكنت أطلعه على ما أكتب فيسرّ به، ولكنه جاء طويلاً لا يمكن أن يقرأ في الحفلة الرسمية كله، فاختصرت منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية، فكانت موضع إعجاب أهل الفهم والذكاء من الوزراء والكبراء، وغيرهم من أهل الرويّة.

ثم اطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبّي الإصلاح، فرغبوا إليَّ في طبعه ونشره، ورأوا أنه من أحسن ما ينشر في هذا العصر، لبيان حقيقة دعوة الإسلام وكليات الدين، وخلاصة السيرة النبوية، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة، وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام، طبعته في «المنار» ثم جرّدته منه وطبعته على حِدته، وحذفت مما طبع في «المنار» جملة وجيزة اقتبستها من «رسالة التوحيد» وزدت مسائل أخرى قليلة، فكان فوق ما كنت أقدر وأتوخى في هذا المقام الذي اعتيد فيه الاختصار، فجاء كتاباً وجيزاً حاوياً لخلاصة الحقائق المتفرّقة في أسفار التاريخ والسيرة النبويّة، وكتب التفسير والحديث والعقائد الإسلامية، مبيِّناً لِكُنْهِ الإسلام وحقيقته، وكليات أحكامه

وحكمته، بعبارة يسهل على الناس فهمها، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها، وحروف مضبوطة بالحركات، وأسجاع غير متكلفات، فهو جدير بأن يقرأ في البيوت وفي المحافل، وبأن يلقن لطلاب العلوم الدينية والدنيوية في المدارس، وإذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند ذكره فُرَادَىٰ ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في أوقات معينة، لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الإضافي.

طريقة اختصاره في القراءة:

هذا، وإنّ لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق أن يختصر منه بعض الفصول، كفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ إلى فصل أخلاقه وسيرته في الصفحة ٣٦، ويمكن ترك هذا الفصل أيضاً إلى الخاتمة في (ص٤١)، وإذا كان المقروء عليهم من العوام، فللقارئ أن يحذف مما قرأ لهم بحث اصطفاء الله لقومه وقبيلته وآل بيته صلّى الله عليه وسلّم، من أول الصفحة ٤ إلى نهاية ص١٠، لأن هذا البحث لا يفهمه حق الفهم، إلّا الخواص من أهل العلم، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث الصحيح من اصطفاء الله تعالىٰ كنانة وقريشاً وبني هاشم، وحكمة جعل دين العلم والمدنية على لسان نبيّ أميّ بعث في أمّة أميّة، ولم أرَ أحداً سبقني إلى بيان مزايا العرب التي أعدّهم الله بها لهذه المنقبة العظيمة، ولله الحمد والمِنَّة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥]، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وآله وصحبه ومن تبعهم في هديهم إلى يوم الدين.

وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥هـ

محمد رشيد رضا

كلمة العلامة العارف بالله تعالى

السيد إسماعيل بن مهدي الغرباني

عن المولد النبوي الشريف
في كتاب «نفس الرحمن
فيما لأحباب الله من عُلوِّ الشان»

قال رحمة الله تغشاه ورضي عنه تعالىٰ وأرضاه:

قال علماؤنا: ومن الفوائد ما جرت به عادة كثير من الناس إذا سمعوا بذكر وضعه صلّى الله عليه وسلّم، أن يقوموا تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم، وهذا القيام مستحسَن لما فيه من تعظيم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد فعله كثير من علماء الأمّة الذين يقتدى بهم. قال بعضهم: وهذا القيام وإن كان بدعة لكنه هو بدعة حسنة، وليس كل بدعة مذمومة، وقد قال سيدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح: نعمت البدعة، وقال سيدنا عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه مثل ذلك.

وقد قال سلطان العلماء العزّ ابن عبد السلام: إنَّ البدعة تعتريها الأحكام الخمسة، وهي واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة.

قال: والطريق في ذلك أن تُعرضَ البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة.

وللبدعة الواجبة أمثلة: منها: الاشتغال بعلم النحو الذي نفهم كلام الله

تعالىٰ وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم به، فذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتّى حفظها إلّا بذلك، وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب.

الثاني: حِفْظُ غريب الكتاب والسنة من اللغة.

الثالث: تدريس أسس الفقه.

الرابع: الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلّت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية، فيما زاد على المتعيّن، ولا يتأتى ذلك إلّا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلة: منها: مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة، والردّ على هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلة: منها: إحداث الرُّبُط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها: صلاة التراويح، والكلام في دقائق التصوّف، وفي الجدل، ومنها جمع المحافِل للاستدلال على المسائل إن قصد بذلك وجه الله.

وللبدع المكروهة أمثلة: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، وللبدع المباحة أمثلة: منها: المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها التوسّع في اللذيذ من المأكل والمشرب والملابس والمساكن، ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام، وقد يختلف في بعض ذلك، فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة، وقالوا أيضاً رضي الله عنهم لا ينافي قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كُلّ مُحدِثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة»، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحدث في أمرنا هذا»، أي شرعنا «ما ليس منه فهو ردّ»؛ لأن هذا عام أُريد به خاص.

وقد قال الإمام الشافعي قدّس الله سرّه: ما أحدث وخالف كتاباً وسنّة

أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعة الضلالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة، انتهى.

والدليل على أن البدعة إما أن تكون حسنةً أو مذمومةً، قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من سنّ سنّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنَّ سنةً سيِّئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وهل يكون القيام للرسول الأعظم، المبعوث رحمةً للعالمين عند ذكر وضعه يوم ولادته بدعة؟، وهل يكون إنشاء السرور بيوم مولده صلّى الله عليه وسلّم سنّة سيّئة؟ لا يكون هذا عند المؤمنين لأنه يوم ظهور عزّهم وسعادتهم، وإنما يكرهه الكافرون لأنه يوم ذلّهم وشقاوتهم، ولا أحبُّ أن يتشبّه المسلمون بهم، ويستنّوا بسنّتهم، أعاذنا الله جميعاً من ذلك.

وإنما مثل هذه البدعة كمثل بدعة جمع القرآن في مصحف، ولم يكن ذلك على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد كان في أوّل الأمر امتنع منه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في أيّام خلافته، وقال: شيء لم يفعله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا أفعله، فلم يزل به سيدنا عمر وهو الناطق بالصواب رضي الله عنه، حتى شرح الله صدر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه للأمر بجمعه، فكانت بدعة محمودة، وأيّ محمودة بل واجبة، ولولا ذلك ما وصلنا من كتاب الله شيء.

وكذلك بدعة جَمْعِ حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الواقع عن أمر خليفة الحق والعدل، وأحد الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فلولا قيامه بهذه البدعة الحسنة المحمودة، ما وصل إلينا من سُنّة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم شيء، وكذلك ما ابتدعه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه من جمع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات إلى آخرها من أبواب وفصول وفروع ومسائل، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، وتبعه الأئمّة على ذلك النّمط وحسّنوها في التبويب والتفريع، وغير ذلك أحسن الله إليهم.

وكذلك بدعة اختراع علم أصول الفقه في جميع أحكام الشريعة المحتوي عليها كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وإجماع الأمة وقياس الفقهاء من ناسخ ومنسوخ، ومجمل ومفصل، وخاص وعام، وغير ذلك من الأحكام الشرعية: كالواجب والمندوب والحرام والمكروه والجائز المباح، ابتدع ذلك الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وفتح للعلماء باب الاستنباط من مفهوم الآية والحديث، وكانوا من قبل لا يفهمون من الآية والحديث إلّا ما يعرفونه من ظاهرهما، ولذلك قال العلماء: ما من عالم صاحب محبرة إلَّا وللإمام الشافعي رضي الله عنه عليه يد ومنّة.

وكذلك علم أصول الحديث، لم يكن في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منه شيء، وهذه كلها بدع حكمها الوجوب، زادنا الله تعالىٰ من هذه البدع المباركة، ورغم أنف من لم يفرق بين البدعة الحسنة والبدعة المذمومة.

وقد جاء القيام عند ذكر اسمه صلّى الله عليه وسلّم من عالم الأمّة، ومقتدى الأئمة ديناً وورعاً الإمام تقي الدين السبكي رضي الله عنه، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره وبعده، فقد حكى بعضهم: أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره، فأنشد منشد قول الإمام الصَّرْصَري في مدحه صلّى الله عليه وسلّم عند ختم «صحيح البخاري»:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب   على ورق من خطّ أحسن مَنْ كَتَبْ
وأن تنهض الأشراف عند سماعه   قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي رضي الله عنه وجميع من في المجلس، فحصل أنس كبير بذلك المجلس، وما أدرى المخالفين، ثم ما أدراهم ما هو الأنس الكبير الذي حصل في قلوبهم، فإنه لا يعرفه إلّا من هو منهم، وله قلب كقلوبهم، ويكفي مثل ذلك في الاقتداء، وقد قرّر القيام عند ذكر بروزه صلّى الله عليه وسلّم إلى الأرض بولادته الإمام ابن حجر رضي الله

عنه، بل ولم يخالف في ذلك من يذكر، بل مُجمَعٌ على استحبابه من علماء التقوى رضي الله عنهم. . . ومن يجهل ندب القيام لمن فيه فضل من نحو صلاح أو علم، أو ولاية أو ممن يُرجىٰ خيره، أو يُخشىٰ شرّه ولو كافراً، خُشِيَ منه ضرر لا يحتمل عادةً. ويشترط أن يكون القيام على جهة البرّ والإكرام والإجلال والإعظام للرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم، لا للرياء، بل أفتىٰ ابن عبد السلام وابن الصلاح رحمهما الله بوجوبه في هذا الزمان، وجرى أكثر المتأخّرين عليه، لأنَّ تركه صار علماً على القطيعة، ولم نسمع أنَّ أحداً كفّر من يقومون لتحية الرايات في عرض الجيوش، أو للسلام الوطني المعروف، مع بُعْد هذا الفعل عن تعاليم الدين، وما فيه من السنن، فأي وقاحةٍ وسفالةٍ وإفلاسٍ من الخير عند من يكفّر من يقوم تأدّباً وحباً وتكريماً عند ذكر ولادة سيد العالمين، منقذ العالم من كل سوء صلّى الله عليه وسلّم، وخدّي لنعله الطاهر وطاء.

وقد قال ابن حجر الهيتمي: والحاصل: أنَّ البدعة الحسنة متفق على ندبها، وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك، أي أنه بدعة حسنة، ومن ثم قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي رضي الله عنه: من أحسن ما ابتدع في زماننا؛ ما يفعل كل عام في اليوم الموافق لمولده صلّى الله عليه وسلّم من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء، مشعرٌ بمحبّته صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكراً لله تعالىٰ على ما مَنَّ به من إيجاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي أرسله رحمةً للعالمين. هذا كلامه.

وفي الحقيقة: أنَّ يوم ولادته صلّى الله عليه وسلّم أكبر أعيادنا، وأعظم مسَرّاتنا وأجلّ مفاخرنا، وأشرف أيامنا، قال السخاوي: ولم يفعله أَحدٌ من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم

من بركاته كل فضل عميم. وقال ابن الجزري: من خواصّه ـ يعني القراءة والاحتفال بالمولد ـ أنه أمان في ذلك العام، وبُشرىٰ عاجلة بنيل البغية والمرام، انتهى.

فهؤلاء علماء الإسلام الذين ينتهي إليهم معرفة الحلال والحرام، يعلمون فضل ذلك اليوم العظيم، ويعلنون ما يَحِلُّ فيه من الخير العميم، وما أحسن قول الشاعر:

إذا رضيتْ عنّي كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عَليَّ لئامها

وأوّل من احتفل بالمولد النبوي الشريف من ملوك الإسلام، ذلك الملك الشهم الشجاع العاقل، والبطل الكريم العادل، والسيد العالم العامل، المظفّر أبو سعيد صاحب إربل، وألّف له الحافظ ابن دحية رحمه الله تأليفاً سمّاه «التنوير في مولد البشير النذير»، فأجازه الملك المظفر بألف دينار، وصنع الملك المظفر المولد، وكان منصوراً على الكافرين رغماً على عددهم وعُددهم، إلى أن مات وهو محاصر للإفرنج بمدينة عكّا سنة ثلاثين وستمائة، محمود السيرة والسريرة، وحاشا أن يذلّ الله تعالىٰ مثله ويخزيه، فقد أظهر من محبّته لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ما يشكر عليها، وما جزاء من يحب إلّا أن يحبّ.

قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: حَكىٰ لي بعض من حضر سماط المظفر رحمه الله في بعض الموالد فذكر أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم شويّاً، وعشرة آلاف دجاجة، ومئة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم، ويطلق لهم البخور، وكان يصرف على المولد ثلاث مئة ألف دينار، انتهى.

فللّه درّه ما أعلمه بقدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما أعظم محبّته له، هكذا فلتكن المحبة والمحبّون، فله أجر هذه السنّة الحسنة، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وقد استنبط ابن حجر أمير المؤمنين في الحديث الشريف تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السُّنّة، وكذلك الحافظ السيوطي، وردّ على الفاكهاني المالكي في قوله: إنَّ عمل المولد بدعة مذمومة، وذلك الأصل هو ما في «الصحيحين»: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، وَنجّىٰ موسى عليه السلام، ونحن نصومه شكراً لله تعالىٰ، فلم يقل لهم صلّى الله عليه وسلّم: هذه بدعة ابتدعتموها فلم يأمركم أخي موسى بذلك، بل أقرّهم عليها وقال لهم: «نحن أَولىٰ بموسى منكم»، فاليهود جعلوا الصيام شكراً لله تعالىٰ وسروراً بإعزاز الدين، ونكال الكافرين.

والمولد جعله المسلمون شكراً لله تعالىٰ وسروراً بظهور من أظهر الله به دين الإسلام على الأديان كلّها ولو كره المشركون، وقد عرّض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصوم يوم الاثنين ومنوِّهاً بفضله بسبب ولادته فيه، ونزول القرآن عليه، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عَليَّ فيه» أي الوحي، رواه مسلم.

وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب إعتاقه لثويبة فرحاً، لما بشَّرته بولادته صلّى الله عليه وسلّم، وأنه يخرج له من بين أُصبعيه ماءٌ يشربه، كما أخبر بذلك سيدنا العباس رضي الله عنه، ورواه البخاري.

ورحم الله القائل ـ وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر الدين ـ حيث قال:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمّه ... بتبّت يداه في الجحيم مخلّدا
أتىٰ أنه في يوم الاثنين دائماً ... يُخَفّف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عُمْره ... بأحمد مسروراً ومات موحّدا

فنحن أولىٰ بالسرور به، والاحتفال بيوم مولده، وإظهار الزينة فيه

شكراً لله تعالىٰ، على ما أنعم به علينا من إبراز ذاته الشريفة صلّى الله عليه وسلّم إلى هذا الوجود، ليدعو إلى معرفة الله تعالىٰ وتوحيده، وعلى ما أنعم الله علينا به من الهداية إلى طريق الحق ونجّانا به من العذاب الأليم.

وفي «الحلية» لأبي نعيم عن وهب بن منبّه قال: كان رجل عَصىٰ الله مئة سنة ـ أي في بني إسرائيل ـ ثم مات، فأخذوه وألقوه في مزبلة فأوحىٰ الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام: أن أخرجه فَصَلِّ عليه، قال: يا رب إنَّ بني إسرائيل شهدوا أنه عصاك مئة سنة، فأوحىٰ الله إليه: هو كذلك، إلّا أنه كان كلّما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد قَبَّلَهُ ووضعَهُ على عينيه، فشكرت له ذلك وغفرت له، وزوّجته سبعين حوراء.

فكيف بمن يُحِبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويتفانىٰ بمحبّته من أمّته، ويعظّمه وينفق من أجله في مثل يوم ولادته أموالاً للفقراء والمساكين، ويقيم تلك الليالي بالذكر والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتلاوة سيرته الشريفة من يوم ولادته، وما ظهر له قبل ولادته من الآيات، وما أكرمه الله تعالىٰ من النصر والتأييد إلى يوم موته، وسرد فضائله وخصائصه وأخلاقه، ليكون للمؤمنين فيه أسوة حسنة، وذكر ما فضّله الله به على العالمين، وما نالت به هذه الأمة من الشرف العظيم، وما كان بولادته من الأفراح والابتهاج في جميع الأكوان، لكونه رحمةً للعالمين، ـ والعالمون كل ما سوى الله تعالىٰ ـ فإن تلك الليالي التي يحييها المسلمون في ثاني عشر ربيع الأول، من أعظم مجالس الذكر التي تحفّها الملائكة إلى سماء الدنيا، فهنيئاً لمن حضرها، وبُعداً لمن أعرض عنها.

وقد حَكىٰ لنا الله تعالىٰ في القرآن العظيم قصة مولد موسى وعيسى ويحيى بن زكريا عليهم الصلاة والسلام، وما جَرىٰ عند ولادتهم من الآيات، وذكر لنا جميع سيرتهم مدّة حياتهم وفضائلهم، فهي سنّة إلٰهية لا بدعة.

وكذلك قصّ علينا ولادة مريم الصدّيقة تعريفاً بفضلها، ونبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم له الفضل الأسمىٰ بجميع آياته وخصوصياته،

وسيرته المباركة، وما تفضّل به الله تعالىٰ عليه من العطايا والمنن التي لم يسبق مثلها لأحد من الأنبياء في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا لأُمّةٍ من الأمم السابقة، كما تفضل به على أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وقد أخبرنا الله تعالىٰ بكتابه العزيز بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وإنما تلاوتنا لذلك اقتداءً بما حكاه الله تعالىٰ بكتابه العزيز عن سابق أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، بل وعن بعض أوليائه كمريم ابنة عمران، فهل أساء المسلمون بتلاوة قصّة مولده صلّى الله عليه وسلّم، وسيرته الشريفة، وقد سبق القرآن إلى مثل ذلك، وجاءت السُّنّة بها جميعاً، وعنها نقل العلماء؟!

وفّقنا الله تعالىٰ إلى ما يحبّه ويرضاه، ويجنبنا ما لا يحبه ولا يرضاه، بحق نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم والأنبياء الذين من قبله عليهم السلام(٣٩).

(٣٩) نفس الرحمٰن فيما لأحباب الله من علو الشان ص١٣١ ـ ١٤٠.

بحث يتعلق بالمولد النبوي الشريف
للشيخ أبي بكر الملّا

هذا الفصل نقله شيخنا العلّامة أبو بكر من «مورد الصفا في مولد المصطفى صلّى الله عليه وسلم» للشيخ العلّامة محمد بن البكري رحمه الله تعالىٰ.

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

فصل في عمل المولد الشريف
وإظهار السرور في زمن ظهوره المنيف

في «صحيح البخاري»: أنَّ بعض أهل أبي لهب رآه في المنام في شَرِّ حِيبة ـ بالمهملة المكسورة ـ، وهي الحالة، فقال: ما لقيت بعدكم، يعني راحة، غير أني سُقِيت في مثل هذه بعتقي ثويبة.

وفي رواية: وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام.

وعتقه لثويبة لما جاء أنها بشَّرته بأنه وُلِدَ لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال تلك الليلة لما بشرته، والرائي له هو أخوه العباس.

قال الشيخ شمس الدين ابن الجزري: فانظر يا أخي إلى هذه اللطيفة، إذا كان هذا حال أبي لهب الكافر الذي جاء القرآن بذمّه، جُوزِي وهو في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فما حال المسلم الموحّد من أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي يُسَرّ لمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته؟ لعمري إنما جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنّات النعيم، انتهى.

فإن قيل: كيف يجتمع ما ذكر عن أبي لهب مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، أي ماء الجنّة ورزقها؟

فالجواب: ما روي عنه رُؤْيا منام، وهو لا يثبت به شيء من الأحكام، فضلاً عن معارضة القرآن. وبفرض المرئي أنه واقع، فلعلّه يُسقىٰ في النار ماء بارداً بقدر نقرة إبهامه، يرتاح به ويكون من غير ماء الجنّة، والله على كل شيء قدير.

قال ابن الرصاع في «تذكرة المحبّين»: من آداب المحب لهذا النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون معظماً لليلة ميلاده، ولليوم الذي أظهره الله فيه، فينبغي لكل مُحِبٍّ أن يظهر السرور والبشارة في تلك الليلة وصبيحتها، ويمتع أهله وأولاده بما أمكن، ويدخل السرور عليهم، ويذكر لهم صفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجماله، وحسنه وكماله، وفضائله وشمائله، وكلامه وفصاحته، وكرمه وجوده، وخلقه وعفوه وصفحه، ومعجزاته وآياته، وهذا عندي وعند كل محب من أحسن الرأي والنظر، لأنَّ التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، ويذكر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته، ويسرد لهم ما أكرمه به مولاه وخصّه من آياته، انتهى ملخّصاً.

والاعتناء بوقت مولده صلّى الله عليه وسلّم، وإظهار السرور فيه، وعمل المولد، وقراءة القرآن، وإنشاد المدائح النبويّة والزهدية والعرفانية، وإطعام الطعام، والصدقات السنيّة، أمرٌ حسَنٌ يثاب فاعله الثواب الحسن الجزيل بالقصد الجميل. وكان عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف الصالح والقرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعدها، فهو بدعة حسنة عند من حقّق العلم وأتقنه.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «مصباح الزجاجة»: هو من البدع الحسنة، إذا خلا عن الأمور المنكرة شرعاً.

وقال في «وظائف اليوم والليلة»: وعمل المولد كل سنة في ربيع الأول استبشاراً وسروراً بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حسن محمود. انتهى.

وقد سبقه إلى ذلك غير واحد، فمنهم أبو شامة شيخ الإمام النووي فإنه أثنىٰ في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث» على ما فعله الملك المظفر صاحب إربل، فقال: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا ما كان يفعل في مدينة إربل في كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإنه مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مشعرٌ بمحبة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وجلالته في قلب فاعله، وشكراً لله على ما منّ به من إيجاد نبيّه صلّى الله عليه وسلّم الذي أرسله الله رحمةً للعالمين.

وكان أوّل من فعل ذلك، عمر بن محمد المُلّا، أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدىٰ صاحب إربل، ومنهم صدر الدين موهوب بن الجزري الشافعي، فإنه قال: هذه بدعة لا بأس بها، ولا تكره البدع إلّا إذا راغمت السُّنّة، وأمّا إذا لم تراغمها، فلا، فيثاب الإنسان بحسب قصده على إظهار السرور بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأما إنكار ابن الفاكهاني لذلك وأَلّفَ فيه جزءاً، فقد أجابه عنه السيوطي ونقضه فصلاً فصلا.

وفي «الدر النظيم في مولد النبي الكريم» لبعض العلماء وهو مشتمل على ثلاثين باباً ووضعه حسن ونظمه متقن، باب في ذكر أجوبة جماعة من العلماء عن عمل المولد، ومن جملتهم الفقيه العالم النبيه زين الدين مقرب بن عبد الرحيم بن مقرب الأفقهسي الشافعي رحمه الله تعالىٰ، **ولفظ السؤال**: هل ما اتَّخذَهُ المتأخرون من اجتماعهم ليلة مولده صلّى الله عليه وسلّم وإنفاقهم الأموال، واتخاذهم السماع وخلعهم على القوال، وإظهارهم الفرح والسرور بأيام مولده صلّى الله عليه وسلّم من قبيل البدع أم لا؟ وإذا كان من البدع المستحسنة واجتمع جماعة وسألوا من يعلمون فيه الرغبة والإعانة على ذلك ما يستعينون به على عمل ذلك من الطعام والحلوى، وما يجري مجرى ذلك، هل يجوز ذلك، وهل يثاب فاعله والمعين عليه؟ وهل يكون ما يصنع فيه يختص به الفقراء دون الأغنياء، أو يكون كطعام الوليمة

يأكله الصالح والطالح، أو لا يختصّ بالدعوة فيه إلّا الصلحاء دون غيرهم؟

الجواب: البدعة عبارة عمّا لم يكن في الطّور الأول، وإظهار هذا السرور لم يترك في الطور، لأن الترك ليس عبارة عن العدم المحض، بل عبارة عن فعل الضد، ولم ينقل أنَّ أحداً قصد تركه فلم يكن فعله بدعة، ولا التفات إلى قول من يقول إنَّ الترك عبارة عن العدم المحض من الأصوليين، لما عُلِمَ في موضعه ولئن سلمناه، فهو عام في كل متروك، وقد خرج منه بعض المباحات، والعام المخصوص في كونه حجة خلاف.

وعلى الجملة: فإنَّ ترك ذلك في الطور الأول والله أعلم، كان لأنَّ الصحابة كانوا متمسكين بالأفضل، فكان استغراقهم بوجوده صلّى الله عليه وسلّم والنظر إلى وجهه ومجالسته ومفاكهته، وتلقي الأحكام من حديثه وسماع القرآن أفضل، فاشتغلوا بالأهم الأفضل، ولو اجتمعوا للذكر لفاتتهم مجالسته وموافقته وتلقي الأحكام التي هي أهم في حقهم، وأما في حقّنا؛ فلو اتفق اجتماع للذكر لكان قُربةً وشعاراً ومندوباً إليه، وكذا إظهار الفرح والسرور بظهوره صلّى الله عليه وسلّم من ظلمة الأحشاء إلينا وأنَّ ساعة وُجِدَ بها نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم لجدير أن تُعظّم ويسرّ بها بحيث لا يعطل الاجتماع لذلك واجباً اشتغالاً بالأهم، ولا بأس بإظهار سماع ما فيه سرور بذلك من السماع المشروع، كالقرآن الدالّ بالآيات على نبوّته ورسالته، وبشارته للمؤمنين وهدايته للضّالين، وشفاعته للمذنبين، إلى غير ذلك. وهذا أفضل السماع، ثم الأخبار الدالّة على ذلك، ثم بكل كلام مباح فيه وعظ وشوق إلى السرور به صلّى الله عليه وسلّم، ولا بأس باتخاذ المطاعم في ذلك الوقت إذا خرج عنه ملاكه لمن يحضر ذلك، ويحلّ تناوله لكل حاضر من غنيّ وفقير، ومن يجوز له الحضور.

وإذا ثبت أنَّ ذلك قُربةٌ، فالسعي إليها بحضور أهلها وباستصناع الطعام للحاضرين وبجمع النفقة ممن تبرَّع بها لهذه الجهة، وسيلة إلى هذه القربة، والوسيلة إلى القربة قربة؛ إذ الوسائل لها حكم المقاصد، وهذه قاعدة متفق

عليها، ولذلك كان السعي إلى الجمعة واجباً لأنه وسيلة إلى تحصيل الجمعة المقصودة، وكذلك السعي إلى التصدق على فقير مندوب، لأنه وسيلة إلى مندوب، والسعي إلى الحرام حرام، لأنه وسيلة إلى حرام، والسعي إلى مباح مباح، ويثاب المعين على ذلك بإخراج النفقة وكل من سرّ بذلك، سواء حضر أو لم يحضر، وحضور زمان مولده صلّى الله عليه وسلّم بذكر ذلك وإظهار السرور فيه أولى من غيره من الأزمان؛ لأنَّ الله تعالىٰ شرف ذلك الوقت بوجوده صلّى الله عليه وسلّم من بين سائر الأوقات، وقد بيَّنَّا في المقام الأول أنه لم يترك السرور بمولده صلّى الله عليه وسلّم في الطَّوْر الأول، وأنَّ الصحيح أن الترك ليس عبارة عن العدم المحض، بل عبارة عن فعل الضدّ.

وأمّا في هذا المقام؛ فنبيّن أنَّ إظهار السرور وشرف هذا الوقت وتمييزه عن سائر الأوقات من السنن؛ لأنه صح أنه صلّى الله عليه وسلّم ندب إلى صوم يوم الاثنين مطلقاً، وعلّل ذلك بأنه يوم ولادته كما في «مسلم»، ولم يخصّص يوماً عن يوم، والندب إلى صومه يدلّ على تخصيصه وشرفه على سائر الأزمان، كما ندب إلى الخميس لمعنى فيه، وإنما قلنا إنه يدلّ على شرف ذلك الزمان الذي ولد فيه، وإعادة الزمان الماضي غير ممكنة؛ لأن المراد تعظيم مثله، والشاهد بالاعتبار أنه صلّى الله عليه وسلّم لما قدم المدينة وجد اليهود صياماً في يوم عاشوراء فسأل عن ذلك، فذكر له أنه يوم أظهر الله فيه موسى على فرعون، فقال: «أنا أحقّ بأخي موسى» وصامه وأمر بصيامه، الحديث.

وهذا اليوم مثل ذلك من الزمان، لا أنه عينه، وكذلك شرف ليلة القدر إذا قلنا إنما كان لأنه نزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا، وإذا كان هذا الوصف مناسباً ـ أعني وجود[٤٠] هذا النبيّ الكريم من ظلمة الأحشاء إلى الدنيا ليبلغ رسالة رب العالمين ليهتدي بها المؤمنون ـ ولم نجد سوىٰ هذا

(٤٠) ظهور.

الوصف، دلّ ظاهراً على أنه مُعَللٌ به، والظن معمول به في الشرعيات سيما والنصّ على تعظيمه بالصوم.

وإذا ثبت أنَّ الصحابة صامته في الطور الأول، وأمر صلّى الله عليه وسلّم بصيامه لم يكن فعله بدعة، وإذا ثبت أنَّ صوم هذا اليوم سنّة، فاليوم الذي وُلِدَ فيه آكد من غيره من الأثانين. **والحاصل**: أنَّ أصل عمل المولد سنة ليس ببدعة، وأنه في الجملة من عهد الصحابة فمن بعدهم، وقد خرّج الحافظ ابن حجر عمل المولد على حديث «الصحيحين» في صوم عاشوراء والأمر به، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «نحن أحق بموسى منكم»، قال: فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالىٰ على ما منّ به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظيره من كل عام، والشكر لله تعالىٰ يحصل بأي طاعة فعلت، وأي نعمة فوق نعمة إظهار هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم في هذا اليوم؟ فينبغي تحرّي اليوم، فإن كانت الولادة ليلاً، فليقع الشكر بما يناسبه من إطعام ونحوه، وإن كانت نهاراً فبما يناسبه من نحو صيام وصدقة، ولا بدّ أن يراعي مطابقة ذلك اليوم من الشهر، ليطابق قصة موسى في عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بأي يوم من ربيع، بل توسّع قوم فنقلوه إلى أيّ يوم من السنة، وفيه ما فيه، فينبغي أن يقتصر على ما يفهم الشكر من صدقة وصلاة وصيام وسرور.

وأمّا السماع واللهو، فلا بأس بالمباح دون الحرام فيحرم، والمكروه وخلاف الأولى فيتركان أدباً، وقال العارف بالله ابن عباد شارح «الحِكَم» في كتاب «الرسائل»: وكون هذا الأمر لم يكن في الصدر الأول، حيث الإيمان راسخ في القلوب، ولم يبق الآن من الإيمان إلّا الاسم، ولا من شرائع الإسلام إلّا الرسم، وقريب ذهابهما من هؤلاء الناس، ولم يبق اليوم بأيدي الناس من الدين إلّا أنهم إذا سمعوا بذكر سيد المرسلين، نظرت له أفئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم، فإذا نزع منهم ذلك أي شيء يَبقىٰ بأيديهم؟ وأطال فيما يتعلق بذلك.

وخرج الحافظ جلال الدين السيوطي لعمل المولد أصلاً آخر من

حديث البيهقي عن أنس: أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عقّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنه قد ورد أن جدّه عبد المطلب عقّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد ثانياً، فيحمل فعله ذلك على إظهار الشكر بإيجاد الله إيّاه رحمة للعالمين وتشريفاً لأمّته وسائر بني آدم، كما كان يصلّي على نفسه لذلك، فيستحبّ لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع لذلك، وإطعام الطعام، ونحوه من وجوه القرب، وإظهار المسرّات، انتهى.

قال النجم الغيطي: ما ذكره الحافظ ابن حجر أنسب مما ذكره الحافظ السيوطي، لأنَّ صوم عاشوراء متكرّر كل عام، وهو في وقت معين، فكان عمل المولد المذكور مثله، بخلاف العقيقة، فإنها لا تتكرّر ولا تختص بوقت بعينه، وما فعله جده من العقيقة لم يعقّ عنه، لأنه كان قبل الشرع، فلا يتعلق به حكم، والعقيقة التي فعلها بعد النبوّة على تقرير صحتها هي المشروعة والواقعة عنه، على أنَّ حديث عقّه عن نفسه منكر، قال النووي في «مجموعه»: إنه باطل، فسقط التخريج المذكور، انتهى ملخصاً.

وفي أواخر كتاب «التعريف بالمولد الشريف» لابن الجزري: الحكمة في أنَّ أمته لم تتّخذ يوم مولده عيداً، كما فعلت النصارى يوم مولد عيسى عليه السلام؛ أن يوم مولده يوم وفاته، فتكافأ السرور بالعزاء.

قال: وهذا أحسن ما خطر لي، أو يقال: إنه لما اختُلِفَ فيه لم يتعيّن، أو إن الأعياد توقيفية ولم يشرع غير العيدين، أو يقال: إن في ذلك تشبّهاً بالنصارى وقد نهينا عن التشبّه بأهل الكتاب، أو يقال: إن ذلك سدٌّ للذريعة؛ كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تتّخذوا قبري عيداً»، وما أشرت إليه أوّلاً ألطف، والله أعلم.

وإلّا ففي الحقيقة أنَّ مولده صلّى الله عليه وسلّم أعظم عيد في الإسلام، وأي عيد، ويشمل القريب من أمّته والبعيد، انتهى ملخصاً.

وما قال إنه أنسب الأجوبة، هو من جملة ما استند إليه ابن الفاكهاني في الكلام في المولد عفا الله عنه، فقال: مع أن الشهر الذي وُلِدَ فيه، هو

الشهر الذي تُوفّي فيه، فليس الفرح فيه بأولىٰ من الحزن.

وأجاب عنه الحافظ السيوطي كما تقدم، فقال في جواب هذا: إنَّ ولادته أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب، وأمر الشارع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شُكْرٍ وفَرحٍ بالمولد، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره، بل نَهىٰ عن النّياحة وإظهار الجزع، فدلّت قواعد الشرع على أنه يَحْسُنُ في هذا الشهر إظهار شكر الفرح والسرور بولادته صلّى الله عليه وسلّم، دون إظهار الحزن لوفاته.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «اللطائف»: لم يأمر الله باتخاذ يوم مصائب الأنبياء مأتماً، انتهى.

والذي يظهر: أنَّ حكمة عدم الأمر فيه بالعمل المشروع في العيدين، التخفيف من الله زيادة في تكريمه صلّى الله عليه وسلّم، ووُكِلَ طلب إظهار السرور والحبور وفعل القرب للوازع الطبيعي في قلوب أهل الإيمان، من تعظيم شأن سيد ولد عدنان صلّى الله عليه وسلّم، ما اختلف الملوان.

وفي «الدر النظيم»: سمعت شيخنا أبا عبد الله بن أبي محمد النعمان يقول: سمعت أبا موسى الزهروني قال: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام، فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد، فقال صلّى الله عليه وسلّم: من فرح بنا فرحنا به، انتهى.

فينبغي للمؤمن في هذا اليوم إظهار غاية الفرح، وإبداء ما يدل على السرور وذهاب الشرور والترح، لينال بحسن القصد الجميل الأجر الجزيل، بتعظيم الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، وله أقصى الجلالة والمهابة والتفخيم، انتهى ملخصاً من «مورد الصفا» للعلامة ابن عَلّان.

وقع الفراغ من كتابته في خامس عشر شوال سنة ١٣٧١هـ بقلم الفقير عبد الله بن محمد بن راشد غفر الله لهم بمنّه آمين[٤١].

---

(٤١) رسائل الشيخ أبي بكر الملا (مخطوطة).

فتوى العلامة الفقيه
سماحة الشيخ محمد الخزرجي
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولة الإمارات العربية المتحدة سابقاً
ومفتي البلاد وفقيهها

مسألة: ما حكم الاحتفال بالمولد النبويّ في كلِّ عام؟

الجواب ومن الله تعالىٰ أستمد الصواب:

الحمدُ للَّهِ المبدعِ الكونَ على غيرِ مثال، وجَعَلَ في السماءِ بروجاً وفي الأرضِ الجبال، وخَلَقَ آدمَ ووهبَ لهُ صفاتِ الكمال، وجَعَل مِن ذُرِّيَّتِهِ الرُّسلَ والأنبياءَ والأولياءَ والأَبْدَال، وخصَّهم بالصفاتِ المُثْلَى، ومَنَحهم الدرجاتِ العُلَى، وفضَّل بعضَهم على بعض، ليكونوا مصدرَ إشعاعٍ في الأرض.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المرسلينَ، وسيِّدِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، أمَّا بعدُ:

فإنَّ شمائِلَ المُصْطَفى، وتاريخَه اللامعَ بالوَفَا، لَمِنَ الواجبِ على المُسْلمِ أن يعتنيَ به، ويحرِّرَهُ ويقرأه شُكْراً، ويتغنىٰ بِهِ ليستفيدَ من سيرته وصفاته، ويتمسكَ بجوامع كَلِمِه وعِظَاتِهِ.

ومِن هذا المُنْطَلَقِ المُضيء، أجمعَ العلماءُ على قِرَاءَةِ مولدِ النَّبِي صلّى الله عليه وسلم، في شهرِ ربيع الأوّل إحياءً لهذِهِ الذِّكْرَى، وقراءَةً لسيرتِهِ شُكْراً، وإطعامِ الطعام للفقراءِ والمساكين، وإكرام أهلِ العلمِ ووجوهِ المُسْلِمِينَ،

وتكرارِ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليه بِشَوْقٍ وأدَبٍ، وتخيُّلِ مقامِهِ الأعلى في أوقات الاحتفالِ والقُرَب.

وستجد أيها القارئ الكريمُ جواباً لسؤالٍ وَرَدَ إليَّ من صحار، من إخواني في هذا البلد الذي يعبقُ مِن شذى قلوبِهم الأذْكَار، وتشدو بمكارمِ أخلاقِهم الزُّوَّار.

وإليك الجواب وليس الخبر كالعيان، فخذه شاكراً ورَتِّلْهُ بالقلبِ واللِّسَانِ.

الاحتفالُ بمولِده صلّى الله عليه وسلّم مُسْتَحَبٌّ، لِمَا فيهِ من إظهار الفرحِ والسرورِ بمولدِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، والصَّلاةِ والسلام عليهِ، وإطعامِ الطَّعام. . . إلى غير ذلكَ من الأفعال والأقوالِ الحَسَنَةِ، كذكرِ حياتِهِ وأخلاقِهِ، والأدوارِ التي مرَّ بها من صغرِهِ، حتى توفّاه اللَّهُ تعالىٰ.

والاحتفالُ باعثٌ للمحبةِ التي تزيدُ في الإيمانِ، وتُثْمِرُ بالأعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وقد قالَ الإمامُ الجليلُ الشمسُ ابنُ الجزريّ: إنّ مِمّا جُرِّبَ أنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك، كانَ له أماناً من ذلِكَ العَامِ.

وأوَّلُ مَنْ أحْدَثَ ذلِكَ، المَلِكُ المُظَفَّرُ، صاحبُ إربل المتوفى سنة ٦٣٠هـ، وكان يحضرُ الموالِدَ التي تُقامُ أعيانُ العلماءِ والصوفيةُ ويصرف على المولد ثلاث مئة ألف دينارٍ.

واستدلَّ شيخُ الإسلام الحافظُ ابنُ حجر العسقلانيُّ: أنَّ المولدَ بدعةٌ حسنةٌ بخبرِ «الصحيحَيْنِ» أنه صلّى الله عليه وسلّم لَمَّا قَدِمَ المدينةَ وجدَ اليهودَ يصُومونَ يومَ عاشوراءَ، فسألهم فقالوا: هذا يومٌ أغْرَقَ اللَّهُ فيهِ فرعونَ، ونجَّى مُوسى، فنحنُ نصومُه شكراً لله تعالىٰ، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنَا أحَقُّ بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه.

فقال شيخُ الإسلام: يُسْتَفَاد منه فضلُ الشكرِ للَّهِ تعالىٰ، بأنواع العباداتِ، على ما منَّ بهِ في يوم مُعيَّنٍ، من إسداءِ نعمةٍ أو دفع نقمَةٍ، ويُعَادُ ذلك في كلِّ سنةٍ في مثلِ ذلك اليومِ.

وأيُّ نعمةٍ أفضلُ وأعظمُ من نعمةِ بروزِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في ذلكَ اليومِ!! نبيّ الرَّحمة صلّى الله عليه وسلّم.

ووافقه بهذا الاستدلالِ كثيرٌ من العلماءِ، منهم الحافظُ ابنُ رجب الحنبليِّ، واستدلَّ العلَّامَةُ السيوطيُّ على أنَّ المولدَ مستحبٌّ بما أخرجه البيهقيُّ عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه أن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم عقَّ عن نفسِه بعدَ النبوّة، والحالُ أنَّ جدَّهُ عبدَ المطلبِ عقَّ عنه سابعَ ولادتِهِ، والعقيقةُ لا تُعادُ، فيُحْمَلُ على أنَّ هذا الذي فعله، إظهار للشكرِ على إظهارِه رحمةً للعالمينَ، كما كان يُصَلِّي على نفسِه.

فلذلك يُسْتَحبُّ لنَا إظْهَارُ الشُّكْرِ له تعالىٰ بمولِدِهِ صلّى الله عليه وسلّم بالاجتماع، وإطْعَامِ الطَّعامِ، وإظهارِ المسرَّاتِ، رَوىٰ هذا الحديثَ أحمدُ والبزَّارُ.

وجاءَ عن الإمامِ الزاهدِ القدوةِ أبي إسحاق إبراهيمَ بن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ إبراهيمَ بن جماعةَ رحمةُ اللَّهِ عليهم، أنَّه لمَّا كان بطيْبَةَ كان يعمل المولِدَ ويصنعُ الطَّعامَ للنَّاسِ، ويقول: لو أستطيعُ لعَمِلْتُ بطولِ الشهرِ كلَّ يوم مولداً.

قال ابنُ الجوزيّ رحمهُ اللَّهُ تعالىٰ: إذا كانَ أبو لهبٍ يُخَفَّفُ عنهُ العذابُ يومَ الاثنين بفرحِهِ بمولِدِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وعِتْقِهِ جاريتَهُ التي بَشَّرَتْهُ بالنبيِّ يومَ وُلِدَ، فما حالُ المسلمِ الذي يُسَرُّ بمولِدِهِ، ويبذلُ ما يقدِرُ عليه؟

وما أحسن ما قال الحافظُ الشمسُ محمدُ بنُ ناصر الدين الدمشقي في ذلك:

إذا كانَ هذا كافراً جاءَ ذمُّهُ ... بتبّتْ يَدَاهُ في الجحيم مُخَلَّدَا
أتَى أنَّهُ في يوم الاثنين دائِماً ... يُخَفَّفُ عنه للسرورِ بأحْمَدا
فما الظَّنُّ بالعبدِ الذي عاشَ عُمْرَهُ ... بأحْمَدَ مسروراً وماتَ مُوَحِّدَا

وذكَرَ الشيخُ محمد علي المالِكي، مُفْتِي الحَرَمَيْنِ الشريفَيْنِ في عَصْرِهِ في آخرِ كتاب «الصَّارِمِ المُبيد»، نقلاً عن بعضِ علماءِ الأحنافِ: أنَّ الاحتفالَ بالمولدِ مُسْتَحَبٌّ، لأنَّ اللَّهَ تعالىٰ يقولُ لنبيِّهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والرحمةُ هي من أعظمِ النِّعَم.

وقد وَرَدَ الأمرُ بالتَّحَدُّثِ بالنِّعَم الفائضةِ عليهِ صلّى الله عليه وسلّم، بالبياناتِ التفصيليَّةِ، بحيثُ يظهرُ أنَّه نعمةٌ عُظْمَى فائقةٌ على نِعَمِ العالَمِينَ.

كما يجبُ علينَا التحديثُ بالنِّعَم الفائضَةِ علينَا، بواسِطَتِهِ صلّى الله عليه وسلّم، وحيثُ عُلِمَ ذلك، كانَ الواجبُ على الوَاعِظِ التَّالي لقصةِ مولِدِهِ صلّى الله عليه وسلّم، الَّذي هُوَ سَبَبُ وصولِ النِّعْمَةِ العظمى إلينا، أن يُبيِّنَ أولاً الفضائلَ المذكورةَ تفصيلاً، بحيث يجعلها تَوْطِئَةً لولادةِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، ووصولِهِ إلَيْنَا، ثُمَّ يُبَيِّنَ تَفْصيلاً فضائلَ الولادةِ والوصول إلينا. (انتهى بتصرّف).

وذكَرَ وجوهاً كثيرةً تُثْبِتُ أنَّ الاحتفالَ بمولدِهِ صلّى الله عليه وسلّم، لا سيَّما في هذا الزمانَ مُسْتَحَبٌّ، ولَا يَنْبَغِي تَرْكُه. منها: إقرار صور الحكام والقضاةِ على غيرِ الصورِ السابقةِ، لِمَا في ذلك من مصلحةٍ عامةٍ؛ لأنَّ فيما مضى الاعتماد على الدّينِ، أمّا في هذا الزمانِ فلا بدَّ من اتخاذِ إجراءاتٍ تَضْمنُ إثباتَ مكانَتِهِمْ في القلوبِ ليُطَاعُوا، ويعودَ ذلك على المجتمعِ بالاطمئنانِ والمساواةِ في الحقوقِ.

كما أقرَّ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطّابِ معاويةَ على ما هو عليهِ مِن اتّخاذ المواكبِ والشرطةِ، عندَما قالَ لَهُ:

إنَّا بجوار عدوٍّ، ومحتاجونَ لمثلِ هذا، قال له: لا آمرك ولا أنهاك. ومعناه أنتَ أعلمُ بحالِكَ، هذا بعض منها.

وذكر الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله تعالىٰ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» بعد أن ذكر أنَّ محبةَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في اتِّباعِهِ

والاقتداءِ بهديهِ وأطال في هذا الكلامِ إلى أن قال: «فتعظيم المولد واتّخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجرٌ عظيمٌ لحُسنِ قصده، وتعظيمهِ لرسول الله صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم كما قدَّمتُه لك أنه يَحْسُنُ من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدّد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراءِ إنه أنْفَقَ على مصحفٍ ألفَ دينارٍ ونحو ذلك فقال: دَعْهُ فهذا أفضلُ ما أُنْفِقَ فيه الذَّهَبُ أو كما قال، مع أنَّ مذهبَه أنَّ زخرفة المصحف مكروهةٌ.

يُسْتَفَادُ من هذا الكلام أنَّ عملَ المولدِ والاحتفالَ بهِ لتعظيمِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وحسنِ القصدِ في عملهِ فيهِ ثوابٌ وأجرٌ عظيمٌ.

وأنَّ كُلَّ ما يمكن عملُه مِمَّا فيهِ تعظيمٌ للنبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فعلينا أن نعملَهُ.

على أن قراءةَ المولدِ درسٌ من دروسِ العلمِ لما يحويهِ من علم التَّاريخ والسيرةِ والشمائلِ، وعلمُ التاريخِ من فروضِ الكفاية التي يجبُ على المجتمع ككُلٍّ معرفتُه.

وفي تاريخ حياةِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم الذي يُقْرَأُ في أيَّامِ الاحتفالِ بمولدِه أمرانِ واجبانِ على كُلِّ فردٍ بعَيْنِهِ:

الأول: معرفةُ نسبهِ صلّى الله عليه وسلّم إلى عدنان.

الثاني: معرفةُ كونه وُلِدَ في مكةَ ونشأ فيها وأُوحي إليه وهَاجَرَ إلى المدينةِ المنوَّرَةِ وتُوفّيَ بها، بالإضافةِ إلى ما يشعُر به القارئ والسَّامعُ عند ذكر شمائلِهِ من القشعريرة والشوق إليه صلّى الله عليه وسلّم، وتجديد المحبة والإخلاص.

والله أعلم(٤٢).

(٤٢) الفتاوى الخزرجية، (٥/١١٦ ـ ١٢٢).

الإمَامُ العُجَيْل والمَولِدُ

كتب الإمام العلامة المحقّق المجاهد الداعي إلى الله السيد محمد عبد الهادي العُجَيْل، فقال:

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم الذكر المبين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين، وإمام الدعاة والهداة المصلحين، والمبعوث رحمة للعالمين، والمُنزّلِ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، صلوات الله تبارك وتعالىٰ عليه وعلى آله وأصحابه الهادين المهتدين، الذين أعزَّ الله بهم الإسلام، وأصلح بهم الأنام، فحازوا شرف الدنيا والدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فإنه تبارك وتعالىٰ قد بعث منقذ الإنسانية الأعظم صلّى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً، فحمل عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة وهداها إلى سواء السبيل، بما وهبه الله تبارك وتعالىٰ من الرحمة التي وسعت جميع المخلوقات، وكيف لا يكون كذلك وهو المُخَاطَبُ من ربّ العزّة تبارك وتعالىٰ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكان عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، الصورة الحقيقية لأمّته الإسلامية التي حملت عنه شريعته، وبلغت أمانته برجال الإسلام وعلمائه

الأطهار الأبرار، الذين جعلوا من نبيّهم وقائدهم الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم أعظم قدوة وأشرف أسوة، مطبقين قول ربّهم تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فندعو الله تبارك وتعالىٰ أن يلحقنا بهم أقوالاً وأعمالاً وأحوالاً، إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعاء.

كثيراً ما تصلني أسئلة من الإخوة المحبّين في الله تعالىٰ عن أمور تتعلّق بالأذكار والموالد والاجتماعات، وخاصة في المواسم الإسلامية، ويستفسرون فيها عما يقال: إن هذه الموالد والاجتماعات بدعة مذمومة لا يقرّها الإسلام، ولا يرضاها الله تعالىٰ ولا رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

وكان جوابنا على هؤلاء الإخوة عن كيفية هذه الاجتماعات والموالد، وماذا يفعل فيها، وما المقصود منها؟

فقيل لنا: إنهم يفعلون ذلك حبّاً في الله ورسوله، يذكرون الله تعالىٰ فيها، ويصلون ويسلّمون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ومن قال لكم إن هذه الموالد والأذكار والاجتماع فيها حرام؟ قالوا: بعض العلماء يقول: إن هذه الأعمال بدعة منكرة، وليست من الدين في شيء، وإنها المنكرات.

أجبنا عليهم: إن هذا الكلام من بعض هؤلاء العلماء غريب وعجيب، وأنا لا أصدق أن يقول ذلك أحد من العلماء، أما أشباه العلماء فهم كثيرون والعياذ بالله منهم.

العلماء أيّها الإخوة؛ لا يمكن أن ينكروا على الناس ذكرهم لله وصلاتهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهم يعلمون قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٤].

علماء الإسلام الذين عرفوا الإسلام وأحكام الإسلام، لا يمكن أن ينكروا على المسلمين الذين يجتمعون في ذكرى ميلاد خاتم الأنبياء وأشرف أهل الأرض والسماء، يصلون ويسلمون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم الذين يتلون ويعلمون ويعرفون معنى قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، إن علماء الإسلام الذين عرفوا الله وشريعته لا يمكن أن تزلّ أقدامهم وأقلامهم وأفهامهم إلى هذه الدرجة من الجهالة واللجاجة والإسفاف، إن العالم بشرع الله تعالىٰ يتثبت في كل ما يقول عن الله تعالىٰ ويخشى كل الخشية أن يقع في هاوية من قال فيهم تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

إنني أطلب من طلّاب العلم الذين لا باع لهم ولا ذراع في علوم الإسلام، أن يتّقوا الله في أنفسهم وفي دينهم وأمّتهم، وأن يتركوا الفتيا لأهلها ورجالها، وألّا يخربوا علينا ديننا وعقائدنا بصورهم وجهالتهم وتلك هي البليّة التي بلينا بها، وأخشى أن يصدق فيهم قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

إن بعض هؤلاء الجهلة كما بلغني يقولون: هذه الموالد والاجتماعات التي يجتمع فيها المسلمون يذكرون الله تعالىٰ ويصلون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إنما هي من المحدثات التي نهى عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، أستغفر الله لي وللمذنبين والجاهلين، هل الذي يذكر الله تعالىٰ ويصلّي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم ميلاده، أحدث في الإسلام ما ليس منه؟ يا جماعة عيب عليكم.

هؤلاء الذاكرون والمصلّون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يحدثوا في الإسلام ما ليس منه، هؤلاء طبّقوا، حقّقوا قول الله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، واستجابوا لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

لو سمعت أنا شخصياً هذا الكلام من أصحابه (أي من الأدعياء ولابسي العمائم) لأدرجتهم في صفوف البهائم، ولو سمعت هذا القول من ذوي الذقون الطويلة واللّحىٰ العريضة، لقلت فيهم ما قاله المتنبي فيمن يلبس لباس العلماء، ويقلّدهم بزيّهم وهو من الجهلاء:

ألا ليت اللّحى كانت حشيشاً فنطعمها خيول المسلمينا

أجل، أقول للذين لم ينالوا قسطاً وافراً من علوم الشريعة ألّا يتعرّضوا لأمورهم، أقلّ من أن يعرفوها أو يوجهوا المسلمين إليها في أمر الحلال والحرام، والجائز والمندوب والمباح والمكروه والمستحب. إن هذه القواعد لها أصحابها وأربابها من حملة الشريعة الإسلامية، وإلّا أصبح إسلامنا فوضى يقول ويتقوّل عليه، وفيه كل من هبّ ودبّ، وهنا يكون الخراب والدمار للإسلام والمسلمين.

يكون تخريب الإسلام باسم الإسلام، وأعوذ بالله من زمان يتصدّر فيه الجهلاء، وينزوي فيه العلماء:

متى يصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا
ومن ينهى الأصاغر عن فساد إذا قعد الأكابر في الزوايا

وفي ختام كلمتي أقول للذين يهدمون الإسلام، باسم الإسلام ويحاربون المسلمين الذين يجتمعون على حبّ الله ورسوله، وتلاوة كتابه والصلاة والسلام على خاتم رسله وإمام أنبيائه صلّى الله عليه وسلّم، أقول لهم وأوجههم إلى توجيه وتنبيه قول المنقذ الأعظم سيدنا ومولانا محمد بن

عبد الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت ـ العجول الجهول ـ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»، ويقول عليه الصّلاة والسلام: «علّموا ولا تعنّفوا»، وحينما بعث رسله إلى اليمن زوّدهم بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «بشّروا ولا تنفروا، ويسّروا ولا تعسروا»، ويقول صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله يحب الرفق في كل شيء»، هذه هي آداب الإسلام وتوجيهات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فارفقوا بالناس أيها الدعاة أو (الأدعياء) وقبل أن ترجموهم يجب أن ترحموهم، فديننا دين الرحمة واللّين والموعظة الحسنة.

يقول تبارك وتعالىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، كيف تنكرون هداكم الله على المسلمين الذين يجتمعون لتلاوة القرآن والذكر والدعاء، والصلاة على أشرف خلق الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا شكّ أنكم تجهلون قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما جلس قوم في بيت من بيوت الله تعالىٰ يقرأون كتاب الله ـ وفي لفظ آخر: يذكرون الله تعالىٰ ـ إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

أقول لكم: إذا أردتم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، فعليكم بأوكار الخمور والفجور، والموبقات والفساد الذي عمّ وطمّ في كل مكان، ودعوا عباد الله تعالىٰ يذكرون ربهم ويحتفلون بالمولد ويصلون على حبيبهم وشفيعهم ومنقذهم، رحمة العالمين، وإمام الذاكرين والعابدين، ومن أرسله الله تعالىٰ نوراً للمخلوقات أجمعين، ومن أنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٨، ٢٩] صدق الله العظيم.

ملحوظة: كانت تأتيني في كثير من الأوقات هذه الأسئلة سؤال وجواب.

هل الاحتفال بيوم ميلاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُنّةٌ أم بدعة؟

الجواب: أن الاحتفال بمولد سيّد الكائنات سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليه سُنّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ وقُرْبَةٌ عظيمة يثاب العاملون بها، وهكذا سار الخلف على نهج السلف الصالح رضوان الله تعالىٰ عليهم.

وقد ثبت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سئل عن مداومته لصيام يوم الاثنين، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «ذاك يوم ولدت فيه»، ومعنى هذا: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم احتفل بمولده الشريف شكراً لله وحمداً.

وهذا ما نرد به على المنكرين الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها يوم احتفال المسلمين بميلاد رسولهم ونبيّهم الأعظم صلّى الله عليه وسلّم، ويقولون عن ذلك إنه بدعة، ثم يوردون الحديث الشريف ليدلّلوا به على أن احتفاء المسلمين بميلاد رحمة الله للعالمين صلّى الله عليه وسلّم من الأمور المستحدثة التي ينكرها الإسلام، ثم يذكرون الحديث الشريف عن المستحدثات والابتداع في الدين، هكذا: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

اللّهمّ يا رب سلِّم، إن المسلمين لم يبتدعوا، وإنما اتّبعوا امتثالاً لأمر الله تعالىٰ القائل: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، هل هذه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؟!

اللّهمّ لا تؤاخذنا بما فعل الجُهَلاءُ منّا، إن الله تبارك وتعالىٰ احتفل بميلاد عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥]، هذا القرآن العظيم يحتفل بميلاد الأنبياء، فهل ذلك ضلالة وكل ضلالة في النار؟ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه...

إليك يا ابن الدين والإيمان ... فيضاً من النفحات والتبيان

عن مولد المختار أعظم خاتم ... للأنبياء ورحمة الرحمٰن

عن من أتى للعالمين مبشّراً ... ومداوياً للكون والإنسان

عن من أتى نوراً بأشرف شرعة ... وعدالة وكرامة وحنان

عن من أتى من ربّه بكتابه ... فيه العلاج لسائر الأدران

عن من أتى بالمعجزات موضحاً ... سُبُل النجاة بمنهج القرآن

عن هذه الأوصاف خذها باقة ... من عالم ومجاهد ربّاني

سيف الشريعة والمحبّ لأحمد ... والصادق المعروف بالنبهاني

من ذاد عن شرع النبيّ وهديه ... بالحجّة البيضاء والبرهان

ذاك الإمام اللوذعي موفق ... ومنافح في فعله ولسان

هو من جنود اللّه من أولاهم ... شرف الدفاع ونعمة الرجحان

وقضى الحياة مقاتلاً ومناضلاً ... عن دينه في السرّ والإعلان

حبّ النبيّ زواده وزناده ... وسلاحه في ساحة الميدان

من نور أحمد علمه وسراجه ... فهو السفير لشرعة الديّان

لم يكترث بالجاهلين وقولهم ... وسفاهة البلهاء والغلمان

عرف الإلٰه وشرعه ونبيّه ... ودعا إلى الإسلام والإيمان

بمحبّة وتشيع لنبيّه ... ومضى بكل توجّه إنساني

يعطي الدليل بقوة وبحجة ... وعقيدة وبلاغة وبيان

عن مولد الهادي البشير محمد ... فخر الأنام وقاهر الشيطان

وموجهاً ومفقهاً ومنبهاً ... أبناء أمّته من الخسران

لتسير أمّتنا على أسلافها ... دون استماع بلاهة الصبيان

الجاهلين بدينهم وبشرعهم ... والخابطين بظلمة الحيران

هم ينكرون صلاتنا وسلامنا ... ودعاءنا للمصطفى العدناني

اللّه أوجب أن نصلّي دائماً ... في محكم التنزيل والفرقان

صلّى الإلٰه على النبيّ مخاطباً ... كل الأنام بقوله النوراني

وكذا الملائكة الكرام جميعهم ... شرفت بذاك الفضل والإحسان

صلّوا على نور الأنام وسلّموا ... للفوز بالجنّات والرّضوان

والجاهلون المفلسون وزمرة ... من حزبهم شذّوا عن الأقران

هم أنكروا هم شنعوا هم حرموا ... كل اجتماع الذكر والقرآن

لم يفهموا قول الإله وأمره ... لعباده في النور ذي الإتقان

أن يذكروا الله العظيم إلههم ... ذكراً كثيراً صيغ بالإيمان

فإذا ذكرنا اللّه قالوا بدعةٌ ... وضلالةٌ تدعو إلى النيران

لم نجتمع لمجانة وسفاهة ... في ساحة القينات والسكران

نحن اجتمعنا للصلاة على النبيّ ... وسماع ذكر الواحد المنّان

وسماع أقوال الرسول وفعله ... هو أسوة للمسلم القرآني

يا قوم عودوا للصواب وأنصفوا ... وتأدّبوا من كثرة الهذيان

القول محسوب على من قاله ... لصحابه في كفّة الميزان

اللّه يهدينا جميعاً إنه ... سبحانه الهادي إلى البرهان

وتشبّهوا بالأوّلين أولي التقى ... من أخلصوا في السرّ والإعلان

من جاهدوا في اللّه حقّ جهاده ... في كل ميدان وكل زمان

فأنالهم ربّ العباد سعادة ... في هذه الدنيا ودار جنان

اللّه يلحقنا بهم وبحبّهم ... وشفاعة المختار والغفران

محمد بن عبد الهادي العجيل/ القاهرة

غرة شهر رمضان المعظم سنة ١٤١٠هـ

القول المحكم في جواز الاحتفال بمولد النبيّ الأعظم

للشيخ سليم علوان

الحمد لله الذي أنْعم علينا بإظهار سيد البشر، وفخر ربيعة ومُضَر، والصلاة والسّلام على سيدنا محمد من انشقّ له القمر، وسلّم عليه الحجر، وسعى إلى خدمته الشجر.

اللّه عظَّم قدر جاه محمد وَأنَالهُ فضلاً لديه عظيما
في مُحكم التنزيل قال لخلقه صلّوا عليه وسلّموا تسليما

تطلّ علينا هذه الأيام ذكرى طيّبة، ألا وهي ذكرى مولد حبيب الحق، وخير الخلق، سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم.

ويا لها من مناسبة عظيمة، يحتفل بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، شكراً لله تعالىٰ على بروز سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم لهذه الدنيا.

إنّ أول من أحدث عمل الاحتفال بذكرى ولادة حبيب الله صلّى الله عليه وسلّم صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد، والكبراء الأجواد، وكان له آثار حسنة، وهو الذي عَمر الجامع المظفري بسفح قاسيون.

قال ابن كثير في تاريخه[٤٣]: كان يعمل المولد الشريف ـ يعني الملك

(٤٣) البداية والنهاية (٢/ ٢١٣٦).

المظفر ـ في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شهماً شجاعاً، بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً، رحمهُ اللَّهُ وأكْرَمَ مَثْواه، وقد صنّف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحية مجلداً في المولد النبويّ سمّاه: «التنوير في مولد البشير النذير»، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدّته في الملك إلى أنْ مات وهو محاصِر للفرنجة بمدينة عكا سنةَ ثلاثين وست مئة، محمود السيرة والسريرة، اهـ.

ويذكر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: أنه كان يحضر عنده (أي الملك المظفر) في المولد أعيان العلماء والصوفيّة[٤٤]، اهـ.

وقال ابن خلكان[٤٥] في ترجمة الحافظ ابن دحية: كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، اهـ.

واعلموا رحمكم الله: أن الاحتفال بمولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البدع الحسنة، فهذا العمل لم يكن في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا فيما يليه، إنما أحدث في أوائل القرن السابع للهجرة.

وذكر الحافظ السخاوي في «فتاويه»: أن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار في المدن الكبار يعملون المولد، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وللحافظ السيوطي[٤٦] رسالة سمّاها: «حسن المقصد في عمل المولد»، قال: إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه، وينصرفون من

---

(٤٤) الحاوي للفتاوي (١/ ١٩٠).
(٤٥) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩).
(٤٦) الحاوي للفتاوي (١/ ١٨٩ ـ ١٩٧).

غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وذلك موافق لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده لا ينقص من أجورهم شيء» رواه مسلم في «الصحيح».

فقد رخّص الرسول عليه الصلاة والسلام لأمّته، أي للمجتهدين منهم أنْ يُحْدِثوا في الدين ما رأوه حسناً، وما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ فمن ذلك ما أحْدَثَهُ عثمان رضي الله عنه من زيادة أذانٍ ثانٍ يوم الجمعة[٤٧].

إذاً فلا يطلق القول بأن كل محدث سواء كان موافقاً للكتاب أو السُّنة أو الأثر أو الإجماع، أو مخالفاً لها فهو ضلالة، إنما يقال كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: المحدَثات من الأمور ضربان؛ أحدهما: ما أُحْدِثَ مما يخالف كتاباً أو سنّة، أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة؛ والثاني: ما أُحْدِثَ من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة. وروى ذلك عنه البيهقي بالإسناد في «مناقب الشافعي»[٤٨].

وقال النووي في كتاب «تهذيب الأسماء واللغات»[٤٩]، ما نصّه: البدعة ـ بكسر الباء ـ في الشرع، هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة.

يعني أن البدعة تنقسم إلى قسمين من حيث الإجمال:

بدعة ضلالة: وهي المحدثة المخالفة للقرآن والسنّة.

وبدعة هدى: وهي المحدثة الموافقة للقرآن والسنّة.

---

(٤٧) «صحيح البخاري» كتاب الجمعة.
(٤٨) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٩٩).
(٤٩) «تهذيب الأسماء واللغات»، مادة «بدع» (٣/ ٢٢).

وهذا التقسيم مفهوم من حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، فقد قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردّ».

فأفهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله: «ما ليس منه» أن المُحْدَثَ إنما يكون ردّاً، أي مردوداً، إذا كان خلاف الشريعة، وأنّ المحدَث الموافق للشريعة ليس مردوداً؛ وهو مفهوم أيضاً مما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة...» الحديث.

وكذلك ما رواه مسلم وغيره من أن عليّاً رضي الله عنه قال عن جلْدِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر لشارب الخمر أربعين: إنه سنّة، وعن جلد عمر لشارب الخمر ثمانين: إنه سنة، فهل ينكر على عمر لأنه جلد شارب الخمر ثمانين، مع أن الرسول وأبا بكر جلدا شارب الخمر أربعين، ولم يقل الرسول: اجلدوه ثمانين؟!

وهل ينكر على عليّ رضي الله عنه تسميته ما حصل مع عمر «سُنّةً» مع أنه حصل بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم؟ وكذلك ما رواه البخاري من أن عمر رضي الله عنه قال عن جمعه الناس على التراويح جماعة: نِعْمَ البدعة هذه.

وفي «الموطأ» للإمام مالك بلفظ: «نِعْمَت البدعة هذه»، فإن قيل: أليس قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه أبو داود عن العرباض بن سارية: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فالجواب: أن هذا الحديث لفظه عام، ومعناه مخصوص، بدليل الأحاديث السابق ذكرها، فيقال: إن مراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما أُحْدِثَ وكان على خلاف الكتاب والسنّة، أو الإجماع أو الأثر.

وفي «شرح النووي لصحيح مسلم» ما نصّه: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «وكل بدعة ضلالة»، هذا عام مخصوص، والمراد به غالب البدع، اهـ.

ثم قال: ولا يمنع من كون الحديث عاماً مخصوصاً قوله: «كل بدعة» مؤكداً بكل، بل يدخله التخصيص مع ذلك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] اهـ. فهل دمّرت الرياح السمٰوات والأرض والجنّة والنار؟!

وماذا يقول هؤلاء المشوِّشون فيما فعلهُ عبد الله بن عمر من أنه زاد في التشهد (وحده لا شريك له) وقال: أنا زدتها، رواه أبو داود.

فإن قال هؤلاء المشوشون: إن كل ما لم يفعله الرسول صلّى الله عليه وسلّم فهو بدعة ضلالة، يقال لهم: إن الصحابة الذين كتبوا الوحي الذي أملاه عليهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم كانوا يكتبون الباء والتاء ونحوهما بلا نقط، وكذلك عثمان بن عفان لما كتب المصاحف الخمسة أو الستة، لم تكن منقّطة، وإنما أول من نقط المصاحف رجل من التابعين من أهل العلم والفضل والتقوى، يقال له: يحيى بن يعمر، ففي كتاب «المصاحف» لابن أبي داود السجستاني ما نصّه(٥٠): حدَّثنا عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك، حدثنا الحسين بن الوليد، عن هارون بن موسى قال: أوّل من نقّط المصاحف يحيى بن يعمر، اهـ.

وكان قبل ذلك يكتب بلا نقط، فلما فعل هذا، لم ينكر العلماء عليه ذلك، مع أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم ما أمر بنقط المصحف، فهل يقال: إنهُ بدعة ضلالة لأن الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم يَفْعَلْهُ ولم يأمُر به، فإن كان الأمر كذلك، فليتركوا هذه المصاحف المنقطة، أو ليكشطوا هذا التنقيط من المصاحف حتى تعود مجرّدة كما في أيام عثمان بن عفان!!

(٥٠) كتاب المصاحف (ص١٤١).

وعمل الموالد من البدع المستحبّة، لأنها لا تحتوي على ما يخالف الكتاب أو السنّة، إنما فيها إظهار الفرح بولادة سيد العالمين صلّى الله عليه وسلّم بالطريق المشروع.

قال السيوطي: وقد سئل شيخ الإسلام حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكن مع ذلك؛ اشتملت على محاسن وضدّها، من جرَّد في عمله المحاسن وتجنّب ضدها، كان بدعة حسنة، ومن لا، فلا. وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في «الصحيحين» من أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالىٰ، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «نحن أولى بموسى منكم».

فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من بروز هذا النبيّ، نبيّ الرحمة في ذلك اليوم؟ وعليه ينبغي أن يتحرّى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك، لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى أي يوم من السنة، وفيه ما فيه.

فهذا ما تعلق بأصل عمله، وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالىٰ، من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبويّة الزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، اهـ.

قال السيوطي: وقد استخرج له ـ أي المولد ـ الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد ابن حجر أصلاً من السُّنة، واستخرجت له أنا أصلاً ثانياً، اهـ.

قلت: وكون السلف الصالح لم يفعلوا المولد صحيح، ولكنه ليس بدليل، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعاً أو منكراً، لو نهى الله تعالىٰ عنه في كتابه العزيز، أو نهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سنّته الصحيحة، ولم ينهَ عنه فيهما؛ إذ ليس فيه مخالفة لكتاب الله، ولا لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا لإجماع المسلمين، فتبيّن من هذا أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة، فلا وجه لإنكاره، بل هو جدير بأن يسمى سُنّةً حَسَنةً.

ومما نلفت إليه نظر القرّاء، أن هناك كتباً أُلّفت في المولد فيها الكذب الصريح المفترى، منها كتاب نسب إلى ابن حجر وليس له، وكتاب نسب إلى ابن الجوزي وليس له، وهو المسمى «مولد العروس»، فيجب اجتناب هذين وما أشبههما.

ولد الحبيب وخدّه متورّد والنور من وجناته يتوقّد
جبريل نادى في منصة حسنه هذا مليح الوجه هذا الأوحد
هذا جميل النعت هذا المرتضى هذا جليل الوصف هذا أحمد

نسأل الله تعالىٰ أن يعيد علينا هذه المناسبة باليُمن والبركات، وقد عمّ الخير وانتصر الحق وزهق الباطل(٥١).

(٥١) انتهى من إعداد الشيخ سليم علوان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حول ذكرى المولد

بقلم سيد درويش

متابعاً للسؤال عن ذكرى المولد النبوي، نناقش ما عرضه الفاكهاني المالكي على الأحكام الشرعية الخمسة، وانتهى منه إلى أنه بدعة مكروهة، إن خلت عن المحرمات، ومحرمة إن اشتملت على شيء منها.

ونقول ـ بحمد الله ـ كما قال كثير من أهل العلم: إن هذا مبني على أن البدعة ليس لها إلّا معنى واحد، وهو ما أُحْدِثَ بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أنه دين وشرع، بأن يجعل من الدين ما ليس منه، بناء على تأويل وشبهة غير معتدّ بها، فالمبتدع مشرع متبع هواه، لأنه بابتداعه في دين الله قد جعل نفسه نظيراً للشارع، حيث شرع مع الشارع ورد حق الشارع، وهو الانفراد بالتشريع، فالبدعة على هذا لا تكون إلّا مذمومة.

ولكن هناك رأي آخر، فرّق بين نوعين من البدع، تلك التي تكون مذمومة بكل حال، وهي التي لم يأذن بها الشارع، لا بالقول ولا بالفعل، وخالفت كتاباً أو سنّة أو إجماعاً. والثانية: ما هي أوسع معنى من الأولى، وهي تشمل البدعة الواجبة والمحرمة، والمندوبة والمكروهة والمباحة، وكذلك البدعة العادية.

وقد رَوىٰ أبو نُعيم عن الشافعي أنّه قال: البدعة بدعتان؛ بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السُّنّة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم، ونقل عنه البيهقي قريباً من هذا المعنى، كما ذكره ابن حجر في

«شرح البخاري» في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنّة).

وقد قال العلّامة العيني في «عمدة القاري»: البدعة **لغة**: كل شيء عمل على غير مثال سابق. **وشرعاً**: ، إحداث ما لم يكن له أصل في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وهي قسمان: بدعة ضلالة، وبدعة حسنة، وهي ما رآه المسلمون حسناً ولا يكون مخالفاً للكتاب، أو السنّة، أو الإجماع.

وقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «كل بدعة ضلالة»، هو قول عامّ إذا اقتصر معنى البدعة على ما أحدث على أنه دين وشرع ـ كما نسب إلى الإمام مالك رحمه الله ـ أما إذا أريد المعنى العام الذي ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله وسار عليه القرافي والعيني وفصّله ابن عبد السلام في الجزء الثاني من «قواعد الأحكام»، فإن البدعة منها ما هو واجب، ومنها ما هو محرم، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو مباح، وقد ذكر لكل أمثلة نكتفي بمثال لكل نوع على التوالي: تدوين أصول الفقه، مذهب القدرية، بناء المدارس، زخرفة المساجد، اللذيذ من المآكل والمشارب.

بناء على هذا يقال: إنَّ إحياء ذكرى مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدعة حسنة تدخل ما هو مندوب إليه بناء على ما تشتمل عليه من تلاوة لكتاب الله ومن صلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن رفع ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن إحياء سنّته والتأسّي به، وهذه تدخل تحت كثير من أبواب الخير ولها أصول في الإسلام، ففي الحديث الذي رواه مسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالىٰ إلّا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»، وقال صلّى الله عليه وسلّم لجماعة جلسوا يذكرون الله تعالىٰ ويحمدونه على أن هداهم للإسلام: «أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالىٰ يباهي بكم الملائكة».

قال ابن حجر: في الحديثين دليل واضح على فضل الاجتماع على

الخير والجلوس له، وأن الجالسين على خير، كذلك يباهي الله بهم الملائكة، وبدعة المولد وإن لم تنقل عن أحد من السلف الصالح، لكنها مندوب إليها، لانطباق قواعد الندب وأدلّته العامة.

وممّا لا شك فيه أن وسائل التربية الحديثة في المدارس ومعاهد العلم غير الدينية في بلاد المسلمين، تهمل الناحية النفسية في ربط قلوب الأطفال المسلمين وفتيانهم وفتياتهم بحياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولزوم محبّته محبة قائمة على العاطفة العميقة بمعرفة حق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المسلمين، ومن هنا كان تفكيرهم في تلك المرحلة الحيوية من الحياة مرحلة تركيز العواطف وتوطينها حينما يدور الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كأنهم يتحدّثون عن شخصية تاريخية يهمهمون بذكرها والصلاة عليها، دون ذلك الربط العاطفي الحقّ.

ولذلك فإن كثيراً من أهل العلم يرون أن تقوية هذه العاطفة كلما كانت هناك مناسبة للذكرى، أمرٌ له وجاهته الدينية، لأنهم يستدركون بذلك بعض ما فات المؤسسات التربوية من بيان الرحمة والنور والهداية، ونعمة الفوز والنجاة في الآخرة، التي أفاضها الله عزّ وجلّ على الأمّة المحمديّة ببعث خاتم الأنبياء ورحمة الله إلى العالمين[٥٢].

(٥٢) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٤٣٣٩، الاثنين ١٥/ ١٠/ ١٩٩٠م.

لماذا نحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف؟

كلمة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علي شهاب، مراقب عام للوعظ بجمهورية مصر العربية سابقاً، وإمام مسجد مستشفى راشد بدبي دولة الإمارات العربية المتحدة.

قال في كتابه «إتحاف الأنام»: نحن المسلمين نحتفل بذكرى ميلاد حبيبنا محمد صلّى الله عليه وسلّم اقتداء بسلفنا الصالح، رجاء أن يكون وفاء بِعُشْر معشار حق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علينا، كتلك الأحفال التي تقام في ليلة القدر إيقاظاً ودعوة للعمل والتمسّك بما أنزل فيها من القرآن الكريم، كما نحتفل بهجرته تذكيراً بالطاعة المطلقة والتضحية الفائقة اللّتين قام عليهما الإسلام، ونحتفل بذكرى غزواته وانتصاراته على البغي والعدوان التي سجلها القرآن الكريم ودعا المؤمنين إلى تذكرها دائماً، وأولى بهذا التذكّر يوم وقوعها.

أليست هذه كلها من أيام الله التي لفت نظر المؤمنين إليها، ودعاهم إلى تذكّرها، ليكون ما أودع الله فيها من عطاء أو بلاء، دروساً للمؤمنين تنير لهم مستقبلهم دائماً، ويكيّفون دنياهم على ضوء ما وقع فيها، ونور الآية تشد المؤمنين بها إلى ذلك، فاقرؤوها في تدبّر وخشوع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

وأفضل الأيام بالنسبة للأمة المحمدية، بل للإنسانية كلها، هو يوم ميلاده صلّى الله عليه وسلّم، يشكرون فيه ربهم على نعمة ميلاده، فهو النعمة المهداة والرحمة المسداة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

[الأنبياء: ١٠٧]، وحسبه وحسبنا به فرحاً في يوم ميلاده أن الله حفظ مسقط رأسه قُبَيْل ميلاده من أبرهة وجيشه، وحصر فيله وسجّل لنا وله ذلك في القرآن الكريم، لتتلى حتى في الصلاة لتجدّد الذكر، والذكرى تنفع المؤمنين.

فاقرؤوا إن شئتم قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

إيماءَةٌ في القُرآن

ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى تقدير يوم الميلاد، فيقول الله تعالىٰ في شأن يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥].

كما يقول على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم: ٣٣].

بل جعل قصة ميلاد موسى وعيسى عليهما السلام قرآناً يتلى في: سورة آل عمران، والشعراء، والقصص، ومريم.

وفي ذلك إشارة وتقدير لأيام الميلاد بالنسبة للأنبياء، لِيذكر فَيشكرَ فيها التابعون ربهم، وليتذكّروا عهد الله الذي أخذه عليهم بالإيمان برسالة النبيّ الخاتم، ذلك العهد الذي سجّله الله عليهم في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

كما أشار الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى تقدير يوم الاثنين، فكان حريصاً على صيامه، ففي «مسند الإمام أحمد» رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ولد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين، وَاستُنبئَ يوم الاثنين، وهاجر من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين».

جاء في «المواهب اللدنية» عقب ذلك: فيا شهراً ما أشرفه وأوفر حُرمةَ لياليه، ويا وجهاً ما أشرقه من مولود، فسبحان من جعل مولده

للقلوب ربيعاً وحسنه بديعاً، ولذا صرّح العلماء رضي الله عنهم بأنَّ ليلة ولادته أفضل من ليلة القدر.

قال الشيخ محمد بن أحمد بَنِّيس: وإذا ثبت أن ليلة ولادته وصبيحتها أفضل الليالي والأيام، فهو عيد وموسم، فَيعظم ويحترم، وَيعمل فيه ما يدل على التعظيم والاحترام من الأمور المباحة، وتجديد العهد بالقرآن الكريم والعمل بسنّته، وذكر الله وذكر شمائل الرسول صلّى الله عليه وسلّم الأخلاقية وأوصافه الخلقية، كما يذكي الشوق إليه، ويؤكّد الحب له، ويشد العزائم إلى العمل بشريعته.

قال الإمام ابن عباد في «رسائله»: وأما المولد؛ فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر والسمع، والتزيّن بلبس فاخر الثياب، وركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد، قياساً على غيره من أوقات الفرح.

ثم قال ابن عباد في رسالة أخرى: وكون هذا الأمر لم يكن في الصدر الأول، لأنَّ الإيمان كان راسخاً في القلوب، وشرائع الإسلام مطويٌّ على تعظيمها والانقياد لها الأضلاع والجنوب، فليس ذلك بمعارض له ولا دافع، إذ لم يبقَ من الإيمان الآن إلّا الاسم، ومن شرائع الإسلام إلّا الرسم، كما لم يبق بأيدي الناس اليوم من الدين إلَّا أنّهم إذا سمعوا بذكر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تضطرب له أفئدتهم، وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم، ولعلّهم يثوبون إلى رشدهم بالاحتفال بذكرى ميلاد نبيّهم، فالعوام ـ وما أكثرهم ـ لا يتأثّرون إلَّا بالماديات من المنظورات، والمحسوسات والملبوسات، فلذا ترى الناس في ذلك اليوم متشوّقين إلى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر حبيبهم، فيلهجوا بذلك فرحاً وسروراً، ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربّهم في حالهم ومالهم، لا سيما إذا كان مقروناً بالصدقات وأعمال البر والإحسان.

إيضاحٌ وتأكيد

ثبت في كتب السيرة أن أحداثاً كونية وقعت في ليلة ميلاده صلّى الله عليه وسلّم، ذكر طرفاً منها صاحب «المواهب اللدنية» وسجلها البوصيري في «همزيته» و«بردته»، وتلقتها الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل، علماؤها وعامتها، واتّخذوا من ذلك دليلاً على أحفالهم بذكرى ميلاد الرسول صلّى الله عليه وسلم، ولم يحرصوا على التفتيش عن الأدلة لعملهم هذا، لأنهم لم يلحقوه بالدين لتطبق عليه اسم البدعة في الدِّين، وإنما هو نابع من فرحتهم بذكرى الميلاد، فكُلٌّ منهم يحتفل بقدر طاقته وما يناسبه، في حدود شرع الله الذي أساسه قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣].

والمسلمون لا ينسون هذه الذكرى، فهي في ضمائرهم دائماً، يثيرها في نفوسهم كثير من عطاء الله لهم، فيقول: سأعمل مولداً أنحر فيه الذبائح لله، وأطعم الفقراء والمساكين لله، وأذكر الله شكراً على ما أولاني من فضل، وأسبغ عَلَيَّ من نعمة، فأيّ عيب في هذا؟ وما يمنعه؟

على أنَّ ليلة الميلاد في القمة من أيام الله التي قال فيها جلّ شأنه: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: ٥]، تشدّهم إلى رضوانه والتعرّض لنفحاته، والتي قال عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ لربكم في أيام ذكرهم نفحات، ألا فتعرضوا إليها». ولا شك أنَّ نفحات الله فيها لعباده أغزر

وأكثر، فليحتفلوا بذكرى ميلاد نبيّهم ليزدادوا حبّاً له، وتمسّكاً بشريعته وتجديداً لعهده، وانتظاماً مع الركب المقدّس الذي أشار إليه القرآن الكريم ودعاهم إليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وحسبنا نحن المحتفلين بذكرى ميلاد الرسول الكريم هذا التكريم.

الاحتفال بليلة الميلاد شُكر لله

وجِماعُ القول في هذا المقام، قوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]، والحديث القدسي: «عبدي لم تشكرني إن لم تشكر من أجريت نعمتي لك على يديه».

وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من أَسدىٰ أو صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

وقال: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدّث بنعمة الله شكر، وتركه كفر».

ولا شكّ أنَّ عطاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للإنسانية في القمّة بعد عطاء الله، وشكره كذلك، ومعنى شكره معايشته صلّى الله عليه وسلّم في أيامه ولياليه والتي أوّلها ليلة الميلاد ويومها، فَنَذْكُرهُ وَنُصلّي عليه كلما هبّ على العوالم نسيمها، وتعطّرت الأرجاء بعبيرها، ونادىٰ منادي الحق: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

وما المنادي إلّا رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم الرحمة المُهداة والنعمة المسداة، فلولا ميلاده وليلته، لما كان هذا الفضل العظيم والخير العميم الذي تعيش فيه الإنسانية جمعاء، والذي لا نستطيع الوفاء بذرّة من قدره، إلا أن البُخْلَ بإحيائها والحفاوة بها بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله بُخْلٌ وجُحُود، فكيف بالمعارضين، إلّا أن

حسابهم على الله: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

ونحن نطالب المانعين المعارضين بالنصّ الصريح قرآنا أو سنّة صحيحة، وإلّا فالاجتهاد يقابله اجتهاد، والاستنباط يقابله استنباط، وحينئذ فالعود إلى الأصل وهو الإباحة حسماً للخلاف.

ذلكم أيها المؤمنون منهج المحتفلين بذكرى ميلاد الرسول الخاتم صلّى الله عليه وسلّم، ولا يتحمّلون انحراف المنحرفين وتهريج المهرجين، كما لا يقبلون عكاز المانعين بقولهم: (الباب الذي يأتي منه ريح اقفله واسترح)، ولا ينهض كذلك سنداً لهم القاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المنافع)، وإلّا انهدم أو تعطل كثير من الأركان، لما يتخلّلها من مفاسد وعصيان.

وبعد؛ فالواجب على الجميع، أن ينهض كُلٌّ في موقعه بما يجب عليه، لينقوا أجواء هذه الأحفال من كل ما يغضب الله، فتسنّ القوانين ويزجر المخالفون والمنحرفون، ليستقيم الجميع على الجادة التي يحبها الله ورسوله، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

هذا وبالله التوفيق، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد النبيّ الأمّي يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[٥٣].

(٥٣) «إتحاف الأنام» للشيخ عبد الفتاح علي شهاب.

فتوى سماحة

الشيخ عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

مدير عام دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقاً بدُبَي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله موفق المتّقين لشكر النعمة، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة، وعلى آله وأصحابه الهداة، وعلى سائر من اقتفى أثره واهتدى بهداه.

وبعد:

فلا يشك عَاقِلٌ صَادِقُ الحب بأنَّ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هو الاحتفاء به، والاحتفاء به صلّى الله عليه وسلّم أمر مقطوع بمشروعيته، لأنه أصل الأصول ودعامتها الأولى، فقد عَلِمَ الله سبحانه وتعالىٰ قدر نبيه، فعَرَّفَ الوجود بأسره باسمه وبمبعثه وبمقامه وبمكانته، فالكون كلّه في سرور دائم وفرح مطلق بنور الله وفرجه، ونعمته على العالمين وحجّته، فالقرآن الكريم يصف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصفاً بليغاً ويثني عليه إجمالاً وتفصيلاً.

فمدحه في قلبه فقال: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١]، ومدحه في خُلُقِهِ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وذكر وَجهَهُ فقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وذكر بَصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا

طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]. وذكر صدرهُ فقال: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢]. وذكر عُمُره فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢]. وذكر عينيه صلّى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] وذكر اسمه صلّى الله عليه وسلم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢] وقوله كذلك: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله كذلك ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وذكر بلده صلّى الله عليه وسلم: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ [البلد: ١، ٢] وذكر نساءه صلّى الله عليه وسلم: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وذكر نطقه صلّى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] وذكر صوته صلّى الله عليه وسلم ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢] وذكر عصمته صلّى الله عليه وسلم ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧] وذكر طاعته صلّى الله عليه وسلم ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وتجلّىٰ عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] .قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٣٢/٥) واعلم أنه عام في كُلٍّ ما ذكروه من النبوّة، وشهرته في الأرض والسمٰوات، اسمه مكتوب على العرش، وأنه يذكر معه في الشهادة والتشهّد، وأنه تعالىٰ ذكره في الكتب المتقدمة، وأنه صلّى الله عليه وسلم ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوّة، وأنه يذكر في الخطب والأذان، ومفاتيح الرسائل، وعند الختم، وجعل ذكره في القرآن مقروناً بذكره: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الفتح: ١٧]، و﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ويناديه باسم الرسول والنبيّ، حين ينادي غيره بالاسم (يا موسى) (يا عيسى)، وأيضاً جعله في القلوب بحيث

يستطيبون ذكره، وهو معنى قوله تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

كأنه تعالىٰ يقول: أَملأُ العالم من أتباعك، كلهم يثنون عليك ويصلّون عليك ويحفظون سنّتك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلّا ومعه سنّة، فهم يمتثلون في الفريضة أمري، وفي السُّنّة أمرك، وجعلت طاعتك طاعتي، وبيعتك بيعتي ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، لا تأنف السلاطين من اتّباعك، بل لا جرأة لأجهل الملوك أن ينصب خليفة من غير قبيلتك، فالقُرّاءُ يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون يفسرون معاني فرقانك، والوعاظ يبلغون وعظك، بل العلماء والسلاطين يصلون إلى خدمتك، ويسلمون من وراء الباب عليك، ويمسحون وجوههم بتراب روضتك، ويرجون شفاعتك، فشرفك باقٍ إلى يوم القيامة، اهـ.

وزاد الخازن في «تفسيره» (٤/ ٤٧١) فقال: «رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيّين، وإلزامه الإيمان به والإقرار بفضله»، اهـ.

وذكر ذلك أيضاً ابن الجوزي الحنبلي في «زاد المسير» (٩/ ١٦٤) وزاد: «ورفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء»، اهـ.

وقد ذكر مثل ذلك الإمام الشوكاني، وزاد في تفسيره «فتح القدير» (٥/ ٤٦٢): «وبالجملة: فقد ملأ ذكره الجليل السمٰوات والأرض، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن، والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

اللّهمّ صلّ وسلم عليه وعلى آله عدد ما صلّى عليه المصلّون بكل لسان في كل زمان، وما أحسن قول حسان:

أغرُّ عليه للنبوّة خاتم ... من اللَّه مشهود يلوح ويشهد
وضمّ الإلٰه اسم النبيّ مع اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـقّ لـه مـن اسـمـه لـيـجـلّـه فذو العرش محمود وهذا محمد

انتهى كلام الشوكاني رحمه الله تعالىٰ.

فالاحتفال بالمولد النبويّ الشريف عمل فيه إظهار الفرح والسرور، والحب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما كان كذلك فهو مما يندب إليه الشارع ويُحَبِّذُهُ، فهذا ليس بمنكر ولا باطل، بل معروف من مقاصد الشريعة المحكمة، لذا اشترط العلماء في قراءة المولد أن يكون من عالم أو طالب علم، وأن يكون محاطاً بالسكينة والوقار، وأن لا يختلط فيه الرجال بالنساء، وأن لا تصحبه آلات الطرب، باستثناء المزهر (الدُّفّ) على بعض الأقوال.

فلا يجوز الاحتفاء بمولد سيد الإنسانية إلّا بالشروط المذكورة، كما لا يصح منع الاحتفال باستعمال قاعدة سدّ الذرائع، لأنَّ قاعدة سد الذرائع يُعْمَلُ بها إذا كانت لا تغيب أصلاً أجمع عليه الناس، ولا تفوت مصلحة ضرورية على المسلمين، نظراً لإمكان منع المفاسد.

مثال ذلك: غرس العنب والتمر والحنطة، الذي يصنع منها الخمر، فهل نمنع غرسها نظراً لذلك؟!

هذا لا يقول به عاقل.

وكذلك لا نمنع مجلساً يذكر فيه الله ورسوله وسير الصالحين، ذلك المجلس الذي ترق فيه القلوب، وتتعلق بقائدها ومنقذها سيد الأنام محمد صلّى الله عليه وسلّم، ذلك التعلق دافع لتثبيت الإيمان وبلوغ درجة الإحسان، الذي هو البر في أرقى صوره، بدليل الصلاة والسلام على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بخطاب المتكلم الحاضر.

إن الصدق ليهدي إلى البرّ، وإن البرّ ليهدي إلى الجنّة، والصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هي رأس البر التي ترفع المؤمن إلى أعلى درجات الإيمان، فلا يجوز إذن منع هذا الاحتفال، لتخلّل بعض المخالفات

الشرعية في بعض الأقطار الإسلامية، بل تمنع تلك المفاسد، وتنقى تلك الاجتماعات من تلك الشوائب، حتى يعمّ الخير والنور.

وقد دعاني ذلك كله لتأليف رسالة في هذا الموضوع سميتها: «بلوغ المأمول في الاحتفاء والاحتفال بمولد الرسول صلّى الله عليه وسلّم»، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٥٤].

---

(٥٤) «بلوغ المأمول» للشيخ عيسى بن مانع الحميري ص٣ ـ١٤.

فَوَائد ذكر أوْصَاف الرَّسُول صلّى الله عليه وسلم الخُلُقية

صُورة يقدمها الأصحَاب للأتباع جيلاً بعد جيل

احتفل المسلمون في شتّى بقاع الأرض بذكرىٰ ميلاد النبيّ الكامل خَلْقاً وخُلُقاً، وتغنّىٰ المنشدون وخطب الخطباء ونظم الشعراء، وسيظلّون كذلك كلما سطع في الأفق هلال ربيع الأول من كل عام، يذكرون أوصاف الرسول جمالاً وكمالاً، وأقوالاً وأفعالاً، لِيُزكُّوا كَوامِنَ المحبة في قلوب أتباعه، ويجدّدوا عهدهم له ويتّخذوه في حدود طاقاتهم قدوة وأسوة، اتّباعاً لقول الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أدعياء جهلاء

ولكن بعضاً من المسلمين لم يعجبهم أن يردّد المنشدون والشعراء والخطباء أوصاف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الخُلُقيةِ، بدعوىٰ أنَّ ذلك لا يفيدنا في ديننا، فضلاً عمّا فيه من مبالغة في المدح!!

ردٌّ على هؤلاء

لو أن هؤلاء فتحوا بصائرهم وقلوبهم قبل أن يفتحوا أعينهم، وكان لهم بنبيهم صلّى الله عليه وسلم حبل موصول من محبة وشوق وإخلاص، لسأل كل واحد منهم نفسه عن صورة المحبوب وشكله، وقوامه وسمته وأخلاقه وشمائله، لتنطبع في القلب الصورة الكاملة له.

وفي عصرنا هذا يتبادل الأصدقاء والأحباب الصور الشمسية إحكاماً للصّلة وتوثيقاً لوشائج المحبة والمودّة، وهذا هو ما فعله الأتباع الذين آمنوا برسول الله ولم يرَوْه، ووجدوا أنفسهم بين صحابة رسول الله الذين اكتحلت عيونهم برؤية طلعته البهيّة وصفاته السنية، فسألوهم عن أوصاف نبيهم صلّى الله عليه وسلم الخُلُقِية، فكانت هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة في «صحيح البخاري» و«مسلم» والكتب المؤلّفة في شمائله صلّى الله عليه وسلّم كـ «الشمائل» للترمذي، و«الشفا» للقاضي عياض، فكانت هذه الأحاديث في شمائله صلّى الله عليه وسلّم بديلاً عن الصورة في سويداء قلب المحب، وما أبدع تلك الفوائد الستّة التي ذكرها شارح الشمائل للترمذي سيدي محمد جسوس في مقدمة الشرح؛ إذ يقول:

ينبغي أن نُقدِّمَ قبل الشروع في كلام المُصنِّف، مُقدمةً ليقوىٰ باعث الرغبة فيما ذكره من شمائله صلّى الله عليه وسلّم، وحسنه الظاهر والباطن، ومعرفة ذلك مما يتأكّد، بل يتعين على كل مؤمن لوجوه:

١ ـ أن معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية، وسيلة إلى امتلاء القلب بتعظيمه، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم شريعته، وتعظيم الشريعة وسيلة إلى العمل بها والوقوف عند حدودها، وإيثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشواغلها عن مالكها وخالقها، وهذا من فوائد تنويه الله تعالىٰ بقدره وخلقه في آيات كثيرة.

٢ ـ أنَّ معرفتها تتضمن معرفة حسنه وإحسانه، وفي ذلك وسيلة لمحبته، لأنَّ أسباب المحبة وإن تكاثرت، فمردها إلى أمرين: الحسن والإحسان، فإنَّ النفوس مجبولة على حب الحسن، كما أنها مجبولة على حب من أحسن إليها، ولا حُسْنَ يُمَاثِلُ حُسنَهُ صلّى الله عليه وسلّم، كما لا إحسان يماثل إحسانه إلى الإنسانية كلها، لا سيما نحن المؤمنون به.

٣ ـ أنَّ السعي في معرفتها، خدمة لجانبه صلّى الله عليه وسلّم وثناء

عليه، وتعلق به وتعظيم لقدره، وتقرّب وتودّد واستعطاف وانتساب، وتَعرضٌ لنفحات فضل الممدوح، فإنَّ الكرام إذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا، وقد خَلَعَ صلّى الله عليه وسلّم حُلّتَهُ على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته المشهورة التي يقول فيها:

إنَّ الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول

٤ ـ أنَّ معرفة أوصافه الخلقية والأخلاقية، مُعِينَة على شهود ذاته الشريفة، وفي رؤيته صلّى الله عليه وسلّم يقظة أو نوماً فوائد عظيمة، ومزايا كبيرة فخيمة، يأتي التنبيه على بعضها في باب رؤيته في المنام، وإن أردت فهم ذلك فانظر إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ لله عباداً من نظر في وجه أحدهم نظرة، سعد سعادة لا يشقىٰ بعدها أبداً».

٥ ـ أنَّ في ذِكْرِ أوصافه وسماعها، تلذّذاً بحبيب القلوب وقرّة العيون صلّى الله عليه وسلّم، وهو ضَرْبٌ من الوِصَال، ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به، لما فيه من إمتاع حاسة السمع واللسان بأوصاف المحبوب، الذي هو وسيلة لحضوره في القلب، فإذا فات المحب النظر إليه بالبصر، لم يفته التمتّع به بالسمع والنظر إليه بالبصيرة، وما أبدع قول بعضهم:

يا وارداً من أُهَيل الحي يخبرني عن جيرتي شَنِّف الأسماع بالخبر
ناشدتك اللّه يا راوي حديثهم حَدِّث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

٦ ـ أنَّ ذِكرَ محاسنه صلّى الله عليه وسلّم، يحرّك ما في القلوب المؤمنة من الحب الساكن والشوق الكامن، ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب إجلاء تلك المحاسن، وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلّى الله عليه وسلّم، لا سيما إذا كان القارئ حسن الصوت، وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرقّق القلوب، كما هو المطلوب عند قراءة القرآن، ويرحم الله الشيخ البُرعي؛ إذ قال:

وتأخذ قلبي نشوة عند ذكركم كما ارتاح صَبٌّ خامرته خمور
أصوم عن الأغيار قطعاً وَذِكرُكُم سحور لصومي في الهوىٰ وفطور
ومدح رسول اللّه أصل سعادتي أفوز به يوم السماء تمور
نبيٌّ تَقيٌّ أريحيٌّ مُهذبٌ بَشيرٌ لكل العالمين نذير

من أجل ذلك؛ وليبقى الرباط التصويري بين المؤمنين وشمائل نبيهم على مرّ الدهور في كل مكان، سأل التابعون رضوان الله عليهم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين رأوه ونعموا بمشاهدة ذاته الشريفة وشمائله السامية عن ذلك كلّه، ليحصلوا لأنفسهم تلك الفوائد الجليلة، وتصلنا عن طريقهم، لتنطبع في قلوبنا الصورة الكاملة لنبيّنا، لنزداد به تعلقاً وبشريعته تمسّكاً.

وما ظنّ هؤلاء الناقمين على ذكر أوصاف نبي الإسلام الكامل المكمّل خُلُقاً، لو خُلق ذميماً غير جميل موسوماً بتشويه في وجهه، أو نقص في حواسه، وَنُقِلَ لنا ذلك الوصف عنه، لكان ذلك مطعناً ينصرف به الناس عن اتّباعه، ولذلك كان معلوماً من الدين بالضرورة أنَّ من أوصاف الرسول صلّى الله عليه وسلّم، تنزيهه عن الأمراض المنفّرة، والعيوب الخلقية المنقصة.

وقديماً برّأ الله موسى عليه السلام من تهمة النقص التي اتّهمه بها اليهود، وحكىٰ الله ذلك في القرآن الكريم، كما حلّ عقدة من لسانه عند إرساله، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦].

فالمحاسن الظاهرة في شخص ما ذكرها ترسيخ وتقوية لما فيه، ألم يقل الله لطائفة من بني إسرائيل عندما أخبرهم نبيّهم بأنَّ الله قد بعث لهم طالوت ملكاً، فاعترضوا على الاختيار، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

أَلا إنَّ ذكر أوصافه صلّى الله عليه وسلّم ينقل لأتباعه صورة له على مرّ الزمن منطبعة في القلوب، وهي أبقى وأدوم وأصدق من تلك الصور

المزيفة على الحائط، البعيدة عن حقيقة شخصية صاحبها، ورغم ذلك يقدسونها.

إنَّ المسلم الذي انطبع في قلبه صورة حقيقية لنبيّه، نقلت إليه من الكتب الصحيحة، فعلم أن ظاهره صلّى الله عليه وسلّم كان جامعاً لأنواع الكمال، متضمّناً لكل المحاسن، علم ضرورة أن تخصيصه صلّى الله عليه وسلّم بذلك دون غيره دليل ـ وأي دليل ـ على الخصوصية الباطنة، وترسيخ النعمة العظمى والرحمة الكبرى، وهي النبوّة والرسالة، ولذا قال بعض من رآه: ما هذا بوجه كذاب، ولله در القائل:

لو لم تكن فيه آيات مُبَيّنةٌ   لكان منظره يُنبِيكَ بالخبر

وصلّى الله وسلم عليك يا رسول الله في الأوّلين والآخرين، وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تاريخ الاحتفال رسمياً بالمولد الشريف

لم يحتفل الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعيد ميلاده، أو أمر به، وما كان لمثله وهو عنوان التواضع، وسمة الخشوع والخضوع لله تعالىٰ أن يفعل ذلك، أو يدعو إليه، كما يصنع الأباطرة والملوك والرؤساء، وذوو الوجاهات الدنيوية.

وكذلك لم يحتفل الخلفاء الراشدون بالمولد الكريم، فقد كانوا أشدّ الناس حرصاً على الاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام قولاً وعملاً، كما كان الإسلام في غضاضته وبساطته، وهو لم يجعل للأعياد شأناً غير العيدين الفطر والأضحى، هذا لأنّ عهد الخليفة الأول والثاني، كان عهد جهاد وتأسيس دولة، وعهد الخليفة الثالث والرابع، كان عهد قلاقل وفتن وانقسام. وفوق ذلك كلها، لم يكن لهم في ذلك رسم سابق يجرون عليه.

وفي عهد بني أمية؛ لم يجر الاحتفال به، لأنه عهد تأثيل مُلْكٍ، وفتوح واسعة، وإطفاء ثورات، فلم تتجه الأفكار إلى إحياء هذا اليوم العظيم.

وقد يقال: إنَّ الاحتفال بمولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن عم علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، زوج فاطمة الزهراء بنت محمد، وأبي السبطين ابني محمد صلّى الله عليه وسلم، يذكّر الناس بقرابة الطالبيين من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد كان هم الأمويين وولاتهم وعمالهم أن ينسوا الناس هذه القرابة، أو يهونوا منها حتى حرموا على الناس أن يتّسموا باسم عليٍّ وابنيه، وحتى كان بعض عامة الشاميين يعتقد أنَّ «علياً» لِصٌّ من اللصوص.

أما في العهد العباسي؛ فلم يكن من سبيل إلى هذا الاحتفال، فهو يذكّر الناس بقرابة أبناء الحسن والحسين من الزهراء بنت سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم التي انحصرت ذرية سيدنا محمد في أبنائها، وهي الركن الركين في دعوى العلويين الخلافة إرثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وقد لاقى العلويون من أبناء عمومتهم العباسيين في سبيل ذلك أضعاف أضعاف ما لاقوه من الأمويين، ومن يقرأ كتاب «مقاتل الطالبيين» يعجب كيف عاش واحد من ذرية السبطين إلى اليوم؟ وهكذا مضى نحو قرون ثلاثة، لم يحتفل فيها المسلمون بالمولد النبويّ صلّى الله عليه وسلّم.

وبهذه المناسبة نقول: إنَّ المؤرّخين وأصحاب السير ـ مسايرة لما تقدم من إغفال الاحتفال بالمولد ـ لم يلقوا بالهم إلى هذا الموضوع، ولم يحيطوه بالعناية التي تليق به، بل لم يحتفوا بتدوين أخباره احتفاءهم بتدوين أدنى الملوك منزلة، وأهونهم شأناً!

ولا يصح في الأذهان أن يكون ذلك عن قبح نية، أو سوء قصد، أو تعمد إهمال وإغفال، ولكن لعلّ مردّ ذلك إلى اقتفائهم أثر الأسلاف الأُوَل ـ كما قدمنا ـ، ولأنَّ أعلام المؤرخين القدامى لم يسنوا لهم السُّنّة التي يتبعونها، ولم يمهدوا لهم السبيل التي يسلكونها، فلهم أعذارهم المقبولة.

الاحتفال بالمولد
في إربل والمغرب قديماً

جاءت الدولة الأيوبية بعد الدولة الفاطمية، فألغت ـ فيما ألغت ـ الاحتفال بالأعياد والمواسم، لذلك لم يكن لهذه الدولة عناية مع الأسف بالاحتفال بالمولد النبوي، وأحسب أن الأهلين كانوا يحتفلون به في منازلهم، إذ ليس مما يعقل أنَّ الشعب المصري المتديّن، يُغْفِلُ الاحتفال بمولد الرسول الكريم، لأنَّ الدولة غير مهتمة به.

ولكن الملك المعظم مظفر الدين صاحب «إربل» من أعمال الموصل التابعة للدولة الأيوبية، وزوج ربيعة خاتون الأيوبية أخت صلاح الدين، وصاحب المشاهد المأثورة المصرية، كان يحتفل بالمولد النبوي احتفالاً يعيي الوصف، وقد ذكره السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوي» فقال: إن أول من احتفل بالمولد الشريف: الملك المظفر أبو سعيد بن زين الدين علي بن بكتكين صاحب إربل، أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد.

وقد قدَّمنا أنَّ الفاطميين هم أول من سَنُّوا الاحتفال بالمولد النبوي وهو الحق والصدق. وقد ذكر سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» عن شاهد عيان حضر سماط الملك المظفر في بعض هذه الاحتفالات بالمولد النبوي، فكان ما حواه ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم شواء، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة فرس، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن من الحلواء. وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية، فيخلع عليهم، ويطلق لهم الهبات والمبرات، ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر، ويرقص معهم بنفسه. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاث مئة ألف دينار.

وذكر ابن خلكان طرفاً من احتفال هذا الملك ـ فإن الوصف يقصر عن الإحاطة كما يقول ـ ذكر: أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاد الملك المظفر في المولد، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل، مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي، خَلْقٌ كثير من الفقهاء والصوفية، والوعاظ والقراء والشعراء، لا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول.

ويتقدم الملك مظفر الدين بنصب قباب من الخشب، كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبّة أو أكثر، منها قبة له، والباقي للأمراء، وأعيان كل دولة، لكل واحد قبة. فإذا كان أول صفر زيّنوا ملكة القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجمّلة، ويقعد في كل قبة جوق من الأغاني، وجوق من أرباب الخيال ـ يعني خيال الظل ـ ومن أصحاب الملاهي، ولا يتركون طبقة من تلك الطبقات، حتى يرتبوا فيها جوقاً، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، ولا يبقى لهم شغل إلّا التفرج والدوران عليهم.

وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان، وكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر، ويقف عليها قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم، ويتفرّج على خيالاتهم وما يفعلون في القباب، ثم يبيت في الخانقاه ويعمل السماع فيها، ثم يركب عقيب صلاة الصبح، ثم يرفع إلى القلعة بعد الظهر، وهكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد.

وكان يعمل المولد سنة في ثامن الشهر، وسنة في ثاني عشر منه لسبب الاختلاف الذي فيه. فإذا كان قبل المولد بيومين، أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي، حتى يأتي بها إلى الميدان، ثم يشرعون في نحرها، وينصبون القدور، ويطبخون الألوان المختلفة.

فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في

القلعة ـ أي قلعة إربل ـ ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان، أو أربع من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها، وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه. وفي صبيحة المولد، تنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية، على يد كل شخص منهم بقجة، وهم متابعون كل واحد وراء الآخر، فينزل من ذلك شيء كثير.

ثم ينزل الملك المظفر إلى الخانقاه، ويجتمع الأعيان والرؤساء، وطائفة كثيرة من الناس، وينصب كرسي للوعظ، وقد نصب لمظفر الدين برج من الخشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي، وشبابيك أخرى للبرج إلى الميدان ـ وهو ميدان كبير في غاية الاتّساع ـ ويجتمع فيه الجند ويعرضون ذلك النهار. والمظفر تارة ينظر إلى عرض الجند، وتارة إلى الناس والوعاظ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم، فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للفقراء ويكون سماطاً عاماً، فيه من الطعام والخبز شيء كثير، لا يحد ولا يوصف، ويمد سماط ثانٍ في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي.

وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ، يطلب المظفر واحداً من الأعيان والرؤساء الوافدين لشهود هذا الموسم، ممن قدمنا ذكرهم من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد منهم، ثم يعود إلى مكانه، فإذا تكامل ذلك كله، حضروا السماط، وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعده، ثم يبيت المظفر تلك الليلة هناك، ويعمل السماعات إلى البكرة، وهكذا دأبه في كل سنة، فإذا فرغوا من هذا الموسم، تجهّز كل إنسان للعودة إلى بلدته، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: كان الملك المظفر يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شجاعاً، بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً، محمود السيرة والسريرة.

وقد صنّف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية للمظفر مجلداً في المولد النبوي، سمّاه «التنوير في مولد البشير النذير»[٥٥]، فأجازه على ذلك بألف دينار قال: وقد طالت مدّته في الملك، إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة، اهـ.

ويقول ابن خلكان قد سمعناه أي كتاب التنوير على السلطان في ستة مجالس سنة ٦٢٥هـ.

نقل السخاوي في «التبر المسبوك»: أنه كان للملك المظفر صاحب «إربل» بالمولد النبويّ أتم عناية واهتمام جاوز الغاية، بحيث أثنى عليه الإمام العلامة أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» فقال: إن هذا يحسن ويندب إليه، ويشكر فاعله، ويثنى عليه.

وكانت للمظفر آثار حسان، وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح «قاسيون»، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة، وعلى أي صفة، تبلغ نفقاتها في كل سنة مائة ألف دينار.

وحكت زوجته خاتون بنت أيوب: أنه كان يلبس القميص من الكرباس الغليظ الذي لا يساوي خمسة دراهم.

قالت خاتون: فعاتبته على ذلك، فقال: لأن ألبس ثوباً بخمسة دراهم، وأتصدق بالباقي، خير من أن ألبس ثوباً مُثَمّناً، وأدع الفقير والمسكين.

---

(٥٥) منه نسخة خطية بمكتبة الأسد ـ دمشق ـ.

الاحتفال بالمولد
في المغرب الأقصى

لم يكن سلاطين المغرب الأقصى، يحتفلون بالمولد الشريف حتى جاء السلطان الشيخ أبو العباس أحمد المنصور العَزَفي صاحب «سَبتة» الذي تولّىٰ الملك في أواخر القرن العاشر الهجري، فسنّ لهم تلك السُّنّة الحميدة رحمه الله، فتبعه في ذلك ملوك القطرين: الأندلسي والمغربي، وعنوا بذلك كُلَّ العناية، واحتفلوا به أيما احتفال، ولم يكن يقع فيه منهم إغفال، وإن كان بعضهم خرج في ذلك إلى حَدِّ الإسراف.

قال القشتالي وزير السلطان أبي العباس في أوائل القرن الحادي عشر الهجري: كان ترتيب السلطان أحمد في الاحتفال بالمولد النبوي، إذا طلعت طلائع الربيع، صرفت الرقاع إلى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية من المؤذنين النعارين في الأسحار بالأذان، فيأتون من كل جهة، ويحشرون إليه من سائر حواضر المغرب. ثم يؤمر الشماعون بتطريز الشموع وإتقان صنعها، فيتبارىٰ في ذلك مهرة الشماعين - كما يتبارىٰ النَّحل - في نسج أشكالها لطفاً وإدماجاً، فيصوغون أنواعاً من الشموع تحير الناظر، ولا تذبل زهورها النواضر.

فإذا كان ليلة المولد النبوي، تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الحمّالون المحترفون لحمل خدود العرائس عند الزفاف، فيتزيّنون في أجمل شارة، وأحسن منظر، ويجتمع الناس من أطراف المدينة لرؤيتها، فيمكثون حتى يسكن حر الظهيرة، وتجنح الشمس للغروب، فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذارىٰ يَرفُلن في حُلَلِ الحسن، وهي عدد كثير كالنحل، فيتسلق الناس لرؤيتها، وتمتد الأعناق إليها، وتتبرج ذوات الخدور، وتتبعها الطبول

والأبواق من المعازف والملاهي، حتى تستوي على منصات معدات بها بالألوان الشريفة، فتصطف هنالك.

فإذا طلع الفجر، خرج السلطان فصلى بالناس، وقعد على أريكته، وعليه حلة البياض شعار الدولة، وأمامه تلك الشموع المختلفة الألوان: من بيض كالدُمىٰ، وحمر جليت في ملابس أرجوانية، وخضر سندسيّة، واستحضر القوم مَن أنواع المسك والمباخر، ما يدهش الجالس ويبهر الناظر.

ثم يدخل الناس أفواجاً على طبقاتهم، فإذا استقرّ بهم الجلوس، تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته وذكر مولده وإرضاعه، وما وقع في ذلك باختصار.

فإذا فرغ اندفع القوم في الأشعار المولديات، فإذا فرغوا تَقدّم أهل الذكر المزمزمون بكلام الشُّشْتَري، وكلام غيره من الصوفية، ويتخلّل ذلك نوبة المنشدين للبيتين، فإذا فرغوا من ذلك كله، قال الشعراء، فَيتقدّم قاضي الجماعة بلبل منابر الجمع والأعياد؛ قاسم بن علي الشاطبي، فينشد قصيدة، يستفتحها بالغزل والنسيب، ثم يتخلص لمدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له، ولولي عهده.

ثم يَتقدّم الإمام المفتي: أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الفلالي، فينشد قصيدته على ذلك المنوال، ثم يتلوه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي، ثم يتلوه الكاتب، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم القشتالي، ثم يليه الأديب أبو الحسن علي بن أحمد الهوزالي المعروف بالنابغة، ثم يليه الفقيه الأديب أبو الحسن علي بن أحمد المسنيوي. فإذا طوي بساط القصائد، نشر خوان الأطعمة والموائد، فيبدأ الأعيان على مراتبهم، ثم يأذن للناس فيدخلون جملة، فإذا انقضت أيام المولد الشريف، برزت صلات الشعراء على أقدارهم.

هكذا كان دأب السلطان في جميع الموالد، ولا يُحصىٰ ما يُوزع فيها من أنواع الإحسان على الناس.

وذكر صاحب «المسكية»: أنه حضر المولد الشريف في بلاد المغرب بعد قفوله من بلاد الترك، فقال: استدعىٰ المنصور الناس لإيوانه السعيد، واستدخلهم لقصره البديع، المحتوي على قباب عالية، وقد مهدت فيه فرش الحرير، وصفت النمارق، وتدلّت الأستار والكلل والحجال المخوصة بالذهب، على كل قبة وحنية سرير، ودار على الحيطان حيطيات الحرير التي هي كأزهار الخمائل، ما رؤيت قط في عهد الأوائل مرفوعة الجوانب على قواعد وأساطين من رخام مجزع، مطلية الرؤوس بالذهب الذائب، مفروش جلها بالمرمر الأبيض المخطّط بالسواد، يتخلّل ذلك ماء عذب، فيدخل الناس على طبقاتهم، ويأخذ كل منهم مرتبته، من قضاة وعلماء وصلحاء، ووزراء وقوّاد وكتاب، وأضياف وأجناد، حتى ليخيّل لكل واحد منهم أنّه في جنّة النعيم.

ويجلس السلطان في أفخر ملابسه، تعلوه الهيبة والوقار، وترمقه الأعين والأبصار، بالتعظيم والإكبار، ويجلس من عادته الجلوس، ويقف على رأس السلطان الوصائف والعلوج، وعليهم الأقبية والمناطق المدورة المشدودة المذهبة، والحزم الذهبية مما يدهش الناظر، وقد ركزت أمامه الشموع، وأذن لعامة الناس من أصناف القبائل، فدخلوا على أجناسهم من الأجناد والطلبة، وسكنت بعد حين الجلبة، وأتي بأنواع الطعام في القصاع المالقية والبلنسية المذهبة، والأواني التركية والهندية، وأتي بالطسوس والأباريق، وصب الماء على أيدي الناس، ونصبت مباخر العنبر والعود، وأبرزت صحائف الفضة والذهب، وأغصان الريحان الغضّ، فرش بها من ماء الورد والزهر ما يبقى منه الأثر، وتكلم المنشدون، وأحسن إليهم الأمير.

ثم ختموا المجلس بالدعاء للسلطان.

قال: فإذا كان يوم السابع، يكون ترتيب أبدع من الأول، وهكذا كانت سيرته دائماً[٥٦].

---

(٥٦) «نفح الأزهار في مولد المختار» تأليف الأستاذ الدكتور علي الجندي.

لا بأس بالحفلات لإظهار السرور

ـ قارئ يسأل: هل إقامة الحفلات عند ختم القرآن، أو عند المناسبات السارة كالنجاح والقدوم من السفر، يعتبر من الإسراف؟ أرجو التفصيل في هذا!

ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين: إقامة الحفلات عند قدوم الغائب أو عند النجاح، أو ما أشبه ذلك، لا بأس به ولا حرج فيه. الناس يفعلون هذا لا بقصد العبادة، ولكنهم يفعلون ذلك فرحاً وسروراً بما أنعم الله عليهم به من حصول مطلوبهم، فلا بأس بهذه الحفلات، لكن الذي يُخشَىٰ منه، أن يسرف فيها، إما بكثرة الطعام الذي يزيد على الحاجة كثيراً، وإما بكثرة المدعوّين بحيث يدعو المئات من الناس من أجل هذا الاحتفال.

فأغلب الظن: أنَّ الاحتفال بهذه المناسبة، أي بمناسبة الفرح، لا يعد تقرّباً لله، وإنما هو إظهار للفرح والسرور، لا بأس به، والله أعلم(٥٧).

(٥٧) المسلمون ـ السنة العاشرة ـ العدد ٥١٣ الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ ـ ٢ ديسمبر ـ ١٩٩٤م ومن الغريب العجيب إخراج الاحتفال بالمولد النبوي عن هذه الأحكام الاجتهادية.

رأي سماحة رئيس الهيئة في المولد النبوي

نشرت جريدة عكاظ مقابلة تلفونية مع رئيس هيئات الأمر بالمعروف الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقد سئل عدة أسئلة فأجاب عنها، ومن بينها سؤال عن المولد وهو: هل يجوز الاحتفال بالمولد النبوي؟

قال الشيخ: قبل كل شيء؛ ينبغي أن نعلم جميعاً أنَّ الدِّين هو ما شرّعه الله، وأنَّ أفضل الطرق طريقة محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يشر إلى عمل شيء مثل هذا في سُنّته الثابتة الصحيحة، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده لم يحتفلوا بالمولد، وعلى نهجهم التابعون وأئمة الإسلام في القرون المُفَضّلة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

وإنما حدث هذا في قرون متأخّرة، حيث ظهرت هذه البدعة المخالفة لما عليه السلف الصالح والصدر الأول من المسلمين. وأصحاب البدع وإن كانوا يزعمون أنَّ هذا خير وقربةٌ إلى الله، إلّا أنه باطل؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لا يعبد إلّا بما شرع على لسان رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

أمّا الاجتماع في يوم من أيام السنة، وليس بعود السنة، أو بعود الشهر، أو بعود الأسبوع لا بأس به، إذا لم يشتمل على منكرات ومحرمات، كما في الموالد التي تقام في بعض البلاد الإسلامية.

أما الاجتماع في يوم يعود بعود السنة، أو بعودة الشهر، أو بعودة الأسبوع فهذا يأخذ صفة العيد، وهذا ممنوع عند من يعتد بهم من سلف الأمة وأئمّتها الأعلام(٥٨).

---

(٥٨) جريدة عكاظ العدد ٧١٨٥ الأربعاء ١٠ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ.

وهذا الذي ذكره الشيخ الجليل، هو ما ندعو إليه وهو الذي نادي به ونَحُثُّ عليه، ولا تلتفت إلى ما يُشاع من التهم الباطلة والأقوال المكذوبة، وقد فصلنا هذه المسألة في أول الكتاب.

الاحتفال بالمولد النبوي

عبادة أم عادة

بقلم الأستاذ أحمد محمد جمال

وبهذه المناسبة دار بيني وبين صديق حبيب ـ من العلماء الأفاضل ـ حوار هادئ خلال رسالتين إحداهما منه والأخرى مني، بعد أن قرأ كتابي «خطوات على طريق الدعوة»، الذي ضمّ الحديث عن رحلاتي خلال أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا، وما حضرته من مؤتمرات وندوات علمية وفكرية، حيث قرأ فضيلته فصلاً عن زيارتي لكينيا، وما ذكرته من أني حضرت احتفالاً بالمولد النبوي، ولم أجد فيه شيئاً من البدع المنكرة، وإنما كان مجرد أحاديث عن سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وبعض المدائح المعتدلة لشخصه الكريم... إلخ.

فأنكر فضيلته ذلك، وَرأىٰ من جهة نظره: أنَّ الاحتفال بالمولد النبوي ذاته ممنوع، وأنّ الأصل في العبادة المنع والحظر، إلّا ما شرع الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

وقد عَقّبتُ عليه بالرسالة التالية بياناً لوجهة نظري في مسألة الاحتفال بالذكريات الإسلامية عامة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وأحمد الله إليكم، وأسأله لي ولكم مزيداً من التوفيق إلى الخير ـ وبعد...

فقد تلقيت رسالتكم الكريمة التي تفضلتم فيها بالتعقيب على كتابي «خطوات على طريق الدعوة»، وإني أشكركم شكراً جزيلاً على هذه النقدات

النافعة، وأستزيدكم منها في كل ما تقرؤون لي من كتب مُستقبلاً.

وكما طلبتم مني أن أفتح لكم صدري لملاحظتكم حول «المولد» أرجو أن تفتحوا لي صدركم أيضاً لشرح وجهة نظري في المسألة.

في البداية؛ لا بدّ من تقرير حقيقة علمية موضوعية، هي نقطة الانطلاق في دراسة القضية وبحثها، والخروج منها برأي سليم حكيم.

هذه الحقيقة العلمية الموضوعية هي: أنَّ إحياء الذكريات التاريخية الإسلامية، كمولد الرسول صلّى الله عليه وسلّم ـ وبعثته ـ وهجرته ـ ووفاته ـ وغزواته ـ وفتوحه وإسرائه ومعراجه، ليس عبادة... ولا علاقة له بالعقيدة بإطلاق، لأنه مجرد احتفال بذكر هذا الموقف التاريخي، أو تلك الحادثة التاريخية، وسرد بعض الأقوال والأفعال المأثورة عنها، من أجل تذكير المسلمين في القرون الأخيرة حيث نسي المسلمون رسولهم وهجروا قرآنهم، تذكيرهم بكتاب ربّهم، وسنّة رسولهم صلّى الله عليه وسلّم، لبعث الهمم والعزائم نحو الاقتداء بالرسول صلّى الله عليه وسلّم، والاهتداء بالقرآن الكريم.

وأرجو ـ بصدق ـ أن تتفكّر في حقيقة الاحتفال بإحدى الذكريات الإسلامية، ومنها المولد النبوي، ماذا فيها من عبادة أو سلوك يتّصل بالعقيدة؟ إنَّ الاحتفال يبدأ بتلاوة بعض آيات القرآن، ثم كلمة أو خطبة عن سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ثم تُلقىٰ بعض القصائد في مدحه عليه الصلاة والسلام، ويُصلّىٰ عليه خلال ذلك بالصلوات المشروعة.

أمّا ما يزعمه بعض العلماء المنكرين للاحتفال بالمولد النبوي من أنَّ هناك نساءً ورقصاً وغناءً وبدعاً ومنكرات خلال هذه الاحتفالات النبوية، فليس صحيحاً، ولا واقعاً في بلادنا، وربما كان يحدث نادراً في بعض البلاد العربية الأخرى، والنادر لا حكم له.

ولعلّ من مظاهر الاحتفال بالذكريات الإسلامية: ما يفعله بعض

خطباء المساجد في أوّل شهر ربيع الأول من كل عام، من تذكير الناس بمولد الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد استمعت ذات جمعة من ربيع الأول في سنة خالية إلى الشيخ عبد العزيز عبد الله آل الشيخ ـ خطيب وإمام الجامع الكبير بالرياض ـ، وهو يخطب مذكراً المصلين بسيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

ثم إنَّ الاحتفال بالذكريات الإسلامية النبويّة ضروري ـ كما أشرت آنفاً ـ لتذكير المسلمين الغافلين بالقرآن المهجور والسيرة النبوية المهملة... تماماً كما نذكرهم بحركة الشيخ محمد عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وقيام المرحوم الملك عبد العزيز بتوحيد المملكة العربية السعودية، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإحياء ذِكرىٰ كُلٍّ من الإمام والملك، ودعت الكُتَّابَ والمفكرين من العالمين العربي والإسلامي، ومن أوروبا وأمريكا، ليتحدّثوا في هاتين المناسبتين التاريخيتين العظيمتين. هذا إلى جانب الاحتفال السنوي باليوم الوطني... يوم تأسيس المملكة على يد المغفور له الملك عبد العزيز.

ويضاف إلى ذلك: أنَّ الاهتمام بالذكريات والاحتفاء بها، قد فعله الرسول صلّى الله عليه وسلّم نفسه، واعترف به حين سئل: لماذا يصوم الاثنين من كل أسبوع؟ فأجاب: «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل عَليَّ فيه»... أي هو يوم ميلاده ويوم مبعثه. كما أنّه أَيّدَ اليهود في صيام عاشوراء عندما ذكروا له أنه اليوم الذي أنجى الله فيه موسى من فرعون، وأغرق فرعون، ثم صامه صلّى الله عليه وسلّم وأمر بصيامه.

وحبّذا لو فكّر علماؤنا ـ المنكرون للاحتفال بالذكريات الإسلامية والنبوية ـ في حقيقة ذلك وواقعه، بعيداً عن التوهّم وسوء الظن بالمسلمين، والتسرّع في رميهم بالكفر والوثنية والشرك والابتداع.

... إذاً لأدركوا أنَّ الاحتفال بالذكريات الإسلامية لا علاقة له، ولا صلة بالعبادة ولا بالعقيدة، ولا تأثير له عليهما... فهؤلاء المحتفلون

بذكرى المولد، أو البعثة، أو الهجرة، أو الإسراء والمعراج، لا يعبدون محمداً، ولا يصلّون له، ولا يطرونه كما أطرت النصارى المسيح؛ إذ جعلوه ثالث ثلاثة... وإنما هو عندهم رسول الله وحبيبه، ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين...

كما أنهم ـ أي علماءنا المنكرين لإحياء الذكريات الإسلامية النبوية ـ لو تفهّموا حقيقة هذا الإحياء، لأعانوا على تنقية ما يشوب بعضه أحياناً من مبالغة أو غلوّ، بأسلوب التناصح والتعاون، لا بأسلوب التكفير والتشريك والتبديع المتبع الآن.

على أني شخصياً لا أدعو إلى مثل هذه الاحتفالات ولا أحضرها، لانشغالي بطلب العلم، والبحث والدراسة والتأليف. ولكني كطالب علم، وباحث في علوم القرآن والسنّة، وناظر في مراجع الفقه الإسلامي، لا أرى بأساً بإحياء الذكريات الإسلامية... كأسلوب تربوي أخلاقي.

أسأل الله أن يلهمنا جميعاً الرشد والسداد والتوفيق للعمل الصالح... آمين(٥٩).

موقف آخر للأستاذ أحمد محمد جمال

وفي المجلة ذاتها سئل عن الاحتفال بالمولد النبوي، فأجاب: الاحتفال بالمولد النبوي كغيره من الذكريات التاريخية الإسلامية من الهجرة ـ مثلاً ـ وغزوة بدر، والفتح، والإسراء والمعراج.. إلخ، إذا خلا من البدع السلوكية والاعتقادية، فهو تذكير بسيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأخلاقه الشريفة للعظة والاعتبار، ثم الاقتداء بسنّته الكريمة وسيرته العطرة... وهو ـ مثل الاحتفال بالذكريات الإسلامية الأخرى ـ تذكير بمواقفه التربوية والتعليمية والعسكرية، ومواقف أصحابه الأجلّاء الذين كانوا نجوماً تنير الطريق لدارسي سيرتهم رضي الله عنهم.

(٥٩) مجلة التضامن الإسلامي، العدد رمضان ١٤١١هـ.

ولكن ينبغي أن تخلو هذه الاحتفالات ـ كما أسلفنا ـ من البدع كالمغالاة في مدحه صلّى الله عليه وسلّم، والتوسّل المباشر به، أي توجيه الرجاء والاستشفاء إليه، وأشباه ذلك مما برّأه الله منه[٦٠].

(٦٠) مجلة التضامن الإسلامي، العدد شعبان ١٤١١هـ.

فصول

عن المولد الشريف

من السيرة النبوية

المسماة "سبل الهدى والرشاد"

للحافظ محمد بن يوسف الشامي

المتوفى ٩٤٢ هـ



تاريخ مولده صلّى الله عليه وسلّم ومكانه

وفيه فصلان، الأوّل: في بيان يومه، وشهره، وعامه.

الصواب: أنه صلّى الله عليه وسلّم وُلد يوم الاثنين. رَوىٰ الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود عن أبي قَتَادة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِلَ عن يوم الاثنين فقال: «ذاك يومٌ وُلِدت فيه، أو قال: أُنزل عَليَّ فيه»(٦١).

وَروىٰ يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وَرفَعَ الحجرَ الأسود يوم الاثنين.

وفي بعض الطرق عند ابن عساكر: وأُنزلت سورة المائِدة يوم الاثنين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قال ابن عساكر: المحفوظ أنَّ وقعة بدر ونزول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، يوم الجمعة.

وَروىٰ الزبير بن بكَّار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبوذ رحمه الله تعالىٰ قال: وُلِد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين حين طلع الفجر.

وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في «المورِد»: الصواب أنه صلّى الله

---

(٦١) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧، ومسند أحمد (٢/ ٢٠٠، ٢٣٠)، وسنن أبي داود (١/ ٢٤١) كتاب الصوم باب في صوم الدهر تطوّعاً.

عليه وسلّم ولد في النهار وهو الذي ذكره أهل السير. وحديث أبي قتادة مصرّح به. وَروىٰ الأربعة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ قال: ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند إبهار النهار، وجزم به ابن دِحْيَة، وصححه الزركشي رحمه الله تعالىٰ في «شرح البردة»، ولبعضهم في ذلك شعر:

يا ساعةً فتَح الهُدىٰ أرْفادها ... لُطْفاً وقد منح الجزا إسعادها
لاحتْ بشهر ربيع الزاكي الذي ... فاق الشهورَ جلالةً إذ سادَها
حيثُ النبوّة أشرقتْ بمآثرٍ ... كالشُّهب لا يُحْصي الورَى تَعْدادَها
حيث الأمانة والرسالة قد بدَتْ ... يُعْلي لمكة غَوْرها ونِجَادَها

قال ابن دِحْية رحمه الله تعالىٰ: وأما ما روي من تدلِّي النجوم فضعيف، لاقتضائه أنَّ الولادة كانت ليلاً.

قال الزركشي: وهذا لا يَصْلح أن يكون تعليلاً، فإنَّ زمان النبوّة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً.

شعر:

يا ساعةً نِلْنا السعادة والهنا ... فيها بخير العالمين محمدِ
تمَّت لنا أفراحُها بظُهوره ... وتكمَّلت في شهر مولد أحمدِ

غيره لبعضهم رحمه الله تعالىٰ:

توالَتْ أمورُ السَّعْد في خير ساعة ... بمولد خَيْر الرُّسْلِ في ساعة السعد
فيا طيب أوقاتٍ ويا طيب مَوْلدٍ ... ويا طيب مولود حَوى سائِر المجدِ

قال ابن كثير، والحافظ وغيرهما: ثم إنَّ الجمهور على أنَّ ذلك كان في شهر ربيع الأول(٦٢).

قال السهيلي: وهو المعروف. ونقل بعضهم فيه الإجماع.

---

(٦٢) السيرة النبوية لابن كثير (١/١٩٩).

يقول لنا لسانُ الحال منه وقولُ الحق يَعْذُب للسَّمِيعِ
فوَجْهي والزمانُ وشَهْر وَضْعي رَبيعٌ في ربيعٍ في ربيعِ

قال بعض أهل المعاني: كان مولده صلّى الله عليه وسلّم في فصل الربيع، وهو أعْدَل الفصول، ليله ونهاره معتدلان بين الحرّ والبرد، ونسِيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة، وشمسه معتدلة في العلوّ والهبوط، وقمره معتدل في أول درجة من الليالي البيض، وينعقد في سِلْك هذا النظام، ما هيَّأ الله تعالىٰ له صلّى الله عليه وسلّم من أسماء مُرَبِّيه، ففي الوالدة والقابلة الأَمْن والشِّفَاء، وفي اسم الحاضنة البرَكة والنّماء، وفي مرضعيه صلّى الله عليه وسلّم الآتي ذكرهما الثواب والحِلْم والسَّعد.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ: لاثنتي عشرة ليلة [خَلَتْ](٦٣) منه، ورواه ابن أبي شَيْبَة في «المصنَّف» عن جابر، وابن عباس.

قال في «الغُرَر»: وهو الذي عليه العمل. وقيل لليلتين خلتا منه، وقدمه في الإشارة، وقيل لثمان. ونقل أبو عمر عن أصحاب الزِّيج أنهم صححوه، ورجحه ابن دِحْيَة.

وقال الحافظ: إنه مقتضى أكثر الأخبار.

وقيل: لعَشْر. حكاه الدمياطي عن جعفر الباقر، وصححه.

وقيل: لسبع عشرة. وقيل: لثماني عشرة، وقيل: في أوله حين طلع الفجر.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ: عام الفيل. قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور.

وقال إبراهيم بن المنذر الحزَاميّ شيخ البخاري: وهو الذي لا يشكّ فيه أحد من العلماء. وبالغ خليفة بن خياط، وابن الجزَّار، وابن دِحْيَة، وابن الجَوْزي، وابن القيم فنقلوا فيه الإجماع.

---

(٦٣) من سيرة ابن هشام (١/١٥٨).

وَروىٰ البيهقي، والحاكمُ في «المُسْتدرك» وصححه وأقرّه الذهبيّ في مختصره، وصَحّحه في «تاريخه الكبير» عن يحيى بن مَعِين، عن حَجَّاج بن محمد، عن يُونُس بن أبي إسحاق عن أبيه، عن سَعِيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: وُلدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفيل[٦٤].

قال الحافظ في «شرح الدُّرَر»: والمحفوظ لفظ العام. وقيل: يطلق اليوم ويراد به مُطْلق الوقت، كما يقال: يوم الفتح، ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم، فيكون أخصّ من الأول.

وبذلك صرّح ابن حِبّان في «تاريخه»، فإنه قال: ولد عامَ الفيل، في اليوم الذي بعث الله فيه الطيرَ الأبابيلَ على أصحابِ الفيل. قال: ثم وَجدتُ الحديثَ عن ابن مسعود، عن يحيى بن مَعِين بسنده المذكور قال: ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ الفيل، يعني عام الفيل.

ورَوىٰ ابن إسحاق وأبو نُعَيْم والبيهقي عن المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة، عن أبيه، عن جدّه قال: وُلِدْت أنا ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل، كنا لِدَيْنِ[٦٥].

وسأل عثمانُ بن عفان قُباثَ بن أشْيَمَ الكِنَانِي ثم اللَّيْثي: يا قُبَاث أنت أكبر أمْ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكبر مني، وأنا أسنُّ منه. ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل، ووقفتْ بي أُمي على خَذْق الفيل أخضرَ مُحِيلاً[٦٦].

---

(٦٤) المستدرك للحاكم (٢/٦٠٣) وقال: تفرد حميد بن الربيع بهذه اللفظة (أي يوم) في هذا الحديث ولم يتابع عليه. كما أورد الحاكم قبل هذه الرواية الرواية الصحيحة: عام الفيل.

(٦٥) الخبر في «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٠١)، وسيرة ابن هشام (١/١٥٩).

(٦٦) دلائل النبوة لأبي نعيم (١٠٠). والخذق: الروث.

مَخْرمة: بفتح الميم وإسكان الخاء المعجمة. ومات على دينه.

لِدَيْن: قال أبو ذرّ المشهور فيه: لِدَتَيْن بالتاء، يقال: فلان لِدَة فلان، إذا ولد معه في وقت واحد.

قال الجوهري: لِدةُ الرجل تِرْبه، والهاء عِوَض عن الواو الذاهبة منه، لأنّه من الولادة. وهما لِدَان والجمع لِدَات ولِدُون.

التِّرْب: بكسْر التاء المثناة الفوقية وإسكان الراء وبالموحدة: مَن وِلِد معك.

قُبَاث: بضم القاف ويقال بفتحها، قال الحافظ: وهو المشهور، ثم موحدة خفيفة ثم مثلثة.

ابن أشْيَمَ: بمعجمة وتحتانية، وزان أحْمد.

وعلى هذا فقيل: بعد الفيل بخمسين يوماً. قال ابن كثير: وهو أشهر. وصححه المسعودي والسهيلي. وزاد أنه الأشهر والأكثر، وقيل: بزيادة خمس.

وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارِزْميّ رحمه الله تعالىٰ: أنَّ قدوم أصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقد قال ذلك غيره، وزاد يوم الأحد، وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.

وَروىٰ ابنُ سعد، وابنُ عساكر عن أبي جَعْفَر الباقر رحمه الله تعالىٰ قال: كان قُدومُ أصحاب الفيل في النصف من المحرم، ومولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعده بخمس وخمسين ليلة(٦٧). وصحح الحافظ الدمياطي هذا القول. وقيل: بأربعين يوماً. وقيل: بشهر وستة أيام. وقيل: بعشر سنين. وقيل: بثلاثين عاماً. وقيل: بأربعين عاماً. وقيل: بسبعين عاماً.

---

(٦٧) طبقات ابن سعد (١/ ٦٢) [القسم الأول].

وقيل: لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل.

وقيل: في صفر. وقيل: في ربيع الآخر. وقيل: في المحرّم لخمس بقين منه. وقيل: في عاشوراء.

قال السهيلي رحمه الله تعالىٰ: أهلُ الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسيّة نيسان، وكان لعشرين مضت منه(٦٨).

وقال الذهبيّ في «تاريخ الإسلام»: نظرت في أن يكون صلّى الله عليه وسلّم ولد في ربيع، وأن يكون ذلك في العشرين من نيسان، فرأيته بعيداً من الحساب، يستحيل أن يكون مولده في نيسان، إلّا أن يكون مولده في رمضان.

وقال الإمام أبو الحسن الماوردي رحمه الله تعالىٰ: وافق شهر ربيع من شهور الروم العشرين من شباط. انتهى.

ويقال: شباط بالإعجام والإهمال.

قال الدِّمياطي رحمه الله تعالىٰ: في بُرْج الحمل.

قال في «النُّور»: وهذا يحتمل أن يكون في أوائل نيسان، وأن يكون في آذار. ثم قال السُّهيلي: وولد بالغفر من المنازل، وهو مولد النبيّين، ولذا قيل:

خير منزلتين كانت في الأبد هو ما بين الزباني والأسد

لأنَّ الغفر يليه من العقرب زبانيها، ولا ضرر في الزبانين، إنما تضرّ العقرب بذنبها، ويليه من الأسد ألْيته، وهو السماك، والأسد لا يضرّ بألْيَته، وإنما يضر بمخْلبه ونابه.

---

(٦٨) الروض (١/ ١٠٧) ونصه: فكانت لعشرين... إلخ.

وقال ابن دِحْية: أظن السهيلي نسي السنبلة، وظنَّ أنَّ السماك من الأسد.

قال أبو عبد الله ابن الحاجّ رحمه الله تعالىٰ في «المَدْخَل»: فإن قال قائل: ما الحكمة في كونه صلّى الله عليه وسلّم خُصَّ مولده بشهر ربيع، وبيوم الاثنين على الصحيح المشهور عند أكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، واختصّ بفضائل عدة، ولا في الأشهر الحُرُم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السمٰوات والأرض، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة، ولا في ليلتها؟

فالجواب من أربعة أوجه:

الأول: ما ورد في الحديث من أنَّ الله تعالىٰ خلق الشجر يوم الاثنين(٦٩). وفي ذلك تنبيه عظيم، وهو أنَّ خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتدّ بها بنو آدم ويَحْيَوْن ويتداوَوْن، وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم، وتَسْكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل ما يُبقي حياتهم، على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه وتعالىٰ. فوجوده صلّى الله عليه وسلّم في هذا الشهر في هذا اليوم، قُرَّة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأُمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

الوجه الثاني: أنَّ ظهوره صلّى الله عليه وسلّم في شهر ربيع، فيه إشارة ظاهرة لمن تفطَّن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع، إذ إنَّ فيه تفاؤلاً حسناً وبشارة لأمّته صلّى الله عليه وسلّم.

وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمٰن الصِّقلي رحمه الله تعالىٰ: لكل إنسان من اسمه نصيب. هذا في الأشخاص، وكذلك في غيرها، وإذا كان كذلك، ففَصْل الربيع فيه تنشقُّ الأرض عمّا في باطنها من نِعَم المولى

(٦٩) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧).

سبحانه وتعالىٰ وأرزاقه، التي بها قوام العِبَاد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أحوالهم، فتنفلق الحبة والنوى وأنواع النبات والأقوات المقدّرة فيها، فتُبْهج الناظرَ عند رؤيتها وتبشِّره بلسان حالها بقدوم يَنْعها. وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ، ألا ترىٰ أنك إذا دخلت إلى البستان في مثل هذه الأيام تنظر إليه كأنه يضحك لك، وتجد زَهْره كأن لسان حاله يُخْبِركَ بما لك من الأرزاق المدَّخرة والفواكه، وكذلك الأرض إذا أبهج نوّارها، كأنه يحدثك بلسان حاله كذلك أيضاً.

فمولده صلّى الله عليه وسلّم في شهر ربيع، فيه من الإشارات ما تقدَّم ذكر بعضه، وذلك إشارة ظاهرة من المولى تبارك وتعالىٰ إلى التنويه بعظيم قَدْر هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وأنه رحمة للعالمين، وبُشْرىٰ للمؤمنين، وحماية لهم من المهالك والمخاوف في الدارَيْنِ، وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم لأجله صلّى الله عليه وسلّم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فوقعت البركات وإدرار الأرزاق والأقوات، ومن أعظمها منَّته على عباده لهدايته عليه الصلاة والسلام لهم إلى صراط الله المستقيم.

الوجه الثالث: ما في شريعته صلّى الله عليه وسلّم من شبه الحال، ألا ترىٰ أنَّ فصل الربيع أعْدَل الفصول وأحسنها، إذ ليس فيه بَرْد مُزْعج ولا حَرّ مُقْلق، وليس في ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل، وفصله سالم من العلل والأمراض والعوارض، التي يتوقّعها الناس في أبدانهم في زمان الخريف، بل الناس فيه تنتعش قُوَاهم، وتنصلح أمزجتهم وتنشرح صدورهم؛ لأن الأبدان يُدْركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النباتَ حين خروجه، إذ منها خلقوا، فيطيب ليلهم للقيام ونهارهم للصيام، لما تقدم من اعتداله في الطول والقصر، والحرّ والبرد، فكان في ذلك شبه الحال بالشريعة السَّمْحة التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه، من رفع الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا.

الوجه الرابع: أنه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالىٰ أنه صلّى الله عليه وسلّم تتشرف به الأزمنة والأمكنة، لا هو يتشرف بها، بل يحصل للزمان أو المكان الذي يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزيّة على ما سِوَاه من جنسه، إلّا ما استثنىٰ من ذلك لأجل زيادة الأعمال فيها وغير ذلك، فلو ولد صلّى الله عليه وسلّم في الأوقات المتقدم ذكرها، لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها، فجعل الحكيم جلّ جلاله مولده صلّى الله عليه وسلّم في غيرها ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالىٰ وكرامته عليه.

الفصل الثاني: في مكانه، اختلف: هل ولد بمكة أو غيرها؟ والصحيح الذي عليه الجمهور، هو الأول.

وعليه؛ فاختلف في مكانه من مكّة على أقوال:

أحدها: في الدار التي في الزقاق المعروف بزقاق المولد في شِعْبٍ مشهور بِشِعْبِ بني هاشم، وكانت بيد عقيل.

قال ابن الأثير رحمه الله تعالىٰ: قيل إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهَبها عقيلَ بن أبي طالب، فلم تزل بيده حتى تُوفي عنها، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج، وقيل: إنَّ عقيلاً باعها بعد الهجرة تبعاً لقريش حين باعوا دور المهاجرين.

الثاني: أنه صلّى الله عليه وسلّم ولد في شِعْب بني هاشم، حكاه الزبير.

الثالث: أنه ولد صلّى الله عليه وسلّم بالرَّدْم.

الرابع: بعُسْفان.

إخبار الأحبار وغيرهم بليلة ولادته صلّى الله عليه وسلّم:

رَوىٰ أبو نعيم، والبيهقي عن حسان بن ثابت رضي الله تعالىٰ عنه قال: إني لغلام يَفَعة ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودي

يصرخ ذات غداة على أُطمه: يا معشر يهود! فاجتمعوا إليه وأنا أسمع. قالوا: ويلك ما بك؟ قال: طلع نجمُ أحمد الذي ولد به في هذه الليلة[(٧٠)].

يَفَعة: بفتح الفاء والعين، أي شاب. أُطمه: بالإضافة للضمير والأُطُم بضم الهمزة والطاء المهملة: الحِصْن، ويروى على أُطمة بتاء تأنيث على معنى البُقْعة.

وَروىٰ ابن سعد، والحاكم، وأبو نُعَيْم بسند حسن في «الفتح» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة يَتجرُ بها، فلما كانت تلك الليلة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: والله ما نعلمه.

قال: احفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبيّ هذه الأُمّة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات، كأنهن عُرْفُ فرس، لا يرضع ليلتين.

فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجّبون من قوله، فلما صاروا إلى منازلهم، أخبر كلُّ إنسان منهم أهلَه، فقالوا: لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سمّوه محمداً. فالتقىٰ القوم حتى جاءوا اليهوديَّ، فأخبروه الخبر.

قال: اذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا حتى أدخلوه على آمنة، فقالوا: أخرجي إلينا ابنك. فأخرجته وكشفوا له عن ظهره، فرأى تلك الشامة، فوقع مغشيًّا عليه. فلما أفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: والله ذهبت النبوّة من بني إسرائيل، أفرحتم به يا معشر قريش، والله ليسطونَّ بكم سطوةً يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب[(٧١)].

---

(٧٠) دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٣٦).

(٧١) طبقات ابن سعد (١/ ١٠٦) [القسم الأول]، والوفا (١/ ٥٠)، متواترت: أي متتابعات، أو متفرقات.

وَروىٰ ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: كانت يهود قريظة والنَّضِير وفدَك وخيبر يجدون صفة رسول الله قبل أن يُبعث، وأن دار هجرته المدينة. فلما ولد قالت أحبار يهود: ولد الليلة أحمد، هذا الكوكب قد طلع. فلما تنبَّأ قالوا: تنبَّأ أحمد. كانوا يعرفون ذلك ويقرُّون به ويَصِفونه، إلَّا الحسد والبغي(٧٢).

وَروىٰ أبو نعيم، وابن عساكر من طريق المسيب بن شريك، عن محمد بن شريك، عن شعيب بن شعيب، عن أبيه عن جدّه، قال: كان بمرّ الظَّهران راهب من أهل الشام يُدعىٰ: عيص، وكان قد آتاه الله علماً كثيراً، وكان يلزم صومعةً له ويدخل مكة، فيلقىٰ الناس ويقول: يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكّة، تدين له العرب ويملك العَجم، هذا زمانه، فمن أدركه واتّبعه، أصاب حاجته، ومن أدركه وخالفه، أخطأ حاجته، وبالله ما تركت أرضَ الخمرِ والخميرِ والأمن، وحَلَلْتُ أرضَ البؤس والجوع والخوف، إلّا في طلبه. فكان لا يولد بمكة مولود إلّا يسأل عنه فيقول: ما جاء بعد.

فلما كان صبيحة اليوم الذي وُلِد فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، خرج عبدُ المطلب(٧٣) حتى أتىٰ عيصَ، فوقف على أصل صومعته، فناداه فقال: من هذا؟ فقال: أنا عبد المطلب. فأشرف عليه فقال: كُنْ أباه، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أُحدّثكم عنه يوم الاثنين، ويبعث يوم الاثنين، وإنَّ نجمه طلع البارحة، وآية ذلك أنه الآن وجع، فيشتكي ثلاثاً ثم يُعافىٰ، فاحفظ لسانك، فإنه لم يُحسد حسده أحد، ولم يُبْغ على أحد كما يُبْغَى عليه.

---

(٧٢) من طبقات ابن سعد (١/ ١٠٤) [القسم الأول].

(٧٣) كذا بالأصل موافقاً للخصائص (١/ ١٢٥). وفي تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٥٤) وسيرة ابن كثير (١/ ٢٢٢) وخرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاً فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا عيصاه، فناداه: من هذا؟ فقال: أنا عبد الله فأشرف عليه فقال: كن أباه.

قال: فما عمره؟ قال: إن طال عمره لم يبلغ السبعين، يموت في وترٍ دونها في الستين في إحدى وستين، أو ثلاث وستين(٧٤).

وضعه صلّى الله عليه وسلّم والنور الذي خرج معه وتدلِّي النجوم له ونزوله ساجداً على الأرض بيديه وما رأته قابِلَتُه الشَّفَّاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما من الآيات

عن أبي العَجْفاء رحمه الله تعالىٰ مرسلاً قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «رأت أمّي حين وضعتْني، سطعَ منها نورٌ فضاءت له قصورُ بُصْرى».

رواه ابن سعد، ورجاله ثقات(٧٥).

بُصْرىٰ: ـ بباء موحدة مضمومة فصاد مهملة ساكنة فألف مقصورة ـ والمراد بها هنا بلد بالشام من أعمال دمشق. قالت في «المِسْكة الفائحة»: وفي تخصيص بصرىٰ لطيفة، وهي أنها أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمديّ، وكذلك هي أول ما افتُتح من بلاد الشام.

وبُصْرى أيضاً، من قرى بغداد.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالىٰ عنه قال: حدّثتني أُمِّي أنها شهدت ولادةَ آمنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة ولدته، قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلّا نوراً، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو، حتى إني لأقول: ليقعن عليّ. فلما وضعته، خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلّا نوراً(٧٦).

---

(٧٤) سيرة ابن كثير (١/ ٢٢٢)، وفيها زيادات كثيرة. وتاريخ ابن عساكر (١/ ٣٥٤) كذلك. والخصائص (١/ ١٢٥) قال ابن كثير: وفيه غرابة.

(٧٥) الطبقات (١/ ٦٣) [القسم الأول].

(٧٦) الوفا (١/ ٩٤).

وعن العِرْباض بن سارية رضي الله تعالىٰ عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إني عند الله لخاتم النبيّين» الحديث، وفيه: «رؤيا أمِّي التي رأت وكذلك أمَّهات النبيّين يرَيْن»، وإن أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام.

رواه(٧٧) الإمام أحمد، والبزار، والحاكم، وابن حبان وصححاه.

وَروىٰ ابن حبان عن حليمة رضي الله تعالىٰ عنها، عن آمنة أُمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنها قالت: إن لابني هذا لَشَأْناً، إني حملت به، فلم أجد حَمْلاً قط كان أخفَّ عليّ ولا أعظم بركة منه، ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته، أضاءت له أعناقُ الإبل ببُصْرى، ثم وضعتُه فما وقع كما تقع الصبيان، وقع واضعاً يديه بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء.

وَروىٰ ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما أن آمنة قالت: لما فصَل منّي ابني محمد صلّى الله عليه وسلّم، خرج منه نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب.

وَروىَ ابن أبي حاتم عن عِكْرمة رحمه الله تعالىٰ قال: لما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أشرقت الأرض نوراً.

وَروىٰ الإمام أحمد وابن سعد بسند حسن عن أبي أُمامة رضي الله تعالىٰ عنه قلت: يا رسول الله! ما كان بَدْء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرى عيسى ابن مريم، ورأت أُمِّي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٧٨).

وَروىٰ ابن سعد عن محمد بن عمر الأسلمي بأسانيد له متعدّدة عن

(٧٧) مسند أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨).

(٧٨) مسند أحمد (٥/ ٢٦٢)، وطبقات ابن سعد (١/ ٩٦) [القسم الأول].

آمنة، أنها قالت: لما وضعتُه، خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع جاثياً على ركبتيه معتمداً على الأرض بيديه، ثم أخذ قبضة من تراب وقبضها، ورفع رأسه إلى السماء، وأضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناقَ الإبل ببُصْرَى.

وإنما أضاءت قصور بُصرى بالنور الذي خرج منه، إشارةً إلى ما خصَّ الشامَ من نبوّته صلّى الله عليه وسلّم، فإنها دار مجده ومُلْكِهِ، كما ذكره كعب أن في الكتب السابقة: محمد رسول الله، مولده بمكة ومهاجَره بِيَثْرِب، ومُلكه بالشام.

وقد وردت أحاديث في فضل الشام، ذكر بعضها الحافظ المُنْذِريّ في كتاب «الترغيب والترهيب». وقال بعضهم: أضاءت قصور بُصرى، إشارة إلى أنه صلّى الله عليه وسلّم ينوّر البصائر ويُحْيِي القلوبَ الميتة.

وفي خروج هذا النور معه صلّى الله عليه وسلّم حين وضعته، إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهلُ الأرض، وزال به ظُلْمة الشرك منها؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

قال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالىٰ: وقد كان هذا النور الذي ظهر وقت ولادته صلّى الله عليه وسلّم قد اشتهر في قريش، وكثر ذكره فيهم، وإلى ذلك أشار عمّه العباس رضي الله تعالىٰ عنه في أبياته السابقة، حيث قال في حقه صلّى الله عليه وسلّم وزاده شرفاً وفضلاً:

وأنت لما وُلِدْتَ أشرقت الـ ... أرضُ وضاءَتْ بنورك الأُفق
فنحن في ذلك الضِّياءِ وفي النُّو ... رِ وسُبل الرشادِ نَخْترقُ

ويرحم الله تعالىٰ القائل:

لـمـا استـهـلَّ الـمـصـطـفـى طـالـعـاً أضـاء الـفـضَـا مـن نُـوره الـسـاطـعِ
وعـطَّـر الـكـونَ شـذَى عِـطْـره الـ طَـيـب مـن دانٍ ومـن شـاسـع
ونـادت الأكـوانُ مِـنْ فَـرْحـة يـا مَـرْحـبـاً بـالـقَـمـر الـطـالـعِ

وَروىٰ ابن سعد عن موسى بن عبيدة رحمه الله تعالىٰ، عن أخيه قال: لما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوقع على الأرض، وقع على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، وقبض قبضة من تراب، فبلغ ذلك رجلاً من لِهْب فقال لصاحبه: انْجُه، لئن صدَق الفأل؛ لَيَغْلبنَّ هذا المولودُ أهلَ الأرض(٧٩).

وَروىٰ ابن سعد، وأبو نُعَيْم بسند قوي عن حسّان بن عطية رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا وُلِد وقع على كفّيه وركبتيه، شاخصاً ببصره إلى السماء(٨٠).

زاد السُّهَيْلي: مقبوضة أصابع يده(٨١) مشيراً بالسَّبَّابة، كالمسبِّح بها.

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الجَوْجَرِيّ رحمه الله تعالىٰ: وفي رَفْع بصره صلّى الله عليه وسلّم في تلك الحال، إشارة وإيماء إلى ارتفاع شأنه وعلوّ قدره، وأنه يَسُود الخلقَ أجمعين، وكان هذا من آياته صلّى الله عليه وسلّم، وهو أنه أوّل فِعْلٍ وُجد منه في أوّل ولادته، وفيه إشارة وإيماء لمن له تأمّل إلى أن جميع ما يقع له من حين يولَد إلىٰ حين يُقبض صلّى الله عليه وسلّم ما يدلّ عليه العقل، فإنه صلّى الله عليه وسلّم لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحين، عَلِيَّ الشأْن على المخلوقات.

وفي رَفْعه صلّى الله عليه وسلّم رأسه إشارة وإيماء إلى كل سؤدد، وأنه

---

(٧٩) طبقات ابن سعد (١/ ٩٧) [القسم الأول].
(٨٠) طبقات ابن سعد (١/ ٦٤) [القسم الأول].
(٨١) الروض (١/ ١٠٥) وعبارته: أصابع يديه.

لا يتوجّه قصده إلّا إلى جهات العلوّ، دون غيرها مما لا يناسب قَصْده.

وَروىٰ ابن الجَوْزي في «الوفا» عن أبي الحسين بن البَرَاء ـ مُرْسَلاً ـ رحمه الله تعالىٰ قال: قالت آمنة: وجدته[٨٢] جاثياً على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قَبض قبضةً من الأرض وأهْوَى ساجداً[٨٣].

قال بعض أهل الإشارات: لما ولد عيسى صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٣٠]، فأخبر عن نفسه بالعبودية والرسالة، ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وضع ساجداً، وخرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وقبض قبضة من تراب ورفع رأسه إلى السماء، فكانت عبودية عيسى عليه السلام المقال، وعبودية محمد صلّى الله عليه وسلّم الفِعَال، ورسالة عيسى عليه السلام بالإخبار، ورسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم بظهور الأنوار.

وفي سجوده صلّى الله عليه وسلّم عند وضعه، إشارة إلى أن مبدأ أمره على القُرْب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد»، فحال عيسى عليه الصلاة والسلام يشير إلى مقام العبودية، وحال محمد صلّى الله عليه وسلّم يشير إلى مقام القُرْب من الحضرة الإلٰهيّة. ولبعضهم:

لك القُرْب من مَوْلاك يا أشْرَف الورَى ... وأنت لكلِّ المرسَلين خِتامُ
وأنت لنا يومَ القيامة شافعٌ ... وأنت لكلِّ الأنبياءِ إمامُ
عليك من اللَّه الكريم تحية ... مباركة مقبولة وسلامُ

وَروىٰ أبو نُعَيْم عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالىٰ عنه، عن أُمّه الشَّفَّاء بنت عمرو بن عوف رضي الله تعالىٰ عنها قالت: لما ولدت آمنة

---

(٨٢) ولدته.

(٨٣) الوفا (١/ ٩٥).

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقع على يدي فاستهلَّ، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، أو رحمك ربك، فأضاء ما بين المشرِق والمغرب حتى إني نظرت إلى بعض قصور الروم.

قالت: ثم ألبسته وأضجعتُه، فلم أنشب أن غشيتني ظُلمة ورُعْبٌ وقشعريرة عن يميني، فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبتَ به.

قال: إلى المغرب وأسفر عني ذلك.

ثم عاودني ذلك الرُّعْبُ والقُشَعرِيرةُ عن يساري، فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبتَ به؟ قال: إلى المشرق.

قالت: فلم يزل الحديث مني على بال، حتى بعثه الله تعالىٰ(٨٤).

---

(٨٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٩٣).

تنبيهاتٌ

الأول: قال الشيخ رحمه الله تعالىٰ في «فتاويه»: لم أقف في شيء من الأحاديث مصرِّحاً على أنه صلّى الله عليه وسلّم لمّا وُلِدَ عطس، بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانّها كالطبقات لابن سعد، والدلائل للبيهقي، ولأبي نعيم، وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه، وكالمستدرك للحاكم.

وإنما الحديث الذي روته الشفَّاء أُمّ عبد الرحمٰن بن عوف، يعني السابق آخر الباب، فيه لفظ يشبه التشميت. لكن لم يصرح فيه بالعطاس، والمعروف في اللغة: أن الاستهلال صياح المولود أوّل ما يولد، فإن أُريد به هنا العطاس، فيحتمل. وحَمْل القائل على المَلك ظاهر.

وقال العلامة شمس الدين الجَوْجَرِيّ رحمه الله تعالىٰ في «شرح الهمزية»: الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أوّل ما يولد، إلّا أن حمله على العطاس هنا قريب، كحمل القائل على المَلَك.

الثاني: جرت عادة كثيرة من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه صلّى الله عليه وسلّم، أن يقوموا تعظيماً له صلّى الله عليه وسلّم، وهذا القيام بِدْعة لا أصل لها، وقال ذو المحبة الصادقة حسَّان زمانه أبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرْصري[٨٥] رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه في قصيدة له من «ديوانه»:

---

(٨٥) الصرصري: يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، أبو زكريا جمال الدين، شاعر ضرير من أهل بغداد، وأكثر شعره في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وقد قتل يوم دخول التتار بغداد سنة ٦٣٦هـ. ترجمته في البداية والنهاية (١٣/ ٢١١)، والنجوم الزاهرة (٧/٦٦)، وكشف الظنون (١٣٤٠).

قليلٌ لمدح المصطفى الخطُّ بالذهبْ على فضة من خط أحسن من كتَبْ
وأن ينهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جِثِيًّا على الرُّكَبْ
أمَا اللَّهُ تعظيماً له كتبَ اسمَه على عرشه يا رتبةً سَمتِ الرُّتَبْ

واتّفق أن منشداً أنشد هذه القصيدة في ختم درس شيخ الإسلام الحافظ تقي الدين السبكي، والقضاةُ والأعيان بين يديه، فلما وصل المنشد إلى قوله:

وأن ينهض الأشراف عند سماعه. . .

إلى آخر البيت.

قام الشيخ للحال قائماً على قدميه امتثالاً لما ذكره الصَّرْصَري، وحصل للناس ساعَة طيِّبة. ذكَر ذلك ولده شيخ الإسلام أبو النصر عبد الوهاب في ترجمته من «الطبقات الكبرى».

الثالث: اشتهر على بعض الألسنة عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ولدت في زمن الملِك العادل.

قال الحافظ: إنه كذب باطل لا أصل له.

وقال الشيخ الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالىٰ في «اللآلئ»: رَوىٰ الحافظ السَّمْعَاني عن أبي بكر الحِيريّ رحمه الله تعالىٰ، قال: حَكىٰ لي شيخ من الصالحين، أنه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام قال: فقلت له: يا رسول الله، بلغني أنك قلت: ولدت في زمن الملك العادل، وإني سألت الحاكم أبا عبد الله الحافظ عن هذا، فقال: كَذِب، لم يقله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: صدَق أبو عبد الله.

وقال الحليميّ رحمه الله تعالىٰ في «الشُّعَب»: هذا الحديث لا يصح، وإن صحَّ فإطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذي كان يُدْعَىٰ به، لا لِوَصْفه بالعدل والشهامة له بذلك، أو وصفه بذلك بناء على اعتقاد الفُرْس فيه أنه

كان عادلاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ [هود: ١٠١]، أي ما كان عندهم آلهة، ولا يجوز أن يسمِّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يحكم بغير حُكْم الله، عادلاً.

وقال الشيخ رحمه الله تعالىٰ في «الدُّرَر»: قال البيهقي في «الشُّعب»: تكلم شيخنا أبو عبد الله ـ يعني الحاكم ـ، في بطلان ما يرويه بعض الجهلة عن نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: «ولدت في زمن الملك العادل»، يعني كسرى أنوشروان. ثم رأى بعض الصالحين في المنام رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فحكى له ما قال أبو عبد الله، فصدَّقه، وقال: ما قلته قط.

وقال صاحب «المقاصد»: وأمّا ما يحكى عن الشيخ أبي عمر بن قُدَامة المقدِسيّ رحمه الله تعالىٰ، مما أورده ابن رجب في ترجمته من «طبقاته» أنه قال: جاء في الحديث أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «وُلِدْت في زمن الملِك العادل كسرى»، فلا يصحّ لانقطاع سنده، وإن صح، فلعلّ الناقل للحكاية لم يضبط لفظَ الشيخ، وإن ضبط الحكاية والله أعلم.

انفلاق البُرمة حين وضِع صلّى الله عليه وسلّم تحتها

روى أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: كان في عهد الجاهلية، إذا ولد لهم مولود من تحت الليل، وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا. فلما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرَحوه تحت بُرْمة، فلما أصبحوا أتَوْا البُرْمة، فإذا هي قد انفلقت اثنتين وعيناه صلّى الله عليه وسلّم إلى السماء، فعجبوا من ذلك(٨٦).

وَروىٰ ابن سعد بسندٍ رجاله ثقات أثبات، عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ ـ مرسلاً ـ: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما وضعته أُمّه وضعته تحت

(٨٦) ليس في دلائل النبوة المطبوع إلا إشارة لانفلاق البرمة. ولم ترد فيه هذه الرواية بنصها. انظر دلائل النبوّة لأبي نعيم (٩٦) والوفا (١/ ٩٥).

بُرْمة، فانفلقت عنه، قالت: فنَظرتُ إليه، فإذا هو قد شقّ بصره ينظر إلى السماء(٨٧).

وَروىٰ البيهقي عن أبي الحسن التنوخي رحمه الله تعالىٰ قال: كان المولود إذا ولد في قريش، دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح، فكفأُن عليه بُرْمة، فلما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دُفع إلى نسوة فكفَأْنَ عليه بُرْمة، فلما أصبحن، أَتَيْنَ فوُجِدَتِ البُرْمة قد انفلقت عنه باثنتين، فوجدنه مفتوح العين شاخصاً ببصره إلى السماء.

فأتاهنّ عبد المطلب فقلن: ما رأينا مولوداً مثله، ووجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحاً عينه شاخصاً ببصره إلى السماء.

فقال: احفظنه، فإني أرجو أن يصيب خيراً.

وَروىٰ ابن الجوزي عن أبي الحسين بن البَراء ـ مرسلاً ـ رحمه الله تعالىٰ، عن آمنة أنها قالت: وضعت عليه إناء، فوجدته قد انفلق الإناء عنه وهو يمصّ إبهامه يَشْخَبُ لبناً(٨٨).

قال بعض أهل الإشارات: في انفلاق البُرْمة عنه صلّى الله عليه وسلّم إشارة إلى ظهور أمره وانتشاره، وأنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها.

يَشْخَب: بشين فخاء معجمتين، أي يسيل.

ولادته صلّى الله عليه وسلّم مختوناً مقطوع السُّرة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من كَرامتي على ربِّي، أني ولدتُ مَخْتوناً، ولم يرَ أحد سَوْأَتي»(٨٩).

(٨٧) طبقات ابن سعد (١/ ٦٣) [القسم الأول].
(٨٨) الوفا (١/ ٩٥).
(٨٩) الوفا (١/ ٩٧).

رواه: الطبراني، وأبو نُعَيْم، وابن عساكر من طُرُقٍ.

قال في «الزهر»: سنده جيد، انتهى. وصححه الحافظ ضياء الدين المقدسي، وروي من حديث العباس بن عبد المطلب، رواه ابن سعد، وحسَّن مغلطاي سنده في كتابه «دلائل النبوّة»، ومن حديث ابنه عبد الله رواه ابن عَديّ، وابن عساكر، ومن حديث أبي هريرة رواه ابن عساكر أيضاً، ومن حديث أنس رواه أبو نعيم. قال مغلطاي في «دلائله»: بسند جيد، ومن حديث ابن عمر رواه ابن عساكر.

وقد جزم ـ بأنه صلّى الله عليه وسلّم وُلِد مختوناً ـ جماعةٌ من العلماء، منهم هشام بن محمد بن السائب في كتاب «الجامع»، وابن حبيب في «المحبَّر»، وابن دُرَيْد في «الوِشَاح»، وابن الجَوْزي في «العلل» و«التلقيح». وقال الحاكم في «المستدرك»: تواترت الأخبار بأنه صلّى الله عليه وسلّم ولد مختوناً، وتعقبه الذهبي فقال: ما أعلم صحة ذلك، فكيف يكون متواتراً.

وأُجيب باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار، اشتهارها وكثرتها في السِّيرة، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث.

وقيل: إنَّ جبريل ختنه صلّى الله عليه وسلّم حين شق صدره، رواه الخطيب عن أبي بكرة موقوفاً، ولا يصح سنده. وقال الذهبي: إنه خبر منكر.

وقال الذهبي: إنَّ جده صلّى الله عليه وسلّم ختنه على عادة العرب، ورواه أبو عمر، قال الحافظ أبو الفضل العراقي: وسنده غير صحيح.

قال الحافظ قطب الدين الخَيْضَرِيّ رحمه الله تعالىٰ في «الخصائص»: وأرجحها عندي الأول، وأدلّته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره.

قُلْتُ: قد قدمنا أن له طريقاً جيدة صححها الحافظ الضياء، وقد قال الزركشي: إنَّ تصحيح الضياء، أعلىٰ مزيةً من تصحيح الحاكم.

قال الخيضري: فإن قيل: إنَّ فيه أي في ولادته صلّى الله عليه وسلّم مختوناً بعض نقص في حق من يوجَدُ كذلك. فيقال: هذا في حقه صلّى الله عليه وسلّم غاية الكمال، لأنَّ القلفة ربما تمنع من تكميل النظافة والطهارة، وتمنع كمال لذة الجِمَاع، فأوْجَد الله تعالىٰ عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم مختوناً مسروراً، مكمَّلاً سالماً من سائر النقائِص والمعايب.

فإن قيل(٩٠): إذا كان كذلك، فلم شقَّ صدره صلّى الله عليه وسلّم واستخرج منه العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان، ولو كان كما ذكرت، لَخَلَقَهُ سالماً منها؟

قلت: لا سواءَ، لأنَّ الختان والإسرار من الأمور الظاهرة التي تحتاج إلى فعل الآدمي، فخَلَقَهُ الله تعالىٰ سليماً منها، لئلا يكون لأحد عليه منَّة، كما في كمال الطهارة، وأما إخراج العَلَقة التي هي حظ الشيطان، فمحلها القلب، ولا اطّلاع للآدمي عليها، ولو خلق الله تعالىٰ نبيه صلّى الله عليه وسلّم سليماً منها، لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته، فأظهره الله تعالىٰ لعباده على يد جبريل ليتحقّقوا كمالَ باطنه، كما برز لهم مُكَمَّل الظاهر، انتهى. وهو مأخوذ من كلام السبكي، يأتي ذكره في باب شرح صدره صلّى الله عليه وسلّم.

وَروىٰ ابن سعد بسند رجاله ثقات عن إسحاق بن أبي طلحة ـ مُرْسلاً ـ رحمه الله تعالىٰ: أن آمنة قالت: وضعتُه نظيفاً، ما ولدته كما يولد السَّخْل، ما به قذَر، ووقع إلى الأرض وهو جَالِسٌ على الأرض بيديه.

فائدة: ولد من الأنبياء مختوناً جماعة، نقل ابن دُرَيْد في «الوشاح»

(٩٠) قال ابن الجوزي في الوفا (١/ ٩٧): «فإن قيل: فلم لم يولد مطهر القلب من حظّ الشيطان، حتى شق صدره وأخرج قلبه؟، قال ابن عقيل: لأن الله سبحانه أخفى أدون التطهيرين الذي جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب، وأظهر أشرفهما وهو القلب، فأظهر آثار التجمل والعناية بالعصمة في طرقات الوحي».

وابن الجوزي في «التلقيح» عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ أنهم ثلاثة عشرة.

ونقل ابن الجوزي عن محمد بن حبيب رحمه الله تعالىٰ أنهم أربعة عشر، وكل منهما ذكر ما لم يذكر الآخر. فالذي اتفقا عليه: آدم، وشيث، ونوح، ولوط، ويوسف، وشعيب، وموسى، وسليمان، وعيسى، ومحمد صلّى الله عليه وسلّم.

والذي زاده كعب: إدريس، وسام، ويحيى.

والذي زاده ابن حبيب: هود، وصالح، وزكريا، وحنظلة بن صفوان نبيّ أصحاب الرس عليهم الصلاة والسلام أجمعين. فاجتمع من كلامهما سبعة عشر نبياً، أولهم آدم، وآخرهم محمد صلّى الله عليه وسلّم.

وقد نظم الشيخ رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه أسماءهم في «قلائِد الفوائد»، فقال:

وسبعة مع عشر قد رُوِي خُلقوا ... وهم خِتَان فخُذْ لا زلتَ مأنوسَا
محمد آدم إدريس شيث ونو ... ح سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحيى صالح زكريـ ... يا وحنظلة الرسِّيّ مع عيسى

وقال العلامة القاضي عبد الباسط البُلْقيني رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به في الدارين:

وفي الرُّسْل مَختوناً لَعَمْرك خِلْقةً ... ثمان وتسع طيِّبون أكارمُ
وهم زكريا شيث إدريس يوسف ... وحَنْظلة عيسى وموسى وآدمُ
ونوح شعيب سام لوط وصالح ... سليمان يحيى هود ياسين خاتمُ

تنبيه: قال بعضهم: وفي قولهم: خلقوا مختونين تَجوُّز، لأن الخِتَان هو القَطْع، وهو غير ظاهر؛ لأن الله تعالىٰ يوجِد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل الكلام باعتبار أنه على صفة المقطوع. والله أعلم.

مُنَاغاته صلّى الله عليه وسلّم للقمر في مهده وكلامه فيه

رَوىٰ الطبراني، والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالىٰ عنه قال: قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دِينك أمارة لنبوّتك، رأيتُك في المهد تناغِي القمرَ، وتشير إليه بإصبعك، فحيث ما أشرت إليه مال.

قال صلّى الله عليه وسلّم: كنت أحدِّثه ويحدِّثني، ويُلْهيني عن البكاء وأسمع وَجْبته حين يسجد تحت العرش.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله تعالىٰ في كتابه «المائتين»[٩١]: هذا حديث غريب الإسناد، والمتن في المعجزات حسن[٩٢].

المُنَاغَاة: المحادثة. وناغت الأُمُّ صبيّها، لاطفَتْه وشاغلته بالمحادثة والملاعبة.

قال الحافظ في «الفتح»: وفي «سِيَر الواقدي» أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تكلَّم في المهد أوائل ما ولد. وذكر ابن سبع رحمه الله تعالىٰ في «الخصائص»: أنَّ مَهْده صلّى الله عليه وسلّم كان يتحرك بتحريك الملائكة له، وأنَّ أول كلام تكلم به أن قال: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً[٩٣].

فائدة: تكلم في المهد جماعة، نظم شيخنا رحمه الله تعالىٰ أسماءهم في كتابه «قلائد الفوائد» فقال:

تكلَّم في المَهْدِ النبيُّ محمدٌ ... وموسى وعيسى والخليل ومريمُ
ومُبْرِي جُرَيْج ثم شاهد يوسف ... وطفلٌ لدى الأخدود يرويه مُسْلمُ

(٩١) انظر الخصائص الكبرى (١/ ١٣٣).
(٩٢) قال البيهقي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الحبلي وهو مجهول. وانظر الخصائص الكبرى (١/ ١٣٣)، وسيرة ابن كثير (١/ ٢١١).
(٩٣) لم يثبت شيء من ذلك بخبر صحيح.

وطفل عليه مُرَّ بالأَمَة التي يقال لها تَزْنِي ولا تتكلمُ
وماشطةٌ في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يُخْتَمُ

والله سبحانه تعالىٰ أعلم بالصواب.

حزن إبليس وحَجْبه من السموات
وما سُمع من الهواتف لمّا ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

نقل السهيلي، وأبو الربيع وغيرهما عن تفسير الحافظ بقيّ بن مَخْلَد رحمه الله تعالىٰ: أنَّ إبليس رنَّ أربع رَنَّات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين وُلدَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب(٩٤).

رنَّ: صَوّتَ بحزن وكآبة.

وَروىٰ ابن أبي حاتم عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ، قال: قال إبليس لما وُلدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لقد وُلِد الليلة وَلَدٌ يُفْسد علينا أمْرَنا، فقال له جنوده: لو ذهبت إليه فخبَلْتَه. فلما دنا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بعث الله جبريلَ فركضه برجله رَكْضة فوقع بعدَن.

وَروىٰ الزبير بن بكّار، وابن عساكر عن معروف بن حزَّبوذ رحمه الله تعالىٰ، قال: كان إبليس يخترق السمٰوات السبع، فلما ولد عيسى حُجب من ثلاث سمٰوات، وكان يصل إلى أربع، فلما ولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حُجب من السبع.

رَوىٰ الخرائطي، وابن عساكر عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالىٰ أنَّ نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحُوَيْرِث، كانوا عند صنم يجتمعون إليه، فدخلوا يوماً فرأوه مكبوباً على وجهه، فأنكروا ذلك، فأخذوه فردّوه إلى حاله، فلم يلبث

(٩٤) الروض (١/ ١٠٥)، والاكتفا (١/ ١٦٧).

أن انقلب انقلاباً عنيفاً، فردّوه إلى حاله، فانقلب الثالثة.

فقال عثمان: إنَّ هذا لأمْر حدَث. وذلك في الليلة التي وُلِد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فجعل عثمان بن الحُوَيْرِث يقول:

أيا صنم العِيد الذي صُفَّ حولَه صَنَاديد وفد من بعيد ومن قُرْب
يُنكّس مَقْلوباً فما ذاك قُلْ لنا أذاك سَفيه أم تنكَّس للعَتْب
فإن كان من ذَنْب أسَأْنا فإنّنا نَبُوء بإقرارٍ ونَلْوي على الذنبِ
وإن كنتَ مَغْلوباً تنكستَ صاغراً فما أنت في الأصنام بالسيد الربِّ

قال: فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله، فلما استوى، هتف بهم هَاتِفٌ من جوف الصنم بصوت جهير، وهو يقول:

تردَّى لمولودٍ أضاءَتْ لنوره جميعُ فِجَاج الأرض بالشرقِ والغَرْبِ
وخرَّت له الأَوْثان طُرًّا وأرْعدت قلوبُ ملوك الأرض طُرًّا من الرعبِ
ونارُ جميع الفرس باخت وأظْلمت وقد بات شاهُ الفرس في أعْظم الكَرْب
وصدَّتْ عن الكهّان بالغيب جِنَّها فلا مُخْبر منهم بحقٍّ ولا كذب
فيا لَقُصيٍّ ارجعوا عن ضلالكم وهُبوا إلى الإسلام والمنْزِل الرَّحْبِ

الفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين الجبلين. وقيل: في جبل. باخت: خمدت. هَبَّ النائم هبًّا وهُبوباً: استيقظ.

وَروىٰ الخرائطي عن أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله تعالىٰ عنهما قالت: كان زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشيَّ بعد رجوع أبرهة من مكة، قالا: فلما دخلنا عليه قال: اصدُقاني أيُّها القُرَشيّان: هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذَبْحَه فضُرب عليه بالقداح فسَلِم، ونُحرت عنه جِمَالٌ كثيرة؟ فقلنا: نعم. قال: فهل لكما عِلْمٌ به ما فعل؟ قلنا: تزوَّج امرأةً منا يقال لها: آمنة، تركها حاملاً وخرج. قال: فهل تعلمان ولدت أم لا؟ قال ورقة: أخبرك أيها الملك، أنّي قد قربت عند وثنٍ لنا، إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

ولــد الــنــبــيّ فــذلَّــت الأَمْــلاكُ ونــأَى الــضــلالُ وأدْبَــرَ الإِشْــراكُ

ثم تنكّس الصنم على رأسه.

فقال زيد: عندي خبره أيها الملك، إني في مثل هذه الليلة خرجتُ حتى أتيت جبلَ أبي قُبَيْس، إذ رأيت رجلاً ينزل له جناحان أخضران، فوقف على أبي قُبَيْس، ثم أشرف على مكة فقال: ذَلَّ الشيطان وبطلت الأوثان، وولد الأمين. ثم نشر ثوباً معه وأهْوَى به نحو المشرق والمغرب، فرأيته قد جلَّل ما تحت السماء، وسطع نورٌ كاد يخطف بصري، وهالَني ما رأيتُ، وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة، فسطع له نور أشرقَتْ له تهامة.

وقال: زكت الأرض وأدَّت ربيعَها. وأوْمأ إلى الأَصْنام التي كانت على الكعبة، فسقطت كلها.

قال النجاشي: أُخبركما عما أصابني: إني لَنائم في الليلة التي ذكرتما في قُبّتي وقت خلوتي، إذ خرج عليّ من الأرض عُنق ورأْس وهو يقول: حَلَّ الوَيْل بأصحاب الفِيل،. رمتهم طيرٌ أبَابيل بحجارة من سِجِّيل، هلَك الأَشْرَمُ المعتدي المجرم، وولد النبيّ المكي الحرَميّ، من أجابه سعد، ومن أباه عَنَد.

ثم دخل الأرض فغاب، فذهبت أصيح فلم أُطق الكلام، ورُمْت القيام فلم أُطِق القيامَ، فأتاني أهلي فقلت: احجبوا عني الحبشة، فحجبوهم، فأطلق الله لساني ورِجْلي(٩٥).

وَروىٰ ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالىٰ عنه قال: لما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هتف هاتف على أبي قُبَيْس، وآخر على الحَجُون الذي بأصل المقبرة، فقال الذي على جبل الحجون:

(٩٥) ذكره ابن كثير في سيرته (١/ ٣٦٨) عن الخرائطي.

فأُقْسم ما أُنْثَىٰ من الناس أَنْجبتْ ولا ولدت أُنثىٰ من الناسِ والده[٩٦]
كما ولدت زُهْرية ذات مَفْخَر مُجَنَّبة لُؤْم[٩٧] القبائل ماجدَهْ
فقد ولدت خيرَ البرية أحمدا فأَكْرمْ بمولودٍ وأكْرمْ بوالده

وقال الذي على جبل أبي قبيس:

يا ساكني البطحاء لا تغْلطوا وميِّزوا الأَمْرَ بعقل مُضِي
إن بني زُهْرة من سِرِّكمْ في غابر الأَمْر وعند البَدِي
واحدةٌ منكم فهاتوا لنا [فيمن مضى في الناس أو من بقِي
واحدةً من غيرهم مثلها][٩٨] جَنِينُها مثل النبيِّ التقي

انبثاق دِجْلة وارتجاس الإِيوان
وسقوط الشُّرفات وخمود النيران، وغير ذلك مما يذكر

ذكر ابن جرير وغيره أنَّ كسرى أَبْرَويز كان قد سكَر[٩٩] دجْلة العَوْراءَ، وأنفق عليها مالاً عظيماً، وكان طاق[١٠٠] مُلْكه قد بناه بنياناً عظيماً لم يُرَ مثله، وكان عنده ثلاثمائة رَجُل من كاهن وساحر ومنجّم، وكان فيهم رَجُلٌ من العرب اسمه: السائب قد بَعث به باذان من اليمن، وكان كسرى إذا حزَبه أمرٌ، جمَعهم فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو.

فلما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أصبح كسرى وقد انقصم طاقُ ملكه من غير ثِقَل، وانخرقت دجلة العَوْراء. فلما رأى ذلك، أحْزَنه فدعا كهانه وسحَّاره ومنجّميه، وفيهم السائب.

فقال لهم: قد انقصم طاقُ ملكي من غير ثقل، فانظروا في أمره بما

(٩٦) واحدة.
(٩٧) وفي الوفا: نجية من لؤم القبائل.
(٩٨) سقطت من الأصل وأثبتها من الوفا لابن الجوزي (١/ ٩٦).
(٩٩) الأصل: وقد سكن. محرفة والتصويب من تاريخ الطبري (٢/ ١٤٣) [ط المصرية].
والسكر: سد النهر.
(١٠٠) الطاق: ما عطف من الأبنية. ولعله يريد: مجلس ملكه.

تعلمونه من علمكم، فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض، فلم يمض لهم ما رأوه، وبات السائب في ليلة مظلمة على ربوة من الأرض ينظر، فرأى بَرْقاً من قِبَل الحجاز قد استطارَ فبلغ المَشْرق، فلما أصبح رأى تحت قدميه روضةً خضراءَ، فقال فيما يَعْتاف: إن صدَق ما أرى، لَيخرجَنَّ من الحجاز سلطان يَبْلغ المشرق وتُخْصب الأرض عليه، كأفضل ما أخصبت على مَلِك.

فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض ورأوا ما أصابهم، ورأى السائب ما رأى، قال بعضهم لبعض: والله ما حِيلَ بينكم وبين عِلْمكم إلّا لأمْرٍ جاءَ من السماء، وإنه لَنبيٌّ يُبعث، أو هو مبعوث يَسْلب هذا الملك مُلكه ويكسره، وإن نَعيتم إلى كسرى كَسْر ملكه لَيقتُلَنَّكم، فاتفقوا على أن يكتموه الأمْر.

وقالوا له: قد نظرنا فوجَدنا وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النُّحوس، فلما اختلف الليل والنهار فوقعت النحوس مواقعها، زال كلُّ ما وضع عليها، ونحن نحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول. فحسبوا فأمروه بالبناء، فبنى دجلة العوراء في ثمانية أشهر، وأنفق عليها أموالاً جليلة حتى فرغ منها، فلما فرغ قال لهم: أجلسُ على سُورها؟ قالوا: نعم، فجلس في أساورته ومَرازبته، فبينما هو كذلك، انشقَّت دجلة وخرج ذلك البنيان من تحته، فلم يخرج إلَّا بآخر رَمق، فلما أخرجوه جمع كهانه وسحرته ومنجّميه وقتل منهم نحو مئة، وقال لهم: أقرَّبتُكم وأجريتُ عليكم الأموال، ثمّ إنكم تَخُونونني؟

فقالوا: أيها الملك، أخطأُنا كما أخطأَ من قَبْلنا. ثم حسبوا له وأمروه بالبناء، فبناه وفرغ منه، وأمروه بالجلوس عليه، فخاف أن يجلس عليه، فركب وسار على البناء، فبينما هو يسير إذ انشقّت أيضاً، فلم يُدْرَك إلّا بآخر رَمَق. فدعاهم وقال: لأقتلنكم أو لَتَصْدُقُنِّي. فصَدَقوه وأخبروه بالأَمر، فقال: ويحكم، هلَّا بيَّنتم لي ذلك فأَرىٰ فيه ما أرىٰ،

قالوا: منعنا الخوفُ. فتركهم[١٠١].

وَروىٰ ابن جرير في «تاريخه»، والبَيْهقي، وأبو نُعيم كلاهما في «الدَّلَائل»، والخرائطي عن مَخْزوم بن هانئ عن أبيه: وأتت عليه مئة وخمسون سنة.

قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ارتجس فيها إيوان كسرى وسقطت منه أربع عَشْرة شُرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى المُوبَذَان إبلاً صِعَاباً تقود خَيْلاً عِرَاباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى، أفزعه ذلك وتصبَّر عليه تشجُّعاً، ثم رأى أن لا يدَّخر ذلك عن وزرائه ومَرَازبته حين عيل صبره، فجمعهم ولبس تاج ملكه وقعد على سريره، ثم بعث إليهم، فلما اجتمعوا عنده قال: تدرون فيما بعثتُ؟ قالوا: لا، إلَّا أن تُخْبرنا بذلك. فبينما هم كذلك، إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس، فازداد غمًّا إلى غمّه، ثم أخبرهم بما هالَه.

فقال المُوبَذَان: وأنا ـ أصلح الله الملك ـ قد رأيت في هذه الليلة، فقصّ عليهم رؤياه في الإبل، فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أعلمَهم في أنفسهم، قال: حدَثٌ يكون من ناحية العرب.

فكتب كسرى عند ذلك: من مِلِك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر.

أما بعد، فوجِّه إليّ عالماً بما أريد أن أسأله عنه.

فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَسَّان بن بُقَيْلة ـ بضم الموحدة وفتح القاف وسكون التحتية ـ الغسَّاني. فلما قَدِم عليه، قال: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألني الملك أو يخبرني الملك، فإن كان عندي عِلْمٌ منه أخبرته، وإلّا دلَلْته على من يعلمه. قال: فأخبره. فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام يقال له: سَطِيح.

قال: فاذهب إليه فاسأله، وائتني بتأُويل ما عنده.

(١٠١) تاريخ الطبري (٢/ ١٤٣)، والوفا (١/ ١٧٦).

فنهض عبدُ المسيح حتى قَدِم على سَطِيح وقد أَشْفَىٰ على الموت، فسلَّم عليه وحيَّاه، فلم يَحِرْ جواباً، فأَنشأ عبدُ المسيح يقول: أصُمَّ أم يَسْمع غِطْريف اليَمن.. في أبيات ذكرها.

فلما سمع سَطِيح كلامه، فتح عينيه ثم قال: عبد المسيح على جمل مُشِيح، أقبل إلى سطيح، وقد أوفى على الضّريح، بعثك ملكُ بني ساسان، لارتجاس الإِيوان وخمود النيران، ورؤيا الموبَذان.

رأىٰ إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِرَاباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح: إذا أكثرت التلاوة، وظهر صاحب الهِرَاوة، وفاض وادي سَمَاوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشُّرفات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ثم قضى سطيح مكانه.

فأتىٰ عبدُ المسيح إلى كسرى فأخبره فقال: إلى أن يملك منَّا أربعة عشر ملكاً، كانت أمور وأمور. فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله تعالىٰ عنه[١٠٢].

ويرحم الله تعالىٰ الإمام أبا عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن علي الشقراطسي[١٠٣] حيث قال:

ضاءَت لمولده الآفاقُ واتصلت ... بُشْرى الهواتِف في الإشراق والطَّفَلِ
وصَرْح كِسْرى تداعَى من قواعده ... وانقضَّ منكسر الأَرْجاءِ ذا مَيَلِ
ونار فارس لم تُوقَدْ وما خمدت ... من ألف عام ونهرُ القوم لم يَسِلِ
خرَّت لمولده الأَوثان وانبعثت ... ثواقبُ الشُّهْب ترمي الجنَّ بالشُّعَلِ

والإمام أبا عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الشهير بالبوصيري رحمه الله تعالىٰ حيث قال:

(١٠٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٩٦ ـ ٩٩)، والوفا (١/ ٩٧)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٣١).
(١٠٣) الشقراطسي: أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي الشقراطسي المتوفى سنة ٤٦٦ وقصيدته في السير لامية وله شرح عليها، «كشف الظنون» (٢/ ٥٤٠).

أبانَ مولدُهُ عن طيب عُنصره ... يا طِيبَ مُبْتَدإٍ منه ومُخْتَتَم
يومٌ تفرَّس فيه الفُرْسُ أنهمُ ... قد أُنْذِرُوا بحُلول البؤسِ والنِّقمِ
وبات إيوانُ كسرى وهو مُنْصدع ... كشَمْل أصحاب كِسْرى غير ملتئم
والنارُ خامدة الأنفاس من أسف ... عليه والنهرُ ساهي العينِ من سَدمِ
وساءَ ساوة أن غاضتْ بُحَيْرتها ... ورُدّ واردُها بالغَيْظ حين ظَمِي
كأن بالنارِ ما بالماءِ من بَلَلٍ ... حُزْناً وبالماءِ ما بالنار من ضَرمِ
والجنُّ تهتف والأَنوار ساطعةٌ ... والحق يظهر من معنى ومن كَلم
عَمُوا وصَمُّوا فإعلان البشائر لم ... يُسْمَع وبارقة الإنذار لم تُشم
من بعد ما أخْبر الأقوامَ كاهنُهم ... بأنّ دينَهم المعوج لم يقم
وبعد ما عايَنوا في الأُفْق من شُهب ... مُنْقَضَّة وفْق ما في الأَرض من صَنم
حتى غدا عن طريق الحق منهزم ... من الشياطين يقفو إثْر مُنْهزم

وقال أيضاً في قصيدته «الهَمْزية»:

ومُحَيًّا كالشمس منك مضيءٌ ... أسفرت عنه ليلةٌ غرَّاءُ
ليلة المولد الذي كان للدِّيـ ... ـن سرورٌ بيومِه وازدهاءُ
وتوالت بُشْرى الهواتف أن قد ... وُلِد المصطفى وحقَّ الهناءُ
وتداعى إيوان كسرى ولَوْلا ... آية منك ما تداعَى البناءُ
وغدا كلُّ بيتِ نار وفيه ... كُرْبَةٌ من خمودها وبلاءُ
وعيونٌ للفرس غارتْ فهل كا ... ن لنيرانهم بها إطفاءُ
فهَنيئاً به لآمنة الفَضْـ ... ـل الذي شرفتْ به حوَّاءُ
من لحوَّاء أنها حَملَت أحـ ... ـمداً وأنها به نُفَساءُ
يومَ نالت بوضعه ابنة وهب ... من فَخَار ما لم تَنَلْه النساءُ
وأتت قومها بأفضل مما ... حملتْ قبلُ مريمُ العذراءُ
شمَّتَتْه الأَملاك إذ وضعته ... وشفَتْنا بقولها الشَّفاءُ
رافعاً رأُسه وفي ذلك الرفـ ... ـع إلى كل سُؤدد إيماءُ
رامقاً طرفه السماء ومَرْمَى ... عين من شأُنه العلوّ العلاءُ

وتــدلّــت زُهْــر الــنــجــوم إلــيــه فــأضــاءَتْ بــضــوئــهــا الأَرجــاءُ
وتــراءَت قــصــور قــيــصــر بــالــرو مِ يــراهــا مــن داره الــبــطــحــاء

تفسير الغريب

كِسْرَى: بفتح الكاف وكسرها: اسم ملك الفرس. والذي ولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في زمانه: أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، والذي كتب إليه الكتاب ومزَّقه: أبرويز بن هرمز أنوشروان، والذي قُتل في زمن عثمان وأخذ منه المسلمون البلادَ: يَزْدجرد بن شهريار.

دِجْلة: بكسر الدال المهملة: نهر بغداد. قال ثعلب رحمه الله تعالىٰ: تقول: عَبْرت دِجلة بغير ألف ولام.

باذان: بذال معجمة.

انقصم: انكسر وانفصل بعضه من بعضه.

اعتاف: قال في «النهاية»: العيافة: زَجْر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرِّها، يقال: عاف يعيف عَيْفاً، إذا زجر وحَدَس وظن.

قلت: والمراد هنا الحَدْس والظن.

ارتجس: اضطرب وانشقّ. والرَّجْس بفتح الراء وإسكان الجيم وبالسين المهملة: الصوت الشديد من الرعد، ومن هدير البعير.

الإيوان: بوزن الدِّيوان ويقال فيه: بوزن كتاب، بناء أَزَج غير مسدود الوجه. والأَزج: بيت يبنى طولاً، وجمعه على الأول: أواوين كدواوين، وإيوانات. وعلى الثاني: أون كخِوان وخون: بناء مشهور بالمدائن من أرض العراق، كان بناءً مُحْكماً مبنياً بالآجُر الكبار والجصّ، سمْكه مائة ذراع في طول مثلها، فارتجس حتى سُمع صوته وانشقَّ وسقطت منه أربعة عشر شرفة. ليس السبب في ذلك من جهة خلل في بنائه في نفسه، وإنما

أراد الله تعالىٰ أن يكون ذلك آيةً باقية على وجه الدهر لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم.

المُوبَذان: بضم الميم ثم واو ساكنة وفتح الباء الموحدة. وحكى الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالىٰ كسرها أيضاً وبذال معجمة: اسم لحاكم المجوس كقاضي القضاة للمسلمين.

مشِيح: بشين معجمة وحاء مهملة وزن مَلِيح، يقال: ناقة مشحاة إذا كانت سريعة. والإبل كناية عن الناس هنا.

الهِرَاوة بكسر الهاء: العصا.

الشُّرفات: بضم الراء وفتحها وسكونها جمع شُرفة ـ إما تحقيراً لها، أو أن جمع القلة قد يقع موضع جمع الكثرة.

خمدت: بفتح الميم وكسرها كنصر وسمع.

غاضَتْ: بغين وضاد معجمتين: غارَتْ.

خيلاً عِرَاباً: بكسر العين. الخيل العِرَاب خلاف البرَاذِين، الفَرَسُ إن كان أبواه عربيين فهو عتيق، وإن كانا أعجميين فهو بِرْذَون، وإن كان الأب عربياً والأم أعجمية فهو هَجِين. وإن كان بالعكس فهو مُقْرِف.

بحيرة ساوة: بحيرة متّسعة الأكناف جداً. وقد قال فيها الصَّرْصري رحمه الله تعالىٰ في بعض قصائده

غارت وقد كانت جوانبها تَفُوت المِيلاَ

وقال غيره: كانت أكثر من ستة فراسخ، تركب فيها السفن ويسافر فيها إلى ما حولها من البلاد والمدن، فأصبحت ليلة المولد ناشفة، كأن لم يكن بها شيء من الماء.

تنبيه: وقع في بعض الكتب: غاضت بحيرة طبرية، وهذا غير معروف. وبحيرة طبرية لم يثبت أن ماءَها غاض، وهو باقٍ إلى اليوم.

المرازبة: بفتح الميم، جمع: مَرْزُبان بضم الزاي، وهو الفارس الشجاع المتقدم على القوم دون المكرَه.

هالَه: أفزعه.

رؤيا: بترك التنوين.

حدَث: بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلّثة: أي وقع.

مشَارف: بميم مفتوحة فشين معجمة مخفّفة فألف فراء ففاء. المشارف: القرى التي تقرب من المدن، وقيل التي بين بلاد الريف وجزيرة العرب، قيل لها ذلك لأنها أشرفت على السَّواد. قاله في «النهاية»، وقال في «الصَّحاح»: مشَارف الأرض أعاليها.

أَشْفَى: أشرف. أنشأً بهمزة مفتوحة أوله وآخره أي ابتدأً.

أَصُمَّ: بهمزة الاستفهام ثم بضم الصاد المهملة فتشديد الميم مبني للمفعول.

الغِطْريف: بغين معجمة فطاء مهملة فراء مكسورة فمثناة تحتية ففاء المراد به هنا: السيد.

عبدُ المسيح: بالرفع لأنه مبتدأ، والجار والمجرور في قوله: «على جَمَل» الخبر.

أَوْفَى: أشرف.

ساوَة: مدينة بين الرَّيّ وهَمَذان.

السَّماوة: بسين مهملة مفتوحة فميم مخففة: بادية لبني كلب عند الكوفة، أرض عالية لا حجر فيها، لها طول ولا عرض لها، سمّيت السَّماوة لسموّها أي علوّها.

الطَّفَل بفتحتين: العشِيّ عند تطفيل الشمس ونقصان ضوئها. ومعنى تطفيلها: دنوّها من المغيب.

انقضّ: يروى بضاد معجمة. ويروى بصاد مهملة. وعليهما فمعناه سقط.

الأَرجاء: النواحي.

المَيْل: بفتح الميم والمثناة التحتية، قال في «المحكم»: المَيْل أي بسكون الياء في الحادِث. والمَيَل في الخلقة.

فارس: اسم علم، كالفُرْس لطائفة من العَجَم كانوا مَجُوساً يعبدون النار، وكان لبيوت النار سدنة يقومون عليها ويتناوبون إيقادها، فلم يخمد لها لهَبٌ لا ليلاً ولا نهاراً، إلّا ليلة مولده صلّى الله عليه وسلّم، فإنهم أوقدوها فلم تقد.

وإنما انتفى إيقادها في نفسها مع كونهم تعاطوا إيقادها، فهذا موضع الآية العجيبة، ولو كانوا لم يتعاطَوا إيقادها، لم يكن في ذلك آية لمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكان ذلك وقع اتفاقاً. وخمدت تلك النار مع إيقادهم لها، ولها ألف سنة لم تخمد، وتلك مدة عبادة المجوس للنار.

المُحَيّا: الوجه.

أسفرَتْ: انحسرت.

غرّاء: تأنيث الأَغَرّ وهو السيّد والأَبيض النيّر.

الازدهاء: الافتخار.

توالت: تتابعت.

الهَوَاتف: جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يُرى شخصه.

تداعى: تهادم.

غدَا: بالدال المهملة: صار.

خمودُ النار: سكون لهبها ولم يُطْفَ جمرها، فإن انطفأ أيضاً قيل:

همدت.

الكُرْبة بالضم: الهمّ الذي يأخذ النفس. والاستفهام عن انطفاء نار فارس بمياه العيون التي غارت، يفيد التعجب من هذه القضية وتأكيد وقوعها، وأن ذلك من آياته صلّى الله عليه وسلّم.

رمق الشيء: نظر إليه نظراً خفيًّا.

المرمى في الأصل: الغرض الذي ينتهي إليه سهم الرامي. والمراد: ما انتهى إليه البصر.

الشأن: القصد.

العلوّ: الارتفاع في المكان.

العلاء بالفتح والمد: الرفعة والشرف، والعُلَى بالضم والقصر بمعناه.

تراءت: من رؤية العين. وتراءَى الجمعان: رأى بعضُهم بعضاً.

قيصر: أحد ملوك الروم.

البَطْحاء: الأبطح، وهو في الأصل مَسِيل واسع فيه دِقاق الحصى، والمراد به هنا بطحاء مكة.

التشميت: بالمعجمة، ويجوز إهمالها: أن تقول للعاطس: رحمك الله.

الشِّفَاء: بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء، وقيل بفتحها والتثقيل: أم عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالىٰ عنه.

فرح جَدِّه
عبد المطلب به صلّى الله عليه وسلّم وتسميته له محمداً

قال ابن إسحاق، والواقدي وغيرهما: لما وضعت آمنة سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنه قد وُلِدَ لك غلام، فائته فانظر إليه، فأتاه ونظر إليه، وحدثَتْه بما رأت حين حملت به، وما قيل لها وما أُمرت به أن تسمِّيه، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه، ثم خرج به صلّى الله عليه وسلّم إلى أُمّه(١٠٤)، وهو يقول:

الحمد للَّه الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطيِّبَ الأرْدانِ
قد ساد في المهد على الغِلْمان ... أُعيذه بالبيتِ ذي الأَركانِ
حتى يكون بُلْغة الفتيان ... حتى أراه بالغ التبيان
أُعيذه من شر ذي شَنآن ... من حاسد مُضطرب العيانِ
ذي همّة ليس له عينان ... حتى أراه رافعاً للشانِ
أنت الذي سُمِّيت في الفرقان ... أحمد مكتوب على اللسان(١٠٥)

وَروىٰ البيهقي عن أبي الحسن التَّنُوخي رحمه الله تعالىٰ أنه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ذبح عنه جدُّه ودعا قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، ما سمّيته؟ قال: سميته محمداً. قالوا: لم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، وخَلْقه في الأرض.

(١٠٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩).
(١٠٥) الوفا (١/ ٩٦) باختلاف. والروض الأنف (١/ ١٠٧).

وَروىٰ أبو عُمَر وأبو القاسم ابن عساكر من طرق، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عنه جده بكبش وسمّاه محمداً. فقيل له: يا أبا الحارث! ما حَملك على أن تسميه محمداً، ولم تسمه باسم آبائه؟ قال: أردت أن يَحْمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.

وذكر السُّهيلي، وأبو الرَّبيع رحمهما الله تعالىٰ أنَّ عبد المطلب إنما سَماهُ: محمداً لرؤيا رآها. زعموا أنه رأىٰ مناماً كأنَّ سلسلة من فضة خرجت من ظَهْره، ولها طَرفٌ في السماء وطَرفٌ في الأرض، وطَرفٌ في المشرق وطَرْفٌ في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهلُ المشرق والمغرب يتعلّقون بها. فقصَّها، فعبّرت له بمولود يكون من صُلْبه، يَتبعه أهلُ المشرق والمغرب، ويحمده أهلُ السماء والأرض، فلذلك سماه محمداً مع ما حدَّثَتْهُ به أُمّه صلّى الله عليه وسلّم(١٠٦).

ويرحم الله تعالىٰ الإمام العلامة العارف إبراهيم بن أحمد الرقّي حيث قال:

لو أنَّ كُلّ الخَلْق ليلة مولد الـ ... ـهادي على الهامات منهم قاموا
شكراً لنِعْمَة ربهم فيما حُبُوا ... فيها بعُشْر عُشَيْرها ما قامُوا
هي نعمةٌ ما غادرت مَنْ دِينُه ... كفرٌ ولا مَنْ دِينه الإسلامُ
عمَّتْهُم ببحارها فالعالَم الـ ... ـعُلْويّ والسُّفْلي فيها عامُوا
فالحمد للّه الذي مِنْ فضله ... عمَّ البرية كلها الإنعامُ
نظَر الرحيمُ إلى الوَرىٰ فرآهمُ ... أغوتْهُمُ الأنصابُ والأزلامُ
وتحيروا في ظلمة الكفر الذي ... عُبدت به الأوثانُ والأصنامُ
تُغْشَىٰ الفواحش في المحافل جَهْرةً ... لا يُنْكِرون كأنهم أنعامُ
يبغي القويُّ على الضعيف ويقهر الـ ... ـوالي اليتيم وتُقْطع الأرحامُ

(١٠٦) الروض (١/ ١٠٥)، والاكتفا (١/ ١٦٨).

فـأغـاثـهـم ربُّ الـعِـبَـادِ بـشِـرْعـةٍ	فـيـهـا الـحـدودُ عـلـى الـسَّـداد تُـقَـامُ
ديـن الـنـبـيّ مـحـمـدٍ خـيـر الـورىٰ	مَـنْ فُـصِّـلـت فـي ديـنـه الأحـكـامُ
مـوسـى وعـيـسـى بـشَّـرا بـظُـهـوره	ودعـا بـه مـن قـبـلُ إبـراهـامُ
شـكـراً لـمُـهْـديـه إلـيـنـا نِـعـمـةً	لـيـسـت تـحـيـط بـكُـنْـهـهـا الأوهـامُ

أقوال العلماء في عمل المولد الشريف
واجتماع الناس له وما يُحْمد من ذلك وما يُذَمّ

قال الحافظ أبو الخير السَّخاوي رحمه الله تعالىٰ في «فتاويه»: عمل المولد الشريف لم يُنْقل عن أحد من السَّلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدَث بعدُ، ثم لا زال أهلُ الإسلام في سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون في شهر مولده صلّى الله عليه وسلّم، بعمل الولائم البديعة المشتملة على الأمور البهجة الرفيعة، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويُظْهرون السرور ويزيدون في المبرّات، ويَعْتنون بقراءَة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. انتهى.

وقال الإمام الحافظ أبو الخير ابن الجزرِيّ رحمه الله تعالىٰ شيخ القُرَّاء: من خواصّه أنه أمانٌ في ذلك العام، وبُشْرىٰ عاجلة بنيل البُغْية والمرام.

قُلت: وأول من أحْدَث ذلك من الملوك، صاحب إرْبِل الملك المظفَّر أبو سعيد كُوكَبري ابن زَيْن الدين علي بن بُكْتِكين أحد الملوك الأمجاد والكُبَراء الأجواد.

قال الحافظ عِماد الدين بن كَثِير رحمه الله تعالىٰ في «تاريخه»: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شَهْماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً، رحمه الله تعالىٰ وأكرم مثواه. وقد صنَّف الشيخ أبو الخطاب ابن دِحْية رحمه الله تعالىٰ كتاباً له في المولد سمَّاه: «التنوير في مَوْلد البشير النذير» فأجازه بألف دينار.

قال سِبْط ابن الجَوْزي رحمه الله تعالىٰ في «مرآة الزمان»: حَكىٰ من حضر سِمَاط المظفر في بعض الموالد، أنه عدَّ في ذلك السِّمَاط خمسة آلاف رأس غنم شَوِيٍّ، وعشرة آلاف دجاجة، ومئة ألف قُرْص[١٠٧]، ومئة فرس[١٠٨]، ومئة ألف زُبْديّة[١٠٩]، أي من طعام، وثلاثين ألف صَحْن حلوى.

قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيانُ العلماء والصوفية، فيخلع عليهم ويُطْلق لهم[١١٠]، وكان يَصْرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة. فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مئة ألف دينار، وكان يَفْتَكّ[١١١] من الفرنج في كل سنة بمئتي ألف دينار، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار، وهذا كله سوى صدقات السرّ.

وحكت زوجته ربيعة خاتُون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين؛ أنَّ قميصه كان من كِرْباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم. قالت: فعاتبته في ذلك، فقال: ألبس ثوباً بخمسة دراهم وأتصدَّق بالباقي، خَيْرٌ من أن ألبس ثوباً مثمناً وأدَع الفقير والمسكين[١١٢].

وقد أثنىٰ عليه الأئمة، منهم الحافظ أبو شامَة شيخ النَّووي في كتابه

---

(١٠٧) كذا في الأصل، ولعله يريد أقراص الخبز. والذي في مرآة الزمان (٢/ ٦٨١) مائة قرش قشلميش(؟)

(١٠٨) هذه العبارة ليست في مرآة الزمان.

(١٠٩) الزبدية: الإناء المعروف من الفخار.

(١١٠) يطلق لهم: يعطيهم الأموال. يقال: أطلق يده بخير: فتحها. وأطلق الشيء: أعطاه. (القاموس). وفي مرآة الزمان: ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم.

(١١١) والمراد يفك أسرى المسلمين لدى الفرنج بالمال أو بالمبادلة بأسرى الفرنج لدى المسلمين.

(١١٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢/ ٦٨٢).

«الباعث على إنكار البِدَع والحوادث»، وقال: مثل هذا الحسن يُندب إليه، ويُشكر فاعله ويُثنى عليه.

قال ابن الجوزيّ: لو لم يكن في ذلك، إلَّا إرغام الشيطان وسرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى.

وقال العلامة ابن ظَفَر رحمه الله تعالىٰ: بل في «الدرّ المنتظم»: وقد عمل المحبون للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فرحاً بمولده الولائم، فمن ذلك ما عمله بالقاهرة المعزّية من الولائم الكبار، الشيخُ أبو الحسن المعروف بابن قُفْل قدس الله تعالىٰ سرّه، شيخ شيخنا أبي عبد الله محمد بن النعمان، وعمل ذلك قبلُ جمال الدين العجمي الهمذاني. وممن عمل ذلك على قدر وسعه، يوسف الحجّار بمصر، وقد رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يُحَرِّض يوسفَ المذكور على عمل ذلك.

قال: وسمعت يوسف بن علي بن زُرَيْق الشامي الأَصل المصري المولد الحجَّار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: رأيتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام منذ عشرين سنة، وكان لي أخ في الله تعالىٰ يقال له: الشيخ أبو بكر الحجَّار، فرأيت كأنني وأبا بكر هذا بين يدي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم جالسَيْن، فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرقها نصفين، وذكر للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم كلاماً لم أفهمه.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مجيباً له: لولا هذا لكانت هذه في النار، ودار إليّ وقال: لأضْرِبنك. وكان بيده قَضِيب فقلت: لأي شيء يا رسول الله؟ فقال: حتى لا تُبْطل المولد ولا السُّنن.

قال يوسف: فعملته منذ عشرين سنة إلى الآن.

قال: وسمعت يوسفَ المذكور يقول: سمعت أخي أبا بكر الحجَّار يقول: سمعت منصوراً النشَّار يقول: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام يقول لي: قل له لا يُبْطله ـ يعني المولد ـ ما عليك ممن أكل وممن

لم يَأْكل.

قال: وسمعت شيخنا أبا عبد الله بن أبي محمد النُّعمان يقول: سمعت الشيخ أبا موسى الزَّرْهُونِيّ يقول: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في النوم فذكرت له ما يقول الفقهاءُ في عمل الولائم في المولد.

فقال صلّى الله عليه وسلّم: من فَرِح بنا فَرِحْنا به.

وقال الشيخ الإمام العلّامة نصير الدين المبارك الشهير بابن الطبَّاخ في فتوى بخطه: إذا أنفق المنفِق تلك الليلة وجمع جمعاً أطعمهم ما يجوز إطعامه، وأسمَعهم ما يجوز سماعه، ودفع للمسْمِع المشوّق للآخرة ملبوساً، كلُّ ذلك سروراً بمولده صلّى الله عليه وسلّم، فجميع ذلك جائز ويُثَاب فاعله إذا أحسن القصد، ولا يختص ذلك بالفقراء دون الأغنياء، إلا أن يقصد مواساة الأحوج، فالفقراء أكثر ثواباً، نعم إن كان الاجتماع كما يَبْلغنا عن قُرّاء هذا الزمان من أكْل الحشيش واجتماع المرْدَان، وإبعاد القَوَّال إن كان بلحية، وإنشاد المشوِّقات للشهوات الدنيوية وغير ذلك من الخزي ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ فهذا مَجْمعُ آثام.

وقال الشيخ الإمام جمال الدين بن عبد الرحمٰن بن عبد الملك المعروف بالمخلِّص الكُتَاني(١١٣) رحمه الله تعالىٰ: مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مبجَّل مكرَّم، قدّس يوم ولادته وشرف وعظم، وكان وجوده صلّى الله عليه وسلّم مَبْدأ سبب النجاة لمن اتّبعه، وتقليل حظّ جهنم لمن أُعِدّ لها لفرحه بولادته صلّى الله عليه وسلّم، وتَمَّت بركاتُه على من اهتدى به. فشابَه هذا اليومُ يومَ الجمعة، من حيث إن يوم الجمعة لا تُسَعَّر فيه جهنم، هكذا ورد عنه صلّى الله عليه وسلّم، فمن المناسِب إظهار السرور وإنفاق الميسور، وإجابة من دعاه ربُّ الوليمة للحضور.

---

(١١٣) والكتاني: نسبة إلى كتانة، ناحية بالمدينة.

وقال الإمام العلّامة ظَهِير الدين جعفر التزْمَنْتِيّ(١١٤) رحمه الله تعالىٰ: هذا الفعل لم يقع في الصَّدْر الأول من السلَف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له، إعظاماً ومحبةً لا يبلغ جَمْعُنا الواحدَ منهم ولا ذرَّة منه، وهي بدعة حسنة، إذا قصد فاعلها جَمْع الصالحين والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإطعام الطعام للفقراء والمساكين، وهذا القَدْر يثاب عليه بهذا الشرط في كل وقت، وأمّا جَمْع الرِّعَاع وعمل السَّمَاع والرقص، وخلع الثياب على القوَّال بمُروديَّته وحُسْن صوته، فلا يُنْدَب بل يقارب أن يُذَمّ، ولا خير فيما لم يعمله السلف الصالح، فقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا يُصْلح آخرَ هذه الأُمة، إلا ما أصلَح أوَّلَها».

وقال الشيخ نَصير الدين أيضاً: ليس هذا من السُّنَن، ولكن إذا أُنْفق في هذا اليوم وأظهر السرور فرحاً بدخول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الوجود، واتخذ السماع الخالي عن اجتماع المردان وإنشاد ما يثير نارَ الشهوة من العِشْقيات والمشوّقات للشهوات الدنيويّة، كالقَدّ والخَدّ والعَيْن والحاجب، وإنشاد ما يشوِّق إلى الآخرة ويزهِّد في الدنيا، فهذا اجتماعٌ حسَن يُثَاب قاصد ذلك وفاعله عليه، إلا أن سؤال الناس ما في أيديهم بذلك فقط بدون ضرورة وحاجة سؤالٌ مكروه، واجتماع الصُّلَحاء فقط ليأكلوا ذلك الطعام ويَذكروا الله تعالىٰ ويصلّوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يضاعف لهم القُرُبات والمثوبات.

وقال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه: «الباعث على إنكار البِدَع والحوادث» قال الربيع: قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه: المحدَثات من الأُمور ضربان:

أحدهما: ما أُحدث مما يخالف كتاباً أو سُنّة، أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة.

والثانية: ما أُحْدث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي

(١١٤) والتزمنتي: نسبة إلى تزمنت، بلد من أعمال البهنسا بمصر.

محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله تعالىٰ عنه في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت، فليس فيها ردّ لما مضى.

قلت: وإنما كان كذلك لأن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حثّ على قيام شهر رمضان، وفعله هو صلّى الله عليه وسلّم في المسجد واقتدى به فيه بعضُ أصحابه ليلةً بعد أُخرى، ثم تَرَكَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فعْلها بالمسجد جماعة وعلل ذلك بأنه خشي أن يفرض عليهم، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم أمن ذلك فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على فعل قيام رمضان في المسجد جماعة، لما فيه من إحياء هذا الشِّعار الذي أمرَ به الشارع وفعله، وحثَّ عليه ورغّب فيه، والله تعالىٰ أعلم.

فالبدعة الحسنة متفقٌ على جواز فعلها، والاستحباب لها ورجاء الثواب لمن حَسُنت نيّته فيها، وهي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة، غير مخالِف لشيء منها، ولا يَلْزم من فعله محذور شرعي.

وذلك نحو بناء المنابر والرُّبُط والمدارس، وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البِرّ التي لم تُعهد في الصَّدْر الأول، فإنه موافق لما جاءَت به الشريعة، من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى. ومن أحسن ما ابتُدع في زماننا هذا من هذا القَبِيل، ما كان يُفعل بمدينة «إرْبل» جبرَها الله تعالىٰ، كلَّ عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشْعِر بمحبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله، وشكر الله تعالىٰ على ما مَنَّ به من إيجاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي أرسله رحمةً للعالمين صلّى الله عليه وسلّم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وكان أول من فعل ذلك بالموصل، الشيخ عمر بن محمد الملّا أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالىٰ.

وقال الشيخ الإمام العلامة صدر الدين مَوْهوب بن عمر الجَزرِيّ الشافعي رحمه الله تعالىٰ: هذه بدعة لا بأس بها، ولا تُكْره البِدَعُ إلا إذا راغمت السُّنة، وأما إذا لم تراغمها فلا تُكره، ويُثاب الإنسان بحسَب قصده في إظهار السرور والفرح بمولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وقال في موضع آخر: هذا بدعة، ولكنها بدعة لا بأس بها، ولكن لا يجوز له أن يسأل الناسَ، بل إنْ كان يَعْلم أو يغلب على ظنّه أن نفس المسؤول تَطِيب بما يعطيه، فالسؤال لذلك مُباح، أرجو أن لا ينتهي إلى الكراهة.

وقال الحافظ رحمه الله تعالىٰ: أصل عمل المولد بِدْعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضِدِّها، فمن تحرَّى في عمله المحاسن وتجنَّب ضدَّها، كان بدعةً حسنة ومن لا فلا.

قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قَدِم المدينة فوجد اليهودَ يصومونَ عاشوراءَ، فسألهم فقالوا: هذا يومٌ أغرق الله فيه فرعون وأنْجَى فيه موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالىٰ. فقال: «أنا أحقُّ بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه.

فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالىٰ على ما منَّ به في يوم معين، من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله تعالىٰ يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبيّ الكريم نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم؟

وعلى هذا، فينبغي أن يُتحرَّى اليومُ بِعَيْنه حتى يطابق قصةَ موسى صلّى الله عليه وسلّم في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسَّع قوم حتى نقلوه إلى أيّ يوم من السَّنة، وفيه ما فيه.

فهذا ما يتعلق بأصل عمل المولد.

وأمّا ما يُعْمل فيه؛ فينبغي أن يقتصر فيه على ما يُفْهِم الشكرَ لله تعالىٰ من نحو ما تقدم ذِكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزُّهدية المحرِّكة للقلوب إلى فعل الخيرات والعمل للآخرة، وأما ما يَتْبع ذلك من السمَاع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، ومهما كان حراماً أو مكروهاً، فيُمْنع، وكذا ما كان خلاف الأولى. انتهى.

وقال شيخ القراء الحافظ أبو الخير ابن الجزَري رحمه الله تعالىٰ: قد رُئي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلّا أنه يخفَّف عني كل ليلة اثنين، وأمصُّ من بين إصبعيّ هاتين ماءً بقدر هذا ـ وأشار لرأسي إصبعيه ـ وإن ذلك بإعتاقي لثُوَيْبة عندما بشَّرتني بولادة محمد صلّى الله عليه وسلّم وبإرضاعها له.

فإذا كان أبو لَهَب الكافر الذي نزلَ القرآنُ بذَمِّه، جُوزِي في النار لفرحه ليلة مولد محمد صلّى الله عليه وسلّم فما حال المسلم الموحِّد من أُمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ببِشْره بمولده، وبَذْل ما تصل إليه قُدْرته في محبّته؟ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يُدخله بفضله جنّة النعيم.

وذكر نحوه الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاءَ ذمُّه ... بتبّت يداه في الجحيم مُخَلَّدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً ... يُخَفَّف عنه بالسرور بأحمدَا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحِّدَا

وقال شيخنا رحمه الله تعالىٰ في «فتاويه»: عندي أن أصل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءةُ ما تيسّر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما وقع في مولده من الآيات، ثم يُمدّ

لهم سِمَاط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قَدْر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

قال: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، غير الذي ذكره الحافظ، وهو ما رواه البيهقي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَقَّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنه ورد أن جدّه عبد المطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تُعَاد مرة ثانية، فيُحْمَل ذلك على أن هذا فعله صلّى الله عليه وسلّم إظهاراً للشكر على إيجاد الله تعالىٰ إياه رحمةً للعالمين، وتشريعاً لأُمّته صلّى الله عليه وسلّم، كما كان يصلِّي على نفسه لذلك، فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده صلّى الله عليه وسلّم بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القُربات والمسرّات.

وقال في «شرح سُنَن ابن ماجه»: الصواب أنه من البدع الحسنة المندوبة، إذا خلَا عن المنكرات شرعاً. انتهى.

ويرحم الله تعالىٰ القائل:

لِمَوْلد خير العالمين جلالُ ... لقد غَشِيَ الأكوانَ منه جمال
فيا مُخْلِصاً في حق أحمد هذه ... لَيالٍ بدَا فيهن منه هلالُ
فحقَّ علينا أن نعظِّم قدره ... فتَحْسن أحوالٌ لنا وفِعَال
فنُطْعِم محتاجاً ونكسوَ عارياً ... ونَرْفِدَ من أضْحَى لَديْه عيالُ
فتلك فِعَال المصطفىٰ وخلَاله ... وحَسْبك أفعالٌ له وخِلَالُ
لقد كان فعل الخير قُرّة عَيْنه ... فليس له فيما سِواه مجَالُ

والقائل أيضاً:

يا مَوْلد المختار أنت ربيعُنا ... بك راحةُ الأرواح والأجسادِ
يا مَوْلداً فاق الموالدَ كلَّها ... شَرفاً وسادَ بسيِّد الأسيادِ
لا زال نُورك في البريَّة ساطعاً ... يعتاد في ذا الشهر كالأعياد

فـي كـل عـام لـلـقـلـوب مَـسـرَّةٌ بـسـمـاع مـا نَـرْويـه فـي الـمـيـلادِ
فـلـذاك يـشـتـاق الـمـحـبُّ ويشتـهـي شَـوْقـاً إلـيـه حـضـورَ ذا الـمـيـعـادِ

وزعم الإمام العلامة تاج الدين الفاكهاني المالكي رحمه الله تعالىٰ أن عمل المولد بِدْعة مذمومة وألَّف في ذلك كتاباً قال فيه: الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين، وأيَّدنا بالهداية إلى دعائم الدِّين، ويسَّر لنا اقتفاءَ آثار السلف الصالحين، حتى امتلأَت قلوبنا بأنواع عِلْم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهَّر سرائرنا مِن حدَث الحوادث والابتداع في الدين.

أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلّى الله عليه وسلّم عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أُمّهات المؤمنين صلاةً دائمة إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فقد تكرّر سؤال جماعة من المبارَكين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمّونه المَوْلد، هل له أصلٌ في الشرع، أو هو بِدْعة حدثت في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيَّناً والإيضاحَ عنه معيَّناً.

فقلت وبالله التوفيق: ما أَعْلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سُنّة، ولا يُنْقل عملُه عن أحد من علماء الأُمّة، الذين هم القُدْوة في الدين المتمسّكون بآثار الصالحين المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطَّالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأَكَّالون، بدليل أنا أدَرْنا عليه الأَحكام الخمسة، قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مُباحاً، أو مكروهاً، أو محرَّماً. وليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع، من غير ذمٍّ على تَرْكه، وهذا لم يَأْذَنْ فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتديّنون فيما علمت.

وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالىٰ إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكون مباحاً، لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، فلم يَبْقَ إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً، وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجل من عَيْن ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدِّمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سُرُج الأزمنة وزَيْن الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية وتَقْوى به العناية، حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تَتْبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه، لمَا يجد من ألم الحَيْف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ: أخْذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيّما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء من البطون الملأى بآلات الباطل من الدُّفوف والشَّبَّابات، واجتماع الرجال مع الشباب المُرْد والنساء الغانيات، إما مختلطات بهن أو متشرِّفات، والرقص بالتثنِّي والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتَّهنيك والتَّطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]. وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذو المروءة والفتيان، وإنما يحلو ذلك بنفوس مَوْتى القلوب، وغير المستقيلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأُمور المنكَرات المحرَّمات. فإنا لله وإنّا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ! ولله دَرّ شيخنا القُشَيْري رحمه الله تعالىٰ حيث يقول فيما أجازناه:

قد عُرِف المنكَر واستُنْكر الـ	ـمعروف في أيامنا الصَّعْبَهْ
وصار أهلُ العلم في وَهْدَةٍ	وصار أهلُ الجهل في رُتْبه
حادوا عن الحقِّ فما للذي	سادوا به فيما مضى نِسْبه
فقلت للأبرارِ أهلِ التُّقَى	والدِّين لما اشتدّت الكُرْبه

لا تُنْكِروا أحوالكم قد أتتْ نَوْبتكم في زمن الغُرْبه!

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالىٰ حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تُعُجِّب من العجب!

هذا مع أن الشهر الذي وُلِد فيه صلّى الله عليه وسلّم وهو ربيع الأول، هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأَوْلَى من الحزن فيه. وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالىٰ نرجو حسن القبول.

هذا جميع ما أورده الفاكهاني رحمه الله تعالىٰ في كتابه المذكور.

وتعقَّبه الشيخ رحمه الله تعالىٰ في «فتاويه» فقال: أمّا قوله: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سُنَّة، فيقال عليه: نَفْي العلم لا يَلْزم منه نَفْي الوجود. وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل ابن حجَر أصلاً من السنة، واستخرجتُ أنا له أصلاً ثانياً. قلت: وتقدم ذِكْرهما.

وقوله: «بل هو بدعة أحدثها البطَّالون»، إلى قوله: «ولا العلماء المتديّنون» يقال عليه: إنما أحْدَثه ملك عادل عالم، وقصدَ به التقرّب إلى الله تعالىٰ، وحضر عنده فيه العلماء والصُّلَحاء من غير نَكير منهم وارتضاه ابن دِحية رحمه الله تعالىٰ وصنّف له من أجله كتاباً، فهؤلاء علماء متديّنون رضوه وأقرّوه ولم ينكروه.

وقوله: «ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع»، يقال عليه: إن الطلب في المندوب تارةً يكون بالنصّ وتارةً يكون بالقياس، وهذا وإن لم يردْ فيه نص، ففيه القياس على الأصلين الآتي ذِكرهما.

وقوله: «ولا جائز أن يكون مباحاً، لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين» كلام غير مستقيم، لأن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه، بل قد تكون أيضاً مباحة ومندوبة وواجبة.

قال النووي رحمه الله تعالىٰ في «تهذيب الأسماء واللُّغات»: البِدْعة في الشرع: هي ما لم يكن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهي منقسمة إلى حسَنة وقبيحة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالىٰ في «القواعد»: البدعة منقسمة إلى: واجبة وإلى محرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة.

قال: والطريق في ذلك أن نَعْرض البدعة على قواعد الشَّرْع، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرَّمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة أو المباحة فمباحة، وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة منها: إحداث الرُّبُط والمدارس، وكل إحسان لم يُعْهَد في العصر الأول. ومنها: التراويح والكلام في دقائق التصوّف وفي الجدل. ومنها: جَمْع المحافل للاستدلال في المسائل إن قُصد بذلك وجه الله تعالىٰ.

وروى البيهقي بإسناده في «مَنَاقب الشافعي» عن الشافعي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه قال: المُحْدَثات من الأمور ضربان:

أحدهما: ما أُحدث مما يخالف كتاباً أو سُنّةً، أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أُحدث من الخير لا خِلافَ فيه لواحد من هذا، وهذه مُحْدَثة غير مذمومة. وقد قال عمر رضي الله تعالىٰ عنه في قيام شهر رمضان: نِعمت البِدْعة هذه. يعني أنها محدَثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها ردٌّ لما مضى. هذا آخر كلام الشافعي.

فعُرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين: «ولا جائز أن يكون مُبَاحاً» إلى قوله: «وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة» الخ، لأن هذا القسم مما أُحدث وليس فيه مخالفة لكتاب ولا سُنّة، ولا أثر ولا إجماع، فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي، وهو من الإحسان الذي لم يُعهد في العصر الأول، فإن إطعام الطعام الخالي من اقتراف الآثام إحسان، فهو من البدع المندوبة، كما في عبارة ابن عبد السلام.

وقوله: «والثاني» الخ، هو كلام صحيح في نفسه، غير أن التحريم فيه إنما جاءَ من قِبَل هذه الأشياء المحرَّمة التي ضُمّت إليه، لا من حيث

الاجتماع لإظهار شعائر المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك تحريم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة، وهو واضح. وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع في ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح، فلا تَحْرُم التراويح لأجل هذه الأمور التي قُرنت بها.

كلا بل نقول: أصْل الاجتماع لصلاة التراويح سُنّة وقُرْبة، وما ضُمّ إليها من هذه الأمور قبيحٌ شنيع. وكذلك نقول: أصل الاجتماع لإظهار شعائر المَوْلد مندوبٌ وقُرْبة، وما ضُمَّ إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع.

وقوله مع «أن الشهر الذي وقع فيه» الخ. جوابه أن يقال: إن ولادته صلّى الله عليه وسلّم أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثَّتْ على إظهار شكر النِّعَم والصبر، والسُّكون والكتم عند المصائب. وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره، بل نهى عن النِّياحة وإظهار الجزع، فدلَّت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلّى الله عليه وسلّم، دون إظهار الحزن فيه بوفاته صلّى الله عليه وسلّم.

وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالىٰ في كتاب «اللطائف» في ذمّ الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين رضي الله تعالىٰ عنه: لم يأمر الله تعالىٰ ولا رسوله صلّى الله عليه وسلّم باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن هو دونهم؟

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاجّ رحمه الله تعالىٰ في كتابه «المَدْخَل» على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جداً، وحاصله: مَدْح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر، وذمُّ ما احتوى عليه من محرَّمات ومنكرَات، وأنا أسوق كلامه فصلاً فصلاً.

قال: فصل في المولد[١١٥]: ومن جملة ما أحدثوه من البدَع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر، ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى ذلك على بدع ومحرَّمات جملة.

فمن ذلك: استعمال المغاني ومعهن آلات الطرب من الطَّار المُصَرْصِر[١١٦] والشَّبَّابة، وغير ذلك مما جعلوه آلةً للسماع، ومضوا في ذلك على العوائد الذَّميمة في كونهم يَشْغلون أكثر الأزمنة التي فضَّلها الله تعالىٰ وعظَّمها ببدع ومُحْدثات، ولا شك أن السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه، فكيف به إذا انضمَّ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله الله تعالىٰ، وفضلنا فيه بهذا النبيّ الكريم الذي مَنَّ الله علينا فيه بسيّد الأوَّلين والآخرين، وكان يجب أن يُزداد[١١٧] فيه من العبادة والخير شكراً للمولى على ما أَوْلَانا به من هذه النِّعم العظيمة، وإن كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات، وما ذاك إلا برحمته صلّى الله عليه وسلّم لأمته ورفقه بهم لأنه صلّى الله عليه وسلّم كان يَتْرك العمل خشية أن يُفرض على أُمّته رحمةً منه بهم، لكن أشار صلّى الله عليه وسلّم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين: «ذاك يومٌ ولدتُ فيه»، فتشريف هذا اليوم متضمّن تشريف هذا الشهر الذي وُلِدَ فيه، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام، ونفضِّله بما فضَّل الله تعالىٰ به الأشهر الفاضلة، وهذا منها، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر، آدمُ فمَنْ دونَهُ تحت لوائي»، وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصَّها الله تعالىٰ به من العبادات التي تفعل فيها، لما قد علم أن الأمكنة والأزمنة لا تَشْرُف لذاتها، وإنما يجعل التشريف بما خُصَّت به من المعاني.

فانظر إلى ما خصَّ الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين، ألا ترى

---

(١١٥) المدخل (١/ ٢٦١) وفي بقية النسخ: في فصل المولد.

(١١٦) المصرصر: الشديد الصوت. والشبَّابة: آلة موسيقية.

(١١٧) المدخل: أن يزاد فيه.

أن صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيم لأنه صلّى الله عليه وسلّم ولد فيه؟

فعلى هذا: ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرَّم ويعظَّم ويُحْترم الاحترام اللائق به، اتباعاً له صلّى الله عليه وسلّم في كونه كان يخصُّ الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البرّ فيها وكثرة الخيرات. ألا ترى إلى قول ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أجْوَدَ الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان»، فنَمْتثل(١١٨) تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا.

فإن قال قائل: قد التزمَ صلّى الله عليه وسلّم في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد علم ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره.

فالجواب: أن ذلك لِمَا عُلِم من عادته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أُمّته، سيما فيما كان يخصه، ألا ترى إلى أنه صلّى الله عليه وسلّم حرَّم المدينة مثلَ ما حرَّم إبراهيمُ مكة، ومع ذلك لم يَشْرع في قتل صيده ولا شجره الجزاءَ تخفيفاً على أُمّته ورحمةً بهم، وكان ينظر إلى ما هو من جهته وإن كان فاضلاً في نفسه، فيتركه للتخفيف عنهم.

فعلى هذا: تعظيمُ هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات، إلى غير ذلك من القُرُبات. فمن عجزَ عن ذلك، فأقلُّ أحواله أن يجتنب ما يحرَّم عليه ويُكره له، تعظيماً لهذا الشهر الشريف، وإن كان ذلك مطلوباً في غيره، إلّا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً، كما يتأكَّد في شهر رمضان وفي الأشهر الحُرُم، فيترك الحدَث في الدِّين، ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي.

وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضدَّ هذا المعنى، و[هو](١١٩) أنه إذا دخل هذا الشهر الشريف، تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدُّفّ والشبابة وغيرهما.

---

(١١٨) الأصل: فيمتثل. وما أثبتُّه من «المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٦٢).

(١١٩) من «المدخل» (١/ ٢٦٢).

ويا ليتهم عملوا المغاني ليس إلَّا، بل يزعم بعضهم أنه يتأدب، فيبدأ المولد بقراءةِ الكتاب العزيز، وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالتهوُّك[١٢٠] والطُّرق المهيِّجة لطرب النفوس، وهذا فيه وجوهٌ من الفساد[١٢١].

ثم إنهم لم يقتصروا على ما ذُكر، بل ضمَّ بعضهم إلى ذلك الأمر الخطر، وهو أن يكون المغنِّي شابًّا نظيف الصورة حسَن الصوت والكِسْوة والهيئة، فيُنشِد التغزُّل ويتكسَّر في صوته وحركاته، فيفتن بعضَ من معه من الرجال والنساء، فتقع الفتنة في الفريقين، ويثُور من الفساد ما لا يُحْصَى.

وقد يَؤول ذلك في الغالب إلى إفساد حال الزوج وحال الزوجة، ويحصل الفراق والنَّكَد العاجل، ويتشتَّت أمرهم بعد جمعهم وهذه المفاسد مركَّبة على فعل المولد، إذا عُمل بالسماع. فإن خَلَا منه وعمل طعاماً فقط ونَوى به المَوْلد ودعا إليه الإخوان وسَلِم من كل ما تقدَّم ذكره، فهو بدعة بنفس نيّته فقط، لأن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أَوْلَى، ولم يُنْقَل عن أحد منهم أنه نَوَى المولد، ونحن تَبع فيسعنا ما يسعهم. انتهى.

وحاصل ما ذكره: أنه لم يذمّ المَوْلِدَ، بل ذمَّ ما يحتوي عليه من المحرَّمات والمنكرات، وأوّل كلامه صريح في أنه ينبغي أن يُخصَّ هذا الشهر بزيادة فعل البرّ وكثرة الخيرات والصدَقات، وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسنّاه، فإنه ليس فيه شيء سوى قراءَة القرآن وإطعام الطعام وذلك خيرٌ وبرّ وقُرْبة.

وأمّا قوله آخراً: «إنه بدعة»: فإما أن يكون مناقضاً لما تقدَّم، أو أنه يُحمل على أنه بدعة حسنة، كما تقدم تقريره في صدر الباب، أو يُحمل على أن فعل ذلك خيرٌ، والبدعة منه نيّة المولد كما أشار إليه بقوله: «فهو

(١٢٠) وفي «المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٦٣): بالهنوك. ولعل ما أثبتُّه هو الصواب، لأن التَّهَوُّك: ركوب الذنوب والخطايا، أو هو الوقوع في الشيء بغير مبالاة. اللسان (١٢/ ٤٠٠).

(١٢١) فَصَّل ابن الحاج وجوه هذا الفساد في المدخل (١/ ٢٦٣).

بدعة بنفس نيته فقط، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوَى المولد».

فظاهر هذا الكلام: أنه كَره أن يُنْوَى به المولد فقط، ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه. وهذا إذا حقِّق النظر، لا يجتمع مع أول كلامه، لأنه حثَّ فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالىٰ، إذ أوْجَد في هذا الشهر الشريف سيدَ المرسَلين صلّى الله عليه وسلّم وهذا هو معنى نية المولد. فكيف يذم هذا القَدْر مع الحثّ عليه أوّلاً؟!

وأمّا مجرد فعل البرّ وما ذكر معه من غير نية أصلاً، فإنه لا يكاد يُتصوّر، ولو تصوِّر لم يكن عبادة ولا ثواب فيه، إذ لا عمل إلا بنية، ولا نية هنا إلّا الشكر لله تعالىٰ على ولادة هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم في هذا الشهر الشريف، وهذا معنى نية المولد، فهي نية مُستحسَنة بلا شك، فتأمَّلْ.

ثم قال ابن الحاج: «ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فِضّةٌ عند الناس متفرقة، كان قد أعطاها في بعض الأفراح أو المواسم، ويريد أن يستردّها ويستحيي أن يطلبها بذلك، فيعمل المولد حتى يكون سبباً لأخذ ما اجتمع له عند الناس، وهذا فيه وجوه من المفاسد: أنه يتصف بصفة النفاق، وهو أن يُظْهِر خلافَ ما يُبْطن، وظاهر حاله أنه عَمِل الموْلدَ يبتغي به الدار الآخرة، وباطنهُ أنه يجمع فيه فضةً.

ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم أو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له، وهذا أيضاً فيه من المفاسد ما لا يخفى»، انتهى.

وهذا أيضاً من نَمط ما تقدم ذِكره، وهو أن الذم فيه إنما حصل من عدم النيّة الصالحة، لا من أصل عمل المولد.

انتهى ما أوردته من كلام الشيخ رحمه الله تعالىٰ، والله أعلم بالصواب.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة و السلام

ومعه

دفع بعض الاعتراضات

على كتاب "حول الاحتفال بذكرى المولد"

و

و

هل نحتفل؟

و

من السيرة الشامية المسماة "سبل الهدى والرشاد"

للعلامة محمد بن يوسف الشامي


ISBN 2-7451-3769-7
9 782745 137692


Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971